الوجود العربي في البرازيل

بقلم شاكر مصطفى

شفتا نبي لايعرف نفسه، هما اللتان أطلقتا - فيما أحسب - تلك الكلمة الرومانية القديمة عن «صبيب العاصي في التيبر». لكن لهاتين الشفتين - لو شاءتا - أن تتحدثا ايضاً عن صبيب الفراتين والنيل فيما وراء الغـــانج والأمازون، قبل الرومان بكثير، وبعد الرومان بكثير! إن التاريخ، ذلك المستنقع الكبير من الحماقة ومن المجد الانساني لايعطي تلك الكلمة ركائزها من الواقع الحي فقط، ولكن يمنحها رنين القدر! ترابنا العربي خلق يمور. اعتاد ان ينزف نباته الآدمي، وان يبعث، مع الرياح الاربع، بقيم منه، وروح

من عنده . لقد انتثر فكروا وجسداً بشرا في فجاج وامواه ، لابساط الريح مر بها ولاخطرت للسندباد ببال . الرحلة ، التغويب والتشريق ، الضرب « حيث حط الحافر المهر » ، قلوب الامهات المعلقة على الشراع الذي لن يعود ، كلها في تراثنا . وبرغم كل المظهر « البري » الذي يلقي على التاريخ العربي غبرة التراب والصحراء ، فان البحر قد جرنا اليه . كان يزحف ، دون ونىً ، على شواطئنا ويتخطفنا ليرسلنا الى البعيد البعيد . ونداء عرائسه ؟. من ذا الذي يستطيع أن يصم الآذان عن نداء عرائسه ؟ على الشاطىء السوري والبصري والعماني والحضرمي والمصري والتونسي والجزائري والاندلسي كنا دوماً مع البحر في مد وجزر وتفاعل عطاء . في شواطئنا نحن صيغت الحكاية القديمة التي كانت تقدم كل سنة فتاة ، كأكمل مايكون الخلق ، للنيل أو لتنين البحر الكاسر . وصية الفاروق ، ابن الخطاب ، بخوف البحر كانت وصية مرحلة لاتخطيط قدر ! قبلها بطويل من العهد كان فنيق العتيق قد نفذ من جبل طارق ، وبعدها بقرون كان السندباد الاخير يخترق البحار القصوى سبع مرات !

بعض حكايتنا الطويلة مع الترحال والبحر هي حكاية الوجود العربي في البرازيل . أهلنا الذين وصلوا قارة الامازون منذ قرن او بعض قرن ، لم يكونوا أول القافلة العربية ولكن هودجها الاخير. إن العرب وصلوا هناك قبل كولومبوس وكانوا هناك معه وذهبوا هناك بعده . بلى ! قبله ومعه وبعده . أفبهذا الحديث تمترون ؟ إنها لقديمة في الصحف الاولى ، أخبار التوسع الفينيقي ثم العربي في البحر المتوسط كله . وإنها لنثيرة في الكتب وعند أهل الذكر : أبنـــاء العرب الجنوبيين الذين نقلوا الحضارة العربية دنياً ولغة وثقافة ، مع سفين التجارة ، فالمحيط الهندي لهم حتى الملايو وجاوه وحتى الصين . أما على أمواج الاطلسي ، بحر الظلمات ، وفي البرازيل ؟.. فهل آنيكم من ذلك بنبأ ؟

اللوحة الاولى : فينيق العتيق !

ضباب كثيف يلفها هذه اللوحة ، فيه النسيان وفيه المجهول وفيه ألف ظل من الريب . عتمة القرون البعيدة ولانهائية اللجج في المحيط عفتا على كل أثر لها في بعض من رجم الغيب الذي ، أو من الواقع يشبه الواقع الذي يحكي تخرص الظن . ولقد ينكرها العلماء بعضاً او كلا ، ولقد يصر بعض الأثريين على تقري النقوش باللمس وبالاصابع الخمس . ولكن المنكرين والمثبتين يقفون معاً على مسافة واحدة من الخطأ والصواب في انتظار جهينة وجهيزة !

الخبر يقول : ان الفينقيين وصلوا البرازيل قبل ٢٧٥٠ سنة من اكتشافها المعروف (١) ! وليس يقف الخبر وحده ، كنظرية عارية لحجارة الرجم ، ولكن حشداً من التحقيقات والمقارنات والنصوص الاثرية والأدلة العلمية تقف معه ... للرجم أيضاً !

وحكاية الاكتشاف تبدأ ـ فيما يقدر أصحاب النظرية ـ في القرن الثالث عشر او الثاني عشر ق . م . كان القبيل الفينيقي يومذاك قد اجتاز عمودي هرقل (جبل طارق) الى بحر الظلمات .. فيكشف هو احد كشوف الدنيا الكبرى في عصره ، وقد أسسوا مستعمرة قادش لاستغلال السواحل الاوروبية حتى انكلترا ، وقد أقاموا مستعمرة داكار (بيت كار) لدى الزنج لاستغلال الساحل الافريقي الغربي ، وقد طوفوا حول افريقيا لفرعون مصر : (نخاو) ... أو يكادون ! بحر الدنيا الوحيد إذ ذاك : المتوسط ، كان يتهم الكبير ! ويدخل المسرح هاهنا المؤرخ

---

(١) ثمة ابحاث أخرى واستنطاق آثار تتحدث الحديث نفسه عن وصول الفينقيين الى كولومبيا ، ولقد علمت ان الكاتب العربي المهجري (ابراهيم هاجر) قد اصدر كتاباً بالاسبانية حول الموضوع ، في بونس آيرس (الارجنتين) .

اليوناني المعروف (ديودوروس الصقلي) بشهادته إذ يقول : إنه بعد ان أسس الفينيقيون عدداً من المدن والمستعمرات على شواطىء افريقية ، أقلعت سفنهم من تلك الشواطىء الى جزر (الرأس الأخضر)، فهبت رياح شديدة وثارت تيارات مائية قوية قذفت بهذه السفن الى عرض المحيط . وبعد أن سافر اللاحون عـدداً من الايام في عرض البحر عثروا ، في النهاية ، على جزيرة كبيرة ذات شواطىء جميلة وعدد من الانهر الصالحة للملاحة ومناخ معتدل وسكان مسالمين يقطنون مسا كن قروية جميلة كسكان بلادنا الاغنياء في الصيف . وبالنظر لكبر الجزيرة فقد قضى الفينيقيون أياماً يسيرون بسفنهم ليتمكنوا من الدوران حولها....

وديودوروس يعرف الفينقيين جيد المعرفة . سكن سنوات عديدة في قرطاجة وكتب تاريخ الملاحة القرطاجية والفينقية . وقد ذكر عدداً من التفاصيل الخاصة بتلك (الجزيرة) المكتشفة — وكل بر عند الفينيقي جزيرة ... أليس بيته البحر ؟ — فقد وجدوا فيها اسماكا كثيرة وحيوانات للصيد وفاكهة وطيوراً جميلة وأخشابا ملونة ذات رائحة زكية وذهباً وفضة وحجراً كريماً .

اذن فمراكب مجهولة على الموج ، تائهة الزمن ، لاسجل لها في التاريخ وليس عليها من أمير بحر معروف ،قد وصلت الطرف الآخر من محيط الظلمات . ويبقى أن تصنف الأخبار والاثار خبراً خبراً وأثراً أثراً ..

وهكذا يذكرون ، فيما يذكرون : أن الفينقيين انما سمعوا بأخبار تلك البلاد القصية من شعوب (الطارتاز) في أرخبيلات المحيط الاطلسي . وقدعاهدوهم ألا يقربوها ثم ادعوا ــ في حيلتهم المعروفة ــ أن الرياح قذفتهم اليها .. فلماجاؤوها وفتحت لهم أبوابهـا ، أسسوا عدداً من المستعمرات والمحطات على الشواطىء والضفاف النهرية . وأقاموا عدداً من الاعمال العمرانية بالاتفاق مع قبائل (توبي)،

تلك القبائل البيضاء التي نقلوها بسفنهم من البحر الكاريبي الى البرازيل ، فمن بقايا تلك الاعمال سدود من الردم ، وشلالات ، وطرق شتى وكتابات من النقش في أماكن متفرقة من البرازيل ، وغير البرازيل .

ويذكرون أن الفينقيين استعانوا بالمصريين ، ففتحوا الطرقات الطويلة المدى لتنظيم التنقيب عن المعادن ، فمعظم المغاور والانفاق والحفريات العمودية الموزعة في انحاء البرازيل هي من أعمالهم .. بل يضيفون أن الربح الاقتصادي اجتذب الكثيرين من قرطاجة ومن مستعمراتها ومن ثغور البحر المتوسط فوقف مجلس الشيوخ القرطاجي يحرم (سنة ٨٥٠ ق.م.) الهجرة الى الجزيرة الكبيرة الواقعة في المحيط لئلا يقفر البلد الصغير ! أو ينقلبه على المستعمرة الغنية ، الآخرون !..

وآخر الانباء ، في التاريخ - حسب تلك النظرية - ان الاسكندر المقدوني ، بعد أن دحر (صور) البطلة ، بعث بأسطول غرق هناك سنة ٣٢٦ ق.م وان القديس توما عبر المحيط ايضاً الى البرازيل سنة ٦٠ م مبشراً برسالة السيد المسيح وتوفي هناك !!

انه تاريخ كامل لاكثر من أربعة عشر قرناً .. في حدود النظريات (١) على انه ان كان يحمل الطريف المثير ، فانه عند البرتغالي كابوس مسرحي مرعب . أليس يسلبه المجد الأخير والوحيد الذي يفخر بـه : كشف البرازيل ؟ ان البرتغاليين والبرازيليين معهم يرفضون كولومبوس الاسباني . لايعترفون به . مكتشف البرازيل عندهم هو الفارس البرتغالي (كابرال) ، الذي مر ، صدفة ،

(١) هي نظرية العالم الالماني (لودفيغ شونهاغن) كتبها سنة ١٩٢٦ وثمة نظريات غيرها ، في الموضوع نفسه وقد نشرتها مجلة (فيزون) بالبرتغالية سنة ١٩٥٣ .

بأنف القارة الامريكية ، وهو في الطريق الى الهند ، فاذا به ـ دون أن يدري ـ مكتشف البرازيل !

فماذا يكون لو ان كابرال وصل متأخراً حقاً ؟ ومتأخراً جداً ؟ اغريب أن ينكر مدير متحف (ريودي جانيرو) على الآثار الفينقية في البرازيل ، حق امكان الوجود في المستقبل ؟

اللوحة الثانية : تغريبة بني ... مراغة ؟

في (الادريسي) ـ ان كنت ماأزال اذكر ـ خبر أضحى معروفاً عن الفتية المغرّبين الذين أبحروا يتحدون الظلمات ، في بحر الظلمات ، حتى وصلوا الى جزيرة كثيرة الاغنام والخير ثم جزيرة فيها عمارة وحرث ، ثم اعتقلوا... ولكن الخبر في عريه وفشله أكسب اصحابه لقب الفتية « المغررين » .التغريب ، في بحر الظلمات ، عندالاندلسيين، كان محاولة مجنونة ،مغامرةعبثية مع الموت . وما كذلك العمل في البحر ، انه كان من اعمال الناس اليومية بين اسبانيا وافريقية الشمالية والغربية والشرق .

على أن الظروف السياسية والاقتصادية والعلمية التي أقرت عرب الاندلس، في الاندلس ، تبدلت التبدل الجذري في القرن الخامس عشر . لا الحكم بات لهم فيها ولا التجارة المأمونة ، ولا الزرع الموفور . والفكر العلمي العربي كان قد انتهى الى كروية الارض أو يكاد الى ابتكار البوصلة وتحسين الاصطرلاب...

أيكون من قبيل الظن اذن أن يسهم بعض عرب الاندلس في حملة كولومبوس ، ومابعد كولومبوس ؟ لقد كان بحارته ، يوم قام بمغامرته الاولى ، من المحكومين بالموت والسجن الابدي ، والعرب المسلمون ، أيام تلك المغامرة ، كانوا قد غلبوا على أمرهم وسلموا آخر معاقل الاندلس للاسبان . أغريب أن يكون

بعض هؤلاء منهم ؟ أو غريب ان يكون اسلامهم هو الذي اخفى ذكرهم الى الابد ؟ منذ سنوات معدودة ذاع خبر ثم اختفى عن مخطوط عربي وجد باحدى جزر (ترينيداد) في جذع شجرة . والمخطوط لأحد بحارة كولومبوس العرب يذكر مغامرته في البحث عن اندلس جديدة ، بدل التي ضاعت ! اغريب عن من كان سيد اسبانيا ثمانمائة سنة ثم صار عبداً فيها، مثل هذا الحلم ؟

ان بقيت هذه الاخبار على الحدود بين الظن واليقين ، فان لدينا أخباراً اخرى من مثلها دخلت نطاق الواقع التاريخي المقرر . لقد تسرب الينا نبأ اميرين من امراء البحر العرب في المغرب ، قادا مراكب المكتشفين الى بلاد الاكتشاف الامريكي . ان احمد ابن ماجد ، ليث المحيط الهندي الذي نعرف ، والذي قاد (فاسكو دي غاما) الى الهند ، له زميلان آخران في محيط الظلمات . إن اسم (ماجلان) مرتبط بالدوران حول الارض ، فهل يذكر أحد أن بعض قواد سفنه كان (ابن حامد) ؟ وان (كورتيز) فاتح المكسيك ، ومدمر حضارة الازتيك ، إنما قاد بعض السفن له ، ابن القصار الاندلسي ؟

وما هؤلاء في الواقع ، بأسماء . انهم ما امكن ان يبقى معروفاً من تغريبة عربية ، سربت ، في ليل من الستر ، هاربة حتى من دينها وأسمائها وأرضها والماضي. أرأيت مايظهر على سطح المحيط ، من الجديات الضخمة السابحة فيه ؟ بل دون ذلك بكثير . القصة في أصلها هي الجناح المجهول من هجرة العرب الاندلسيين أيام سقوط غرناطة وظلام محاكم التفتيش . الهجرة لم تكن واسعة الافق فقط ، ولكن طويلة الليالي والامد أيضاً . اللاجئون الى المغرب سافروا وفي الجوانح أمل العودة ، فظلت مفاتيح بيوتهم الاولى معلقة في صحون الدور ، أجيالا . أما هؤلاء المجهولون فقد غربوا في البحر المحيط دون أي أمل بعود أو بمجد جديد .

مسيرة التغريب البحرية الصامتة هذه استمرت ثلاثة قرون. ولكن سفرخروجها لم يكتب أبداً. كل ما بأيدينا فانما هو تتبع لبعض آثار الدماء، على صفحة المحيط، وفي بعض الوثائق...

سنة ١٤٢٥، قبل عصر الاكتشافات بسبعين سنة، سمح ملك البرتغال بالهجرة الى جزر (آصور) فاذا بالعرب يأتونها فرقاً وجماعات. كانوا يهربون من الاضطهاد، في تلك الآونة، الى الارخبيل البعيد. المؤرخون البرتغاليون يذكرون ذلك ويضيفون ان العرب كانوا أول من رحل اليها وقد أقاموا هناك أحياء كثيرة وأن حاكم جزيرة (سان ميغل) كان منهم، وأنهم هم الذين منحوا هذه الجزر اسمها (آصور = السور)[١] ومازال من التراث العربي هناك الى اليوم، ذلك القصص الشعبي الألف ليلي، والرقص الجماعي، وبعض الفولكلور والمعتقدات والمآكل. حتى المسرحيات تسمى هناك (موريسكاس) اي العربيات! وحتى الموسيقى تتدرج على السلم العربي!

وانتقل العرب ايضاً الى جزر (ماديرا). المؤرخ البرتغالي القديم (الاب فرنانده داسيلفا) يقول: ان البرتغاليين هناك هم مينيوتوس Minhotos وآلغارفيتوس Algarvtos فاذا كانت منطقة (Algarve = الغربي) من البرتغال قد بقيت في حكم العرب (٥٠٠) سنة، وكانت قبائل عربية كاملة قد هاجرت الى جنوب البرتغال (ومنه هذه المنطقة) وخاصة أيام الحاجب المنصور، وكانت (الغربي) ماتزال تحتفظ الى اليوم بطابعها العربي الكامل في البناء والمدن والتقاليد والعادة، فمن ترى يكون (الغربيون) هؤلاء؟

(١) رأي المستشرق الاسباني (آسين بالاسيوس) والعرب يسمونها (الجزائر الخالدات).

ان « عناصرهم » العربية هي التي فتحت واستثمرت للبرتغاليين جزر الارخبيلات »(١).

أما اولئك العرب الذين بقوا في القارة ، في ايبريا ، في الاندلس ، فقد تعاون الاضطهاد ، واغراء الذهب ، وتراجع الانتاج الاسباني مع الجفاف والاهمال ، على اخراجهم الى المحيط . منذ أواسط القرن السادس عشر كانت جماعاتهم تتحرك الى مناطق الاستعمار البرتغالي . البرتغاليون كانوا أقل في العدد والثقافة من أن يحتكروا استعمار اطراف المحيطين الاطلسي والهندي معاً . درامة البرتغالي في ذلك القرن ، انه قد فتحت عليه دنيا اوسع بكثير من عدده ومن فكره ومن قوته . لهذا دخل الآخرون معه . واذا كان من الصعب النفوذ الى ما وراء الشواطىء في المحيط الهندي واستعمار اراضي الحضارات القديمة ، من عربية وفارسية وهندية ، فقد كان الامر أسهل من ذلك ، مع الهندي الاميركي . كان التغلغل عملية قتل منظمة عادية تفوقت فيها البندقية حتماً على القوس والسهم .

وتتحدث وثائق اشبيلية ، الوثائق التي حفظت العقود وأسس التمويل مع المغامرين عبر المحيط ، ووثائق لشبونة ، ووثائق الأكاديمية الملكية ، عن أجناس هؤلاء المغامرين ومناشئهم. وان فيها لخبراً منا ، وعنا:

ـ ما بين سنتي ١٥٥٠ و١٦٠٠ كان الفاتحون المستعمرون لأمريكا من جنوب ايبريا ، أي من المنطقة الاندلسية العربية . الشماليون كانوا هم المتنصرين ، الذين يأتيهم رزقهم رغداً وغدقاً ، من كل فج . ففيم تجشم الخطر ؟ وقد وصل الاندلسيون متنصرين ، ووصلوا اسرى حرب وعبيداً ، ووصلوا محكومين... بلى! ولكن كانوا يحملون اسمهم : عرب Mauros ومغاربة Mocarabe .

(١) المؤرخ البرازيلي المعاصر (جلبرتو فريري Gilberto Freyre) .

ـ منطقة الغربي Algarve التي نعرف ، ارسلت ٢٨ ٪ من الفاتحين الى البرازيل ، إذ ذاك. وهم الذين بنوا البيوت والكنائس وينابيع الماء وبوابات الحصون حسب الذوق العربي ، واستعملوا القاشاني في البناء (١) . بعض تلك الآثار الاولى مايزال الى اليوم .

ـ ومنطقة Maragatos في شمالي اسبانيا ؟ إن أبناءها اليوم هم (الناووشو) (Gauchos) أبرز العناصر المتميزة مابين البرازيل والاوروغواي والأرجنتين . (ليفي بروفنسال) المستشرق يؤكد أن (الماراغاتوس) هم عرب قيسيون أقحاح ، وصــلوا في عهد ألفونسو الأول (الكاثوليكي) وسكنوا بين (استوركا) و (ليونه) حين رجع العرب الآخرون الى افريقيا . اضطهاد العرب اليمانيين ، والجوع الذي زحف على قسم كبير من اسبانيا في ذلك الحين هما نصراهم وألجآهم الى الشمال . (دوزي) يفسر اسمهم بأنهم العرب المحبوسون Mauri Captus والمؤرخ البرازيلي المعاصر (أورنيلس) يؤكد أنهم من مراغة وإليها ينسبون . ويختلف التفسير ولكن أيختلف الأصل ؟

ولقد دخل هؤلاء المراغيون حملات الفتوح : مع (كورتز) في المكسيك مع (بيسارو) السفاح في (البيرو) ، مع (فالديفيا) الذي شرب الهنود قلبه ، في شيلي ، مع (مندوسا) في الأرجنتين . وثائق اشبيلية وتمويل الحملات تتحدث بذلك . الذهب نثرهم في الدنيا الجديدة . كان ذهب نهر (دورو) قد انتهى منذ عهد الرومان وبقي في الناس منه الذكرى. فأحياها ذهب (الانكاس) و(الآزتيك).

في اواسط القرن السابع عشر فقـــط ، بدأت هجرة المراغيين الاستيطانية ، الى جنوب اميركا ، ثم توسعت في القرن التالي. ما من شك

(١) فريري .

في أن قرار فيليب الثالث سنة ١٦٠٩ بطرد العرب من اسبانيا قد أسهم في اخراجهم واخراج الكثيرين من غيرهم الى افريقيا والى الارض الجديدة. وقد تجمعوا خاصة حول نهر بارانا ، من مصبه الى الداخل ، ليكونوا أبرز العناصر فيما بين البرازيل والارجنتين ، ولتكون أعرق عائلات (الاوروغواي) اليوم منهم .

ـ وان في وثائق لشبونة لخبرا أيضاً عن «معونة الاصدقاء من سورية للبرتغال » في الفتوح . الصلات التي عقدها البرتغاليون عن طريق الجنوب ، في البحر ، مابين لشبونة وأقصى الهند، سبقتها صلات برية على طول الطريق التقليدية ، عبر سورية ومصر . عدد من الرواد البرتغال ، كانوا يؤمون بلاد العرب والحبشة في القرن الخامس عشر . ويسكنون ، ويكتبون التقارير والمعلومات البحرية والتجارية لملك البرتغال . وتلك الصلات جرت، حين تمت ، الى وجود تيار من الصلة الدائمة بين بعض سكان الطريق التقليدية البرية والبرتغال . نتف من الاخبار تكشف ذلك . منها أن القائد البرتغالي (تومه داسوزا) أخذ معه الى البرازيل سنة ١٥٤٨ جماعة من مسيحيي الشرق . ومنها أن أول قاموس برتغالي ـ عربي إنما ألفه في لشبونة كاهن نشأ وتعلم في دمشق في القرن السابع عشر ...

من (مراغاتوس) إذن ، ومن (الغربي) ، ومن الاندلس ، ومن سورية تحرك العرب الى البرازيل عبر القرون ١٦ و ١٧ ثم لحق بهم عرب الأرخبيلات في (آصور) ومادير ا) آخر اللاجئين في القرن ١٨ . الكتلة الكبرى من هؤلاء جميعاً التقت بعضها مع بعض في جنوب البرازيل . وكانت من (ماراغاتوس) خاصة ومن جزر (آصور) . الشمال البرازيلي كان البرتغالي قد بدأ استغلاله

بالزنج . أما الجنوب فكان مازال فارغا . ولم يصل الزنجي الى الجنوب لأنه أفقر في السوية الماشية ولأن الرعي لايحتاج الى جهد العبيد . وكان على الزنجي أن ينتظر حتى تتكون المزارع هناك في القرن الثامن عشر لتضحى النخاسة تجارة ضخمة.

هناك ، في جنوب البرازيل ، (وشمال الأرجنتين) تأقلم العربي مرة أخرى، (بعد اسبانيا)، مع البلد الجديد. وتكون منه ومن أخلاطه مع المرأة الهندية ومع الاسبان والبرتغال ، وبحكم الضرورات الاقتصادية المحيطة به ، نموذج الماراغاتو : (الغاووشو) ، الفارس الجنوبي الذي يعمل في الرعي،ويحمل من العرب،لا الملامح فقط ولكن كثيراً من الارث الثقافي ومن منظومة الاخلاق والقيم . منذ سنوات معدودة ظهر في البرازيل كتـــاب ضخم في ٥٠٠ صفحة يتحدث عن التوازي والتقابل والعلاقة مابين البدوي العربي والغاووشو (١) وسرعان ماأضحى الكتاب كلاسيكياً ، وركنــاً في مكتبة البرازيل . الرعي ، النقلة ، مفهوم الشرف الشهامة ، الفروسية ، الكرم ، النظافة ، القلق ، المنافرة ، القدرية ، حس العدل، تحدي الخطر ، ثم عادات المجتمع من تقاليد الزواج والفولكلور ولبس السراويل العريضة(Chiripa=الشروال)والشعراء المغنون(البايادورPaiadores = التروبادور) وجرار الماء للتبريد ، والقرب المعلقة ، والطراد على الخيل ، والقيثارة ذات الاوتار الستة (= العود) والرقص الجماعي والغناء الباكي الحزين وتكون القوافل ، وحب الخيل حتى العبادة ... كل ذلك من بقايا العربي في (الغاووشو) . كل تلك الشيم والتقاليد تعود الى عرق عاش في صحارى العرب ، ولقد يكون أصل الاسم نفسه عربياً (= أشاوس(٢)) واذا كان (الغاووشو) يفخر ويعطي القيمة لقانون

(١) كتاب : غاووشوز و بدو Gauchos e Bedouinos تأليف المؤرخ الكاتب مانوليتودي اورنيلس Manoelito de Ornellas

(٢) رأي (دانيال غرانادا) ولا تفسير آخر لظهور هذه التسمية .

٢ *

الشرف ، وهو قانون الفروسية عنده ، فيجب ألا ننسى أنه انما يدين به لأنبل وامهر واكثر الفرسان خفة وهو : العربي» كذلك يقول مؤرخ هذا الشعب ، اورنيلس .

وما وقف الاثر العربي عند (الغاووشو) ولا عند جنوب البرازيل. لقد دخل العربي مزارعاً و « فنياً » ، في ظل البرتغالي . « العربي الحاكم أثر في البرتغال وأما العربي المحكوم ، أسير الحرب ، فأثر في البرازيل » . « هو الذي اعطى الارض – هنـــاك – قيمتها الاقتصادية الكبرى ، وهو الذي خلصها من الجفاف بالري » وجلب اليها الزيتون والكروم والبرتقال ودودة القز . وابقى ، في شمال البرازيل الشرقي الى اليوم ، من المكاييل : الرطل والمد والكيل والربع (Arratil . Arrôba . Alqueire . Almude **) . لكن أهم ماتدين به له هو دون شك : القطن للنسيج ، وقصب السكر الذي نظم حياة البرتغاليين زراعياً وامكانا ، وتحكم بها في امريكا . وهو أيضاً الخيل ، فان مافي امريكا منها هو سلائل الخيول الاندلسية العربية التي انزلها (مندوسا) معه في بونس ايرس سنة ١٥٣٥ وهو كذلك : البن عماد ثروة البرازيل ، واناحمله العرب (والزنج الافريقيون المسلمون) ليشربوه بدل الخمر الحرام ! « لكان فشل البرتغالي في استعماره لولا معونة من معه من العرب » لقد اشتهروا بأنهم العاملون المنتجون حتى اشتق من اسمهم فعل بالبرتغالية يعني العمل الدؤوب المنتج (** Mourejar **) « ان شبح العربي ، وطلعته كخلاق عظيم ، لا كمستغل للقيم الاقتصادية فقط ، تنعكسان الانعكاس المفيد الطيب على مطالع الاقتصاد الزراعي البرازيلي[1] » .**

لقد تسللت في ليل الستر تغريبة بني ... مراغة هذه . ألست معي في أنها تستحق أن تكتب ؟

(١) جميع الكلمات المقتبسة هنا هي للمؤرخ البرازيلي (جلبرتو فريري) .

اللوحة الثالثة : مع الزنجي

في هذه اللوحة لا يظهر العربي وانما تظهر فقط ثقافته . انه يتراءى من خلال الوجوه العانية من نحاسية وبنية وفاحمة ، ويمسح على حديد القيود بالأمل المؤمن . ويعيش مع العبيد في الجحور السوداء ويعطي من لغته وحضارته وقيمه العطاء الذي تعود .

وهذه اللوحة بدورها ممحوة العالم . التعصب والعبودية المهينة والجهل بالعربية ، وجو العصر ، كلها تعاونت على محوها ... حتى قبل أن يلغى الرق وتحرق الصكوك . ومن ذا عساه يشغل نفسه ، قبل القرن الاخير ، بشيء يتصل بالعبيد ؟ وبالعبيد الزنج ؟

أول القصة يبدأ مع حاجة البرتغالي الى **اليد العاملة في الارض الجديدة** . لاعدد البرتغاليين ولا اهتمامهم **الاقتصادي الجشع** ، ولا مكانتهـــم ، كحكام مستعمرين ، كانت تسمح لهم باستثمار الارض والقيام على الاعمال الدنيا . والاعمال الدنيا لامفر منها . . . وهكذا بدأت الايدي المشدودة الى القيود **تصل البرازيل منذ اوائل القرن السابع عشر** . ما كان البرتغالي (أو الهولندي أو الفرنسي) ليأبه للمصدر او الوسيلة في تصيد العبد . حتى رهبنات اليسوعيين غرقت الى الاذقان في هذه التجارة الحرام وحاربت من اجلها ، ادعت لنفسها أن الزنجي ، والهندي لانفس له ! وتجمع في البرازيل أشتات من الزنج كان معظمهم من احسن المناطق ثقافة في افريقيا السوداء ، من تلك البقاع التي اتصلت وتأثرت التأثر الكثير او القليل بالحضارة العربية الاسلامية ، من القرن الافريقي (الصومال) ومن السودان الشرقي والغربي ، ومناطق الصحراء العميقة .

هؤلاء كانوا على الاسلام في الدين ، وعلى العربية في اللغة والكتابة ،

وعلى الاساس الاسلامي في التنظيم الاجتماعي والسياسي وفي الاطار الفكري . ومنهم من كانت له التقاليد الفنية الاصيلة وله الممالك والملوك (أشانتي ، داهومي ، وورنو ، سوكوتو ، كاندو) . هذا الجو المثقف لم تعرف مثله الولايات المتحدة من زنوجها . وقد تجمع خاصة في منطقة باهيا من البرازيل ، ومارس اصحابه نوعاً من التفوق والسلطة على أنواع الزنج الاخرى . كان عبيد (الفولا = السنغال) ذوو الالوان النحاسية والأنف الأقنى والدم المزيج بين الحامي والعربي ، وعبيد (الهاوسة) (بين الحاميين والبربر) ، والماندينغو (أمشاج الدم العربي مع قبائل الطوارق الصحراوية) واليوروبا والصوماليون الاحباش هم ارستقراطية الزنج . كانت ثقافتهم أعلى ، لا من الهنود الاصليين ، ولكن من اسيادهم البرتغاليين الذين كانوا ، في بعضهم ، اميين ، وفي معظمهم أنصاف اميين ودون أي تربية . كانوا اذا ارادوا الكتابة بعضهم لبعض ، استعانوا (بالاب — المعلم) ليكتب لهم بالعربية ماريدون . « وكان في أكواخ باهيا وأجحار العبيد فيها من اعداد العبيد التي تعرف القراءة والكتابة اكثر مما في القصور العليا بكثير ، وكان لدى الزنج في الجحور [1] من الفن القوي الاصيل ماهو أروع وأشد أصالة من التقليد الجامد الذي كان يقلده البرتغالي للفن المغربي والاندلسي . »

وكانت الجوامع تقام والمدارس تفتح في ظلام الجحور ، ومن غرب افريقيا كان الشيوخ (المارابو = المربي) يأتون لتدريس القرآن والكتابة والقراءة بالعربية في كتب عربية ودينية . كان الاسلام يزدهر هناك رغم المقاومة ، ما كان يكفي الماء والماء المقدس في الكنيسة — مع جهل الأسياد — لاطفاء هذه الجذوة الثقافية الواعية . كانت وراءها افريقيا المسلمة ترفدها وتغذيها . صلات الود القوي

(١) كان العبيد الزنج يسكنون في أكواخ حقيرة قريبة من الارض لابناء فيها ولكنها طين ومواد شتى وحفر في الارض يسمونها Sinzalas وقد استعملنا كلمة الاجحار لها .

كانت تربط دوما مابين الجماعات الزنجيــة على طرفي المحيط الاطلسي . وليسوا بالقلائل تجار باهيا البرازيلية الذين تلقوا مختلف التكريم من ملوك القبـائل في (داهومي) ..

وانفجرت ذات يوم تلك الثقافة العربية المتقدمـة والمضطهدة . انفجرت ثورة عرمة سنة ١٨٣٥ . كان الجو الذي سبق الثورة قد شحن بالتعصب الديني الحار المتزايد . في عدد من البلدان ، وفي ظل الكنائس والأديرة الكاثوليكية ومحاريب السيدة العذراء ، كان العبيد يقيمون صلاتهم ضدها . الدعوة للاسلام كانت تتم تحت نوافذ الاسياد العالية، وأما القداس فكان يرمى بالوثنية .حتى المسابح ذات الصليب كان الزنجي يصادرونها ليعطوا بدلا منها مسابح ذات (٩٩) حبة !

كان العبيد قد ثاروا من قبل ثورات عديدة محدودة . أما ثورة ١٨٣٥ فتستحق مكانها بين الثورات التحررية ذات الطابـع الديني والمعنى الاجتماعي والسياسي ؛ الجماعات الارستقراطية في الزنج هي التي قادتها ونظمتها . ولسنا نعرف من كان (سبارتا كوس) فيها ؟ ولا (صاحب الزنج) ؟ ولكن هل من شك في أنه كان من العلماء الشيوخ ؟ ان مدير شرطة المنطقة يومذاك قد سجل في تقريره ان جميع الثائرين تقريباً كانوا يعرفون القراءة والكتابة باحرف مجهولة .. أحرف لعلها العربية. وقد وجدت لديهم كتب عربية دينية ووثائق ونصوص من القرآن وصلوات . وسجل الى هذا أن الثائرين لم يقترفوا سرقة ، ولا اجترحوا جريمـة ولا قتلوا أسيادهم القتل الغـادر . فهل يعني ذلك سوى ان الثورة كانت ذات أهداف سياسية تحررية ؟

ولقد انتهت الثورة بالفشل السياسي ، ولكن التأثر الثقافي العربي الاسلامي بقي . إن زنوج (الفولا) و (الهوسة) و (الماندينغو) الذين سربوا في المجتمع

البرازيلي بعد ذلك كتاباً وفنانين وأساقفة ورؤساء للجمهورية ونواباً للرئاسة تركوا في أحفادهم الى اليوم كثيراً من حملهم الثقافي القديم .

حتى اليوم ، نرى في حفلات (الكاندومبليه[1]) آثار الصوفية الاسلامية ورقص الذكر ، وحتى اليوم نرى في آلاغوس عيداً للموتى ، يتصل بوجوه القمر ، يسبقه صيام طويل وصلوات وانقطاع عن الخمر ، وتضحى فيه الخراف وترتدى الاردية البيضاء ... أليس هذا من عيد الفطر او الأضحى؟ وحتى اليوم يخلع الكثير منهم النعال للصلاة ، ويتعوذون بالتمائم ذات الاحرف العربية ، ويرشون الماء بعد التعاويذ ، للسحور !

وهؤلاء الزنوج أنفسهم هم الذين بنوا الكنائس في باهيا ولكنهم كتبوا فيما بين السقوف الداخلية منها آي القرآن الكريم . ونشروا زراعة البن وصناعة الرعي وتجارة القماش والصابون وزراعة قصب السكر وعلموا الكثير لتعليم البرازيل صناعة التعدين والحديد . الآبقون منهم نفذوا الى مناطق الهندي الوحشي فحملوا اليه من الحضارة زراعة القطن ولبس النسيج ، والزنجيات الجواري « كن أسياد منطقة ميناس في القرن الثامن عشر . وكن اليد اليمنى في تقدم البرازيل أما اليسرى فكانت اسيادهن والهنود معاً » .

بلى ! إن العربي .. ثقافة وروحاً كان هناك ، في إرهاب الزنجي المسكين !

اللوحة الرابعة : التوركو

هي اللوحة الاخيرة ... ويتراءى لي من خلالها أهلي هناك ، ووجوهاً ما أحب واكرم ... هي آخر العنقود . لقد وصلت البرازيل - وغير البرازيل - عن غنى لا عن فقر . وصلت منذ سبعين ومنذ ستين سنة وفي

(١) هو الاسم الذي يطلق على الحفلات الدينية التي يقوم بها الزنوج حتى الآن لآلهتهم الاولى .

صدورها تراث خمسة آلاف سنة . « الماسكاته[1] » ما كان صورتها النهائية. ولكن كان مرحلة الرزق العابر . انها عن طريق الماسكاته حملت الحضارة وآلاء الحضارة الى الحرج الوحشي والى أبعد الشعاب . وعن طريق الماسكاته أضحت اليوم دنيا من الدنيا ، علماً ومكانة وانتاجاً وثروة !... « دنيا المغتربين » ... لغيري من احترم واقدر ، أن يتحدث عنها ، أما هاهنا فحسبي ذكرى العبير !

* * *

في البرازيل ، كنت اذا ما اغتـلى بي الوهم ، أرى كل ماحولي ضحلاً ، أمس خلق ! أنا وحدي كنت هنـاك قبل أن كان أحد من العالم القديم وظللت موجوداً الى الآن ...

... وتهدر في أغواري سلافة لا أدري كيف مذاقها ، وتركض دهور عتيقة بعد دهور !

شاكر مصطفى

(١) الماسكاته Mascate البائع المتجول، ومعظم المغتربين العرب كانوا من الباعة المتجولين .

مشكلة تنظيم النسل
في مجتمعنا العربي

للطبيب الدكتور عبد الرزاق الشقيقي

انني اذ اختار لبحثي هذا موضوعاً طبياً احتماعياً يتعلق بتنظيم النسل ، فلأنه في كل ثانية في مكان ما من انحاء العالم يولد ثلاثة اطفال يضيفون الى عدد المشاكل البشرية في كل ثانية ثلاث مشكلات ، وفي كل اسبوع يولد مليونا طفل ، والطفل ليس الا مخلوق كله محبة ، لكنه يزيد المشكلة تعقيدا إذ تهدده مستقبل الجنس البشري. وهذا الخطر يكاد يماثل خطر القنبلة الذرية في رأي البعض ، وقد اطلق العلماء على هذا التزايد السريع والمخيف اصطلاح انفجار السكان.

ان التفاوت الرهيب بين مستويات الدخل لدى شعوب العالم اصبح بحاجة الى حل ، والسباق في ميدان التسلح ادى الى ارهاق الدول المتنافسة عليه بأعباء مالية ضخمة ، وبالتالي

اهمال رفع مستوى العيش لدى السكان . فان نظرة بسيطة نلقيها على سكان الارض ترينا **أن هناك أقلية مترفة الى جانب اكثرية جائعة محرومة من ضرورات العيش ،** متخلفة في شتى ميادين الانتاج والاستهلاك ، **وبذلك** ازداد عدد المحرومين بين الشعوب في هذا القرن زيادة كبيرة كما أن التفاوت اصبح واضحاً بينها وبين الشعوب المتخمة ، وازداد اتساعاً وبذلك سيطر العامل الجديد واخذ يلعب دوره الخطر ، **ألا** وهو انفجار السكان . وقد اعتنى علماء الاحصاء باحصاء جديد في نوعه اجراه الاخصائيون في علم النسل عن عدد الذين ولدوا ماقبل التاريخ وعلى الضبط منذ ٦٠٠ الف عام ، ويقول هؤلاء ان عدد الذين ولدوا خلال هذه الفترة بلغ ٧٧ مليون نسمة ، فبينما عدد سكان الارض في القرن التاسع عشر لم يتجاوز مليار نسمة ، فهو حالياً ثلاثة مليارات نسمة ، وعلى هذه النسبة سيبلغ في اواخر هذا القرن اربعة مليارات نسمة مالم تحدث حروب كبرى أو مجاعات عظمى أو مالم يعتمد العالم سياسة تحديد النسل.

ومهما يكن من امر هذه الكتل البشرية الهائلة من حيث ضعفها وعجزها بوسائلها الخاصة عن اللحاق بالركب المتقدم ، فان مجرد وجودها ومجرد بقائها متخلفة يهددان بالخطر ، كما يهددان السلام العالمي نفسه ، وهكذا فالخلل كبير ، وضرورة تلافيه واجب على جميع الشعوب .

ان انفجار السكان هنا يسبب مشاكل عديدة وخطيرة في البلدان الغنية ، فكيف في البلدان الفقيرة كالهند مثلا ، حيث يعيش الفرد على راتب غذائي لا يتجاوز ال ١٥٠٠ حريرة ، أي أقل من ثلث الراتب الحروري اللازم لمجرد العيش ، وقد كلف مشروع الخمس سنوات الاول والثاني مايقارب الاربعة مليارات دولار من العون الغربي ، وارتفع بذلك الدخل القومي ، لكن عدد السكان تزايد في هذه الفترة بمقدار ٨٥ مليون نسمة .

وفي مصر يقدر الخبراء ان السد العالي سيزيد مساحة الارض المروية بمقدار الثلث . لكن عندما ينتهي عام ١٩٧٢ سيكون عدد السكان قد ازداد بنسبة الثلث ايضاً . ومما يزيد المشكلة تفاقما هو انخفاض معدل الوفيات ، فلو كان عدد الوفيات متزايدا بنفس النسبة التي يتزايد بها عدد السكان لكانت المشكلة قد حلت ذاتها بذاتها ، لكن معدل الوفيات بانخفاض مستمر في نفس الوقت الذي يتزايد فيه عدد السكان باضطراد ، ومع ان احتياطي العالم من الموارد الغذائية لم ينفد بعد ، كما ان غزو الفضاء الخارجي يقدم مجالاً مفتوحاً آخر للتوسع البشري فان تزايد السكان يبقى مشكلة تحتاج الى حل ، مشكلة تهدد مستوى المعيشة في جميع انحاء العالم ، وحتى في البلدان المتقدمة .

فالحل الوحيد لهذه المشكلة هو تحديد النسل او تنظيمه

لكن التحديد يصطدم بعقبات عديدة ، سواء منها الدينية او الناجمة عن الجهل او الفقر

والبلد الوحيد الذي استفاد حقاً من تحديد النسل هو **اليابان** ، فمنذ عام ١٩٤٨ عندما صدر القانون الذي يبيح الاجهاض ، قدر عدد حوادث الاجهاض الشرعية في كل عام مايئوف عن المليون ، ثم انتشرت وسائل منع الحمل من ٥٪ ـ ٥٠٪ وبالتالي ادت برامج تحديد النسل بالدعاية والتثقيف الى انخفاض نسبة تزايد السكان من ٣،٤٪ الى ١٢٧٪ وهو انخفاض ممتاز ، ولكن يخشى المسؤولون في اليابان حاليا اذا مااستمر الانخفاض بهذا الشكل من عجز في اليد العاملة سنة ١٩٧٠ . وقد **بدأت الهند** بحملة لمراقبة النسل منذ ان حصلت على استقلالها وخصصت ميزانية خاصة لهذا الغرض ، وانشأت مايقارب الـ ٣٤٠٠ مستوصف لتدبير شؤون العائلة في مختلف انحاء البلاد ، ووضعت الشعارات التالية : **لاتتأخر في انجاب الطفل الأول ، ولاتسرع في انجاب الطفل الثاني ، ولاتحاول انجاب الطفل الثالث**.

وقد سمحت الهند باستيراد المواد المانعة للحمل وضاعفتها ، وعرضت بعض الاموال لكل شخص يقبل بتعقيم نفسه ، وقد تم فعلا تعقيم ٧٧ الف رجل في الهند ، ومع كل هذا وذاك فالنتائج كانت صفرا على الشمال .

اما في **الصين** فازدياد السكان فيها بلغ ١٥ مليوناً في كل عام ، وقد بدأت بمراقبة النسل سنة ١٩٥٦ لكنها عدلت بعد ذلك بسبب مقاومة الفلاحين ومخالفة ذلك المبادىء الماركسية ، ولاتزال في صراع بين تحديد النسل وضبطه .

وكذلك مصر فانها عمدت الى تنظيم النسل ومراقبته ، واعلنت انها اضافت ٨٠٠ الف مولود جديد ، وهي لاتستطيع المضي قدما في هذه النسبة وترى من واجب الدولة ان ترشد الاهلين بالدعاية والتثقيف الى وسائل مراقبة النسل ، لكنها اصطدمت بنقمة علماء الشرع وهم في جدل حتى الآن ، ولم يعطوا رأيا حازما في الموضوع . وهناك خلاف بين العلماء انفسهم بين الحظر والاباحة .

وقد تقرر مؤخراً في مصر تكوين لجنة علمية لدراسة تنظيم النسل من كبار اطباء وعلماء امراض النساء والتوليد بقرار من وزير الصحة ، وتتناول مهمتها بحث طريقة المنع عند الحاجة بالادوية ، وفترات الامان وبكل مايساعد السيدات على تنظيم النسل عن طريق نشر الوعي والثقافة الجنسية ، وستدرس بعض الادوية التي يقال انها مانعة للحمل ، لان لبعضها تأثيراً سيئاً على الجنين في تطور نموه وفي تكوين جهازه العصبي ، واذكر على سبيل المثال ماروته بعض الصحف الطبية الامريكية : ان سيدة امريكية تدعى فينكباين تناولت دواء يسمى البالوميد ويعرف باسم سوفتينون حسب ارشادات طبيبها الخاص في الشهر الاول من حملها ، وبعدما لاحظت ان الصحافة العالمية تطرقت لموضوع تأثير تلك الادوية على

الاجنة ، عرضت نفسها على الاطباء الامريكيين فرفضوا كليا عملية الاجهاض مع ان القسس ورجال الدين قالوا ان جنينــاً مشوهاً يزيد من آلام المجتمع ، ثم ذهبت الى السويد لان القانون السويدي يبيح عملية الاجهاض ، واجهضت فعــلا من قبل هيئة طبية سويدية وفي مستشفى حكومي ، وكان تقرير الهيئة ما يلي :

لدى السيدة فينكهاين كل الحق في طلبها الاجهاض لان الجنين كان مشوها .

وقد عالج المفكر الفرنسي الفرد سوفي هذا الموضوع في دراسته الاخيرة وقال ما معناه : ان ازدياد سكان اوروبا في القرن التاسع عشر لم يتجــاوز ١٪ سنوياً ، وكان الفائض البشري آنذاك يتوجه الى امريكا . اما ازدياد السكان في البــلدان المتخلفة فتجاوز ٣٪ سنوياً ، واليوم اصبحت هذه النسبة الاخيرة كقــاعدة عامة ، وكان يعرف فيما مضى انه يوجد مجموعتــان من الشعوب ، وهي الشعوب المتخلفة ونسبة الوفيات فيهــا كبيرة جداً ، والشعوب المتقدمة ونسبة الوفيات فيهـا ضعيفة .

اما في العصر الحاضر فقد ظهرت مجموعة ثالثة من الشعوب يزيد عدد سكانها سنوياً بنسبة كبيرة لم تعرف في اي فترة من فترات التاريخ ولا في بقعة من بقاع الارض ، وهــذا التطور واقعي وملموس .

لو نظرنا الى موضوعنا هذا نظرة قومية عربية صرفة ، لرأينا أن مساحة الوطن العربي كله تبلغ عشر مساحة الارض ، ولكن عدد سكانه اقل من مائة مليون ، مع انه بالنسبة الى عدد سكان المعمورة يجب ان يكون على الاقل ثلاثمائة مليون ، هـذا وان البلاد العربية قائمة في اجود المناطق اعتدالا واكثرهـا غنى بخيرات الارض الدفينة ، والاعتقاد السائد اليوم ان كل زيادة في سكان البلاد العربية من شأنهـا ان تحفز على التقدم بمختلف الصور ، ولاسيما بعد استصلاح الاراضي المقفرة والتعاون على استثمار الطاقات الدفينة في الارض استثماراً صحيحاً ، وليس ذلك ببعيد لاسيما ونحن الذين شاركنا في الماضي مشاركة كبيرة لاقامة صرح الحضارة الانسانية وكان في سيرة اجدادنا الاماجد ما يوحي بالثقة للجيل الجديد بقدرته على المساهمة ببناء امة عظيمة قوية ، تدعم بعلمها وعملها بسكانها ومكانتها وبقوتها وثباتها السلام في العــالم ، وستكون وثبتها الحــاضرة عظيمة منتجة ، كما

كانت وثبتها الغابرة ، عندما استطاعت في سنوات معدودات ان تصبح سيدة العالم علماً وحضارة ، فقالت باراء اخذ علماء اليوم يقولون بما يحاكيها ، وطفقت الامم يفاخر بعضها بعضاً بأولوية هذا القول. فما هي علوم الوراثة وتحسين النسل التي يظن انها علوم حديثة ، ظهر أن كان للعرب فيها باع طويل ، وانه ليحق لنا ان نردد ما قاله الشاعر العربي القديم :

لسنا وان احسابنا كرمت — يوماً على الاحساب نتكل
نبني كما كانت اوائلنا — تبني ونفعل مثلما فعلوا

هذا الموضوع هو موضوع الساعة ، حتى ان الاهتمام به انتقل من الاوساط العلمية الى البيوت والاندية والمجلات ، فما من مجلة علمية طبية او اجتماعية الا وحاولت الخوض في هذا البحث حتى ان الاوساط الدينيـة لم تكن اقل اهتماما في بحثه ، لانه يثير اهتمام كل مواطن وكل اسرة فقد عقدت المؤتمرات العالمية واشترك فيهـا عدد من علماء الطب والاجتماع ، وخبراء الزراعة والتخطيط ورجال الاحصاء وكلهم حاول جاهداً اعطـاء الحلول المناسبة ، وما زيادة الاراضي الزراعية ، واقامة السدود ، وتقوية مردود الاستثمار الزراعي وتنشيط الانتاج الزراعي والصناعي الا محاولات لحل هذه المشكلة ، بالاضافة الى ان ذلك يحتاج الى اعانات فنية ومالية وخارجية ، مما يشكل خطراً على سيادة البلد السياسية والاقتصادية والتربوية .

ويصر علماء الغرب على هذا الحل الاخير نظراً لعدم امكان تطبيق تحديد النسل عن طريق منع الحمل والاجهاضات لوجود اعتراضات دينية وصعوبات فنية واضطرابات صحية .

ومن المعروف ان منع الاجهـاض موجود في نص قسم ابقراط ابي الطب الذي يردده الطبيب عند تخرجه من كلية الطب ويرجع تاريخه الى حوالي ٥٠٠ سنة قبل الميلاد ، وهو (اقسم بالاله الحكيم واهب الصحة والشفاء الا اعطي أي شخص بطلبه، دواء قاتلا للانسان ، كما لا ابادر بالايحاء لهذا الهدف ، كما انني لا اعطي لأي امرأة دواء مجهضاً واحفظ نفسي على الطهارة واحافظ على السر الطبي) .

وقد جاءت الاديان محرمـة قتل النفس وذكرت بالعقوبات على الاجهاض ، وتقول الكنيسة المسيحية ان الزواج ليس الا ذنباً يبرره مجيء الاولاد الذين يمجدون السيد المسيح ، ومبدؤهم في ذلك ان الزواج هدفه الحمل والولادة وكل تأخير للحمل يعد جناية . واما التشريع الاسلامي فقد حرم الوأد وقتل النفس ويقول تعالى في كتابه العزيز :

ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق ، نحن نرزقهم واياكم وان قتلهم كان خطأ كبيرا.

ويرفض الدين الاسلامي الحنيف مبدأ الاقلال من العيال كوسيلة لرفع مستوى المعيشة ويحض على تطبيق مبدأ الزكاة والصدقة والاحسان كوسيلة لمكافحة الفقر وتطبيق مبادىء التعايش الاجتماعي .

وقال تعالى في كتابه العزيز : **ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب .**

وقال عمر رضي الله عنه : **لو استقبلت من أمري ما استدبرت لاخذت فضول اموال الاغنياء فقسمتها على فقرائهم.** على أن الدين الاسلامي سمح بايقاف الحمل في الحالات التي تؤثر على حياة الام دون أن يعدد الحالات هذه ، بل ترك تقرير ذلك الى الطبيب المؤمن. وقد كريمين جنيف سنة ١٩٤٨ مؤيداً مبدأ عدم قتل النفس اذ يقول : احافظ باحترام تام على الحياة البشرية منذ الحمل .

لقد ساد في العصور الاولى للمدنية مبدأ اباحة منع الحمل والاجهاض وظهر له انصار في البلاد الشيوعية ، وقد سرى هذا المذهب الى البلاد الغربية ، والدول الحيادية مثل السويد والى امريكا والهند واليابان ، وذلك ضمن حالات محصورة كالخوف من المجاعة (في الهند واليابان) وفي حمل الأغتصاب والخديعة (كما في القانون الروسي) وفي الفقر المدقع (كما في الدول السكاندينافية) وفي الحالات المرضية كالسل والانسمام الحملي والآفات الوراثية (كما في اكثر الدول الحديثة).

وفي البلاد العربية اجمالا حرم القانون الاجهاض الا بشروط مرضية ، ويمنع الاطباء من مزاولة هذا العمل المحرم كما منع الصيادلة من تسليم الادوية المجهضة الى طالبيها ، وقد أقسم الاطباء والصيادلة كما ذكرت اليمين القانونية على عدم وصف أو استعمال ماهو مجهض ، كل ذلك والشعب خاصة في الريف يتعاطى الاجهاض المحرم . وعند اجراء الاجهاض الدوائي في حالات الخطر على حياة الام يجب تحرير محضر على ثلاث نسخ موقع من ثلاثة اطباء عملا بأحكام المادة (٨) من المرسوم التشريعي الصادر عام ١٩٥٢ المنظم لممارسة المهنة الطبية في سورية .

ان بلادنا العربية واسعة ، وتتسع لثلاثمائة مليون نسمة كما ذكرت سابقاً ، فبلاد ما بين النهرين كانت عامرة بالسكان ، وبلاد حوران والجزيرة كانت أهراء للرومان ويشهد تاريخنا المجيد على عمران هذه المنطقة من العالم ، ويذكر أن هارون الرشيد كان في عصرنا الذهبي يأتي من بغداد الى الرقة تحت ظلال الاشجار الوارفة .

وقد أقر المؤتمر الطبي العربي أن كثافة السكان كظاهرة هامة خطرة ليس لها وجود في البلاد العربية ، وحتى في مصر ذاتها حسب رأي بعض الخبراء ، وان معظم البلاد العربية وخاصة سورية تشهد تطوراً ملموساً في الطب الوقائي الذي هو آخذ بالانتشار ، حيث أن الطب

هو المهنة الوحيدة التي تعمل للقضاء على أسباب وجودها كما قال الفيلسوف **جيمس بريس**، وكثرت مراكز رعاية الطفولة والامومـــة وانتشرت دور التوليد في معظم المحافظات، وتعمم بناء المشافي الكبيرة، وكثرت طرق المواصلات، وخفت الامراض السارية، وقلت حالات الاغتصاب وندرت حوادث الخديعة، وان وقعت فتحل بشكل اجتماعي، كما وان العسر المالي لايشكل سبباً للاجهاض نظراً لمخالفته التشريعات السماوية، ولأن مستوى المعيشة في ارضنا يجعل الحياة والغذاء سهلين رخيصين بالنسبة للبلاد الاوربية والامريكية.

بالاضافة الى كل هذا فان الاولاد يشكلون في الريف خاصة مصدر رزق بالنسبة لكبير العائلة.

ونحن كأمة ناشئة في بلاد واسعة الرقعة وفي دور تطور في شتى الميادين، لانزال بحاجة الى أيد عاملة والى جنود ميامين يذودون عن حمى الوطن ويعملون على رفع شأن كلمة الحق والسلام لذلك لايمكن التفكير مطلقاً في تحديد النسل في البلاد العربية لعاملين أساسيين:

الاول : بقاء نسبة عالية من وفيات الاطفال حتى الآن.

والثاني : وهو العامل السياسي القومي نظراً لوجود البلاد العربية جميعاً ودون استثناء بحالة حرب دائمة مع اسرائيل ومن ورائها الاستعمار الذي يشجعها على ابادة السكان العرب من فلسطين بالجملة وترك المهاجرين في حالة بؤس وشقاء وتشريد وجوع لتقتل قدرتهم على التكاثر والتناسل ويندثر نسلهم ويذهب ريحهم، بينما يشجع الاستعمار اسرائيل على زيادة سكانها بالهجرة والتناسل ويدعو الشرقيين والعرب الى تحديد نسلهم ليتيحوا بذلك لاسرائيل التفوق العددي على مر السنين ولكي يسيطروا على الشرق من جميع الوجوه، وليمدوا دولتهم ولينـــالوا مطامعهم التوسعية، وهذا بعيد المنال ان شاء الله. لأن عزة العرب ومجدهم يعتمدان على وحدتهم وتضامنهم وعملهم وكفاحهم يدا واحدة وقوة واحدة.

وقد فرض القانون القاضي بمنع الدعاية لكل وسيلة من وسائل منع الحمل والاجهاض، العقوبات على المخـــالفين، كما نص قانون العقوبات السوري على غرامة مالية وحبس ستة اشهر الى سنتين، واذا افضى الاجهاض الى موت الام عوقب الجاني بالاشغال الشاقة وبالسجن من ٤ الى ٧ سنوات مع منع مزاولة المهنة واغلاق المحل.

والمحافظة على النسل والحصول على جيل صالح في عالم الصحة والطب الاجتماعي والقومي ارى اتباع ما يلي:

١ ــ التدقيق في صحة طالبي الزواج، وفحصهما سريريا ومخبريا، لانـه ما ذنب الاعمى بالوراثة او الابكم او الاصم او المشوه خلقـاً، ولسان حاله يقول: هذا جناه ابي علي.

كذلك يجب تطهير الجسم من السل هذا الداء الاجتماعي الوبيل ، ويمنع من الزواج من ظهرت عليه سريرياً ومخبريا اعراض السفلس (الافرنجي) وبوضع تحت المراقبة والمعالجة حتى الشفاء حيث لامانع من الزواج بعد ذلك . اذ الاسرة عماد المجتمع وصيانة حريتها تتوقف على احترام ميزاتها وخيراتها وفي طليعة هذه الخيرات النسل اذ هو رأس مال وثروة بشرية ، وهذه اعظم من ثروه المال وان قوى الامم والجيوش تقاس بسلامة اجسام شبابها والنسل حسب الشرائع السماوية مساهمة الانسان في تعمير الكون وحفظ النوع وبذلك تتكون الاسرة وهي اثمن مايدخر الوطن ، وكل ذلك بحاجة الى الدعاية والتثقيف الصحي .

٢ ـ يجب على الدولة أن تشكل تعاونيات اجتماعية في كل قرية لتدرس الاحوال المالية والاجتماعية والصحية لكل اسرة اسوة بالبلاد المتقدمة والمتطورة ، وتقرر مدى اعانة الدولة لتلك الاسرة . اذ ماذا يفعل رجل صحيح البنية لكنه جاهل بأمر الجنس ، وذو دخل قومي محدود فهل يتناسل الى ما شاء الله ويترك اولاده عالة على المجتمع ، ازاء ذلك يجب على الدولة اقامة نظام التعاونيات وكل تعاونية مشكلة من مجموعة من الوحدات الصحية والتعليمية والتدريبية المهنية.

ان الدولة يجب ان تنتهج سياسة اجتماعية قومية كهذه لرفع شأن الزواج والمتزوجين، ولمنح ارباب الأسر اعانات مالية متزايدة وباضطراد حسب عدد الاولاد ، تشجيعاً للفقراء على التناسل . وأن وطننا بحاجة الى انتاج بشري يقوم باستثمار خيراته وبالتالي بخدمة هذا الوطن من كافة النواحي الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، وقد حضت الاديان على التكاثر والتناسل والتحديد لاتريده امة تريد البقاء في هذا العصر الذي اشتهر فيه تنافس الامم بالكثرة والقوة .

وحبذا لو عمدت الحكومات العربية الى سن التشريعات المناسبة لتلك السياسة وبذلك تكون قد اصابت الهدف بتنظيم النسل الذي هو مجموعة من القوانين التي تراعي تحديد النسل وتتطلب من النسل الجديد الصحة الجيدة والقوة والمناعة فيكون الجيل الصاعد خيرا من سابقه وافضل صحة واقوى همة .

هذه هي مشكلة تنظيم النسل في مجتمعنا العربي ، وتلك هي الحلول اللائقة ليتهيأ لنا المواطن الصالح الصحيح الجسم ، القوي البنية ، السليم العقيدة والتفكير .

استعمال الذرة في البلاد المتطورة

للكاتب الفرنسي جان كلود سوم

Jean Claud Soom

ترجمة المهندس حيدر طرابيشي

للقوة النووية تأثير لايقاوم في البلاد المتطورة اقتصاديا ، فمثلا ان لوجود بيل ذري على ضفة نهر النيل اونهر الميكونغ تأثيراً سحريا يجعل للحكم هيبة وللسلطان شهرة .

ويشير هذا الوجود الى ان الخطوة الأولى لطريق طويل قد بدأت ، هذا الطريق الذي يلوح في نهايته امل الحصول على السلاح الذري . ويجب ان ندرك أن تشكيل قوة نووية ضاربة يفرض بناء مجموعة فنية صناعية واسعة النطاق . وهو امل بعيد عن متناول اكثر الدول ماعدا بعضها وهي معدودة على اصابع اليد . على كل حال ان هذا ليس بالشيء المستحيل حيث ان التقدم الفني يذلل العقبات ويسمح لعدد اكثر من البلاد القيام بانتاج قنبلة أوقنبلتين ذريتين عن طريق الحصول على معمل كامل ذي استطاعة محدودة .

اما من الوجهة الاقتصادية فالذرة تبدو وكأنها الطريق الأمثل لحل مشكلة انتاج القدرة الكهربائية ، خاصة في المناطق الفقيرة بالمحروقات المستخرجة من الارض ، كذلك لتحسين المنتوجات الصناعية والزراعية ، حيث بالامكان استخراج استطاعة قدرها (٢٠٠٠) كيلو واط ساعي من كيلو غرام واحد من الأورانيوم ، اي مايعادل (٦٠٠٠ — ٧٠٠٠)مرة اكبر من مردود كيلو غرام واحد من الفحم . والاحسن من ذلك أنه يوجد حالياً مفاعلات ذرية تحت التجربة تنتج اثناء عملها محروقات نووية اكثر مما تستهلك . وهذه المادة يصفها الفيزيائيون بالمواد السريعة التفتت ، أي بامكانها التجزؤ بسهولة . ورغم انها لاتستعمل في البيل الذري ولكنها غزيرة في الطبيعة . فيالها من كيمياء عجيبة بامكانها حوق الحصى وتحويل الرصاص . وبواسطتها — الذرة — يمكننا مضاعفة انتاج حقل من الرز عابقارب الـ (٢٧) مرة ، واستخراج الماء من باطن الارض حيث يعجز عن استخراجه المختصون وخبراء المناجم . كما انها تعقم اللحوم وهي احسن من اية مادة كيائية في القضاء على كميات كبيرة من ذباب الزيتون .

هذه الخصائص المذهلة تجعل القوى النووية في نظر سكان البيرجان او تونس أو اللومة أو كراتشي أو نيودلهي أو بونس أيرس ذات مكانة خاصة ، ويرى فيها سكان تلك البلاد المتطلعة لمستوى معاشي أرفع ، الحل الاساسي لجميع مشاكلهم .

المراكز النووية :

للذرة المكان الاول في طريق انتاج الطاقة الكهربائية ولكن للمفاعلات النووية الكبيرة المركبة من اجزاء متعددة ، مشاكل كثيرة .

فالمفاعل الموجود حالياً في شركة كهرباء فرنسا في مركز شينون يبلغ

ارتفاعه (٨٣) متراً ويحتاج الى (٢٣٧) طناً من المحروقات النووية و (٢٠٠٠) طن من الفحم (Grap/iit) و (١٢٠) طناً من غاز الفحم المضغوط. لهذا وجب صنعه من معادن وخلائط قابلة لتحمل المؤثرات الحرارية الهدامة، والاشعة النووية الحاصلة اثناء التفتت المرافق لعملية الاحتراق. **ولهذا فالمركز الذري لايستطيع تقديم كهرباء باسعار منخفضة تنافس اسعار الكهرباء المستخرجة من مراكز حرورية وعنفات بخارية.**

ومع هذا فان اكبر القوى العالمية تبنت برامج واسعة النطاق لبناء مراكز نووية، نعدد منها (١٨) مركزاً لستة بلاد اوروبية مشتركة بالقوة الذرية، ستستخدم فيها الذرة بأقرب وقت أي بين عام ١٩٧٠ - ١٩٨٠ لتحل محل الفحم والبترول الذي يعد من أشد احتياجات العالم الحديث.

اذاً فما على البلاد المتقدمة في هذا المضمار، مثل الولايات المتحدة وانكلترا وفرنسا إلا أن تحسن طبيعة مراكزها وتؤهل الاشخاص الضروريين وتهيء الصناعة بحيث تكون جاهزة في الوقت المناسب. هذا ولا يمكنها الوصول الى اهدافها دون أن تبني عدداً من المراكز النووية **ذات التكاليف الباهظة والانتاج الضعيف في المرحلة الاولى.** وعناصر الانتاج نسبية على كل حال وليست مثلما هي في البلاد المتطورة اقتصادياً وذلك لأن هذه البلاد بصورة عامة لا تمتلك الا القليل من عناصر القدرة الكهربائية.

ولو القينا نظرة على نسبة الاستهلاك السنوي للقدرة الكهربائية في البلاد المتقدمة لوجدنا ان المواطن الكندي الواحد يستهلك ما يعادل (٦١٥٠) كيلو واط ساعي والمواطن الامريكي يستهلك (٤٧٠٠) كيلوواط والمواطن الافرنسي يستهلك (١٩٠٠) كيلوواط وتهبط الى (٤٤) كيلوواط في الهند و (٣٤) كيلوواط في الباكستان.

اننا ندرك ان الكهرباء هي العامل الاول في التقدم الصناعي والاقتصادي وبدونها نحكم على أية صناعة او زراعة بالتدهور والانهيار المحتم. وكم من المناطق المتأخرة كان سبب تأخرها نضوب مافيها من موارد طبيعية للقدرة الكهربائية من شلالات مائية ومناجم فحم وآبار بترول. وبعد عدة ابحاث قامت بهـا الوكالة العالمية للقوى النووية قالت ان على بلاد افريقيا السوداء كالكمرون والتوغو والكونغو وغينيا ان تعمل لبناء مراكز كهربائية قبل ان تفكر بالوحدات الذرية. وطبعاً لا ينطبق هذا القول بصورة عامة لأن في آسيا الجنوبية كمية محروقات تختزنها الارض للمواطن الواحد لاتتجاوز $\frac{1}{5}$ ماهو في الولايات المتحدة و $\frac{1}{10}$ ما في اوروبا الغربية حيث في اكثر الاحيان تكون المحروقات المختزنة في باطن الارض كالشبكة المائية ، والانهار القابلة للتحويل الى بحيرات صناعية ، في مناطق جبلية بعيدة عن المناطق التي يمكن ان نستفيدمنها كالمناطق الآهلة بالسكان ومراكز الصناعات. ان المسافات الطويلة تتطلب مراكز تقوية وعدداً وافراً من العمال وهذا مما يرفع كلفة الكيلوواط الساعي الواحد.

فجبال هملايا بالهند وسلسلة جبال الأندس بالارجنتين لها موقع ممتـاز للحصول على كميات وافرة من القدرة لتغذية مركز توليد كهربائي (Hydraulique) ضخم ولكن المناطق التي تستهلك الناتج من هذا التيار واقعة على بعد اكثر من (١٠٠٠) كيلو متر.

ومنطقة جوهانسبورغ التي تستهلك القدرة الكهربائية تبعد اكثر من (١٦٩٠) كيلو متراًعن المدينة الى الجنوب فما هو العمل يا ترى للاستفادة من هذه الثروات الطبيعية ؟

هناك ثلاثة حلول يمكن تبني احدها :

آ ـ : بنـــــاء مراكز التوليد اللازمة بالقرب من مناجم المحروقات او مساقط الميـاه .

وهناك نضطر الى الاختيار بين نقل التيار حتى منطقة الاستهلاك حسب الفن الحديث (بغض النظر عن ارتفاع المصروف) او جلب العمال وبناء المنشآت الصناعية اللازمة وتأمين بناء المساكن لهم قرب مراكز توليد الكهرباء وهـذا يعني تغيير معالم الجغرافيا الاقتصادية للبلاد .

ان هذا الحل بالرغم من انه ممتاز فهو باهظ الكلفة .

ب ـ : بناء مراكز حرورية تحرق الفحم والبترول قرب مناطق الاستهلاك ولكن شراء المحروقات من الخارج يؤدي الى صرف قطع نادر تحتاجه البـلاد الاسيوية والافريقية للحصول على الآليات الثقيلة والمحروقات وماشابهها .

جـ ـ : بناء مركز نووي يتمتع بمحاسن كثيرة منها كونه خفيف الحمل ولا يحتاج الى عمال مدربين مهرة لتشغيله واستثماره .

ولقد قررت الهند والبرازيل وتركيا والباكستان الاخذ بالحل الثالث .

فالهند سوف تعمل بمساعدة احدى الشركات الاميركية الضخمة على بناء مركز ذري لتوليد الكهرباء في مدينة ترابور التي تبعد عن بومباي مسافة (١٠٠) كيلو متر وتقدر، استطاعة هذا المركز بـ (٤٠٠) ميغاواط وهو مؤلف من مفاعلين ذريين . على انه يجب التوضيح بأن سعر الكيلوواط الساعي الواحد يصبح (٤٥) روبية بدلاً من (٣٩) روبية .

على ان وضع وحدة جرورية عادية بالرغم من انها ارخص كلفة فانها تتطلب تمديد خطوط حديدية اضافية تسير عليها (١٦٥) قاطرة بخارية و (١٠٠٠٠) عربة . ولهذا فان الذرة تمثل من الوجهة العامة لهذه الامة لوناً جـديداً يسمح

للملايين من الهنود مضاعفة استهلاكهم للقدرة الكهربائية وتمكنهم من بناء المعامل الجديدة .

عدا عن أن الاخذ بفكرة المفاعلات الذرية يشجع اليد العاملة في كل انحاء البلاد ويخفض كلفتها مما يؤدي الى خلق فكرة عامة للتطور . هذا هو التصميم الحالي في الهند ولكنه لم يطبق في تركيا والبرازيل والباكستان . وهذا ما يؤخر الخبراء عن تحضير المناقشة الجدية لصلاحية استعمال المفاعلات الذرية او عدمها في البلاد الثلاثة المذكورة .

وأخيراً رغم هذه الصعوبات لا تزال الانظار متجهة نحو الذرة ومحبذة لها وهذا هو ملخص ماقدمه الاخصائيون الوكالة العالمية للقوى الذرية بعد ذهابهم كخبراء الى الباكستان .

فاذا وافقنا مبدئياً بأن القدرة النووية لا يستغنى عنها في بناء الباكستان على الوجه الصحيح مثلاً، نرى من الاوفق ان تتخذ التدابير السريعة لبناء مركز نووي حتى ولو كان لا يعطي المردود الذي تعطيه الطرق التقليدية في توليد التيارات الكهربائية .

ومن محسنات استعمال المفاعلات الذرية في توليد القدرة الكهربائية مثلاً هو انها تحفظ اسعار بقية المواد المشتعلة مستقرة ، وذلك لأنها تخفف من شدة الطلب عليها .

ان بناء المركز النووي الاول في الباكستان يشجع على اكتساب الخبرة اللازمة في حقول استثمار هذه المراكز الحديثة وصيانتها وضمان تشغيلها . كما انه يعدل من الطلب على المواد المستعملة في المحركات ذات الانفجار الداخلي ويؤمن الاشخاص الفنيين الذي يتطلبهم مثل هذا العمل .

وبفضل هذه التجربة المباشرة في الحقل النووي تستطيع الباكستان ان تهيء برنامجها لتوليد القدرة الكهربائية بواسطة المفاعلات الذرية لأجيال آتية .

واستناداً لهذه الاعتبارات قررت الباكستان بناء مركز ذري بالقرب من كراتشي استطاعته (١٠٠) ميغا واط ساعي من الكهرباء سيكون جاهزاً في غاية ١٩٦٨ .

ومن الفائدة بمكان ان نلفت النظر الى أن هناك بعض حالات لا يستغنى فيها عن استعمال مصادر قدرة اصلها نووي كاستخراج الملح من مياه البحر ـ ان هذا مهم بصورة خاصة لبلاد مثل تونس ـ وتخفيف بعض الاملاح المعدنية كالفوسفات مثلاً .

ثمن مركز نووي وكلفة اعداد الفنيين اللازمين له

في المستقبل القريب سيلجأ ثلث (١) بلدان العالم الى بناء مراكز نووية وذلك لاسباب مختلفة نذكر منها بصورة خاصة الاسباب الاقتصادية .

ـ ان كلمة (بناء) لا تعني سوى أن هذه البلاد ستشتري المراكز النووية من البلاد الكبرى مثل الولايات المتحدة الاميركية .ـ

ان ثمن مفاعل ذري لانتاج القدرة الكهربائية مع ملحقاته المختلفة الذي يعمل على مبدأ الاستفادة من الحرارة الناتجة عن انفلاق الذرة في توليد القدرة الكهربائية ثمن مرتفع جداً يتراوح بين (٣٥٠) الى (٦٠٠) مليون فرنك يضاف اليه عادة (١٠٪) عشرة بالمائة مصاريف تأسيسية ومصاريف عامة .

وبعد مضي (٣١) عاماً منذ تأسيس أول مفاعل ذري (في ٢ كانون الاول

---

(١) ان ثلث العالم اصطلاح يشمل جنوب آسيا واميركا الوسطى واميركا الجنوبية وافريقيا والمحيط الهادي حيث يسكن هذا الجزء من العالم مايقرب من (١٤٠٠) مليون نسمة من أصل (٣) مليارات نسمة التي تسكن العالم اجمع .

سنة ١٩٤٢ في شيكاغو) لاتزال هناك صعوبات كثيرة في بناء المفاعلات الصناعية .

والسعر المرتفع للمفاعل الذري ليس عقبة ، لأن جميع البلدان السائرة في طريق التطور الاقتصادي والراغبة في الحصول على مركز نووي تقدم لها حالياً مساعدات مالية كبيرة حيث يمكن استيفاء ثمن المفاعل الذري على اقساط مرغبة مثال ذلك ماجرى في الهند . فقد قسطت كلفة مركز تارابور النووي لمدة (٤٠) سنة بفائدة قدرها (١٪) واحد بالمائة .

أما العقبة الحقيقية في طريق تعميم استعمال الذرة في ثلث بلاد العالم فهي نقص العمال الفنيين الاكفاء حيث أن ادارة مركز نووي تحتاج الى اكثر من مائة مهندس وخبير لديهم الخبرة الكافية في مضمار فني معقد كهذا المضمار الذي نحن بصدده ، علما بأن تهيئة الخبرة لفن معقد وتهيئة عامل ذري ذي خبرة في حقل الذرة يحتاجان الى زمن طويل وجو ملائم وعدد خاصة .

نرى مما سبق أن المحاولات في هذا المضمار كثيرة وخاصة في آسيا وافريقيا واميركا الجنوبية . فالحصول على خلية ذرية بسيطة وخفيفة وخالية من الاخطار ورخيصة الثمن أصبح ضمن امكانيات هذه البلاد وذلك لأن سعر الوحدة الذرية اصبح لايزيد عن (٢) مليون فرنك وينزل من هذا الثمن مازيد عن المليون فرنك اذا كانت طريقة الحصول على الخلية المذكورة ضمن برنامج معين مثلاً – كبرنامج (الذرة للسلام) Atom for peace – فمن ناحية الشهرة فالعملية سهلة ويوجد حالياً ابيال للابحاث العلمية في (٣٠) دولة من دول ثلث الارض مثل الكونغو وكوريا وفورموزا وايران والهند والباكستان والفلبين وتايلاند ولكنها تؤدي الى متاعب كثيرة حين استخدامها . وقد اعلن السيد ايكلوند (M. S. Eklund) المدير العام للوكالة العالمية للقدرة النووية وعضو الامم المتحدة المختص في المساعدات الفنية

اعلن في احدى مؤتمرات استعمال القوى النووية ان بناء مركز ذري ليس بالخطوة الصعبة انما استعماله بصورة مجدية ومردود عال هو الارجح في الاهمية وهو الاصعب والادق.

فمثلا في كل من فنزويلا وتركيا يوجد بيل ذري . وقد وضع كل منها في بناء جميل ولكنه لا يستخدم، لوجود بعض المشاكل بين الاخصائيين والعمال. ونتيجة لذلك فقد أقفل كل من البلدين ابواب مركزيها وارسلا الفنيين الى المراكز النووية والجامعات في مختلف انحاء اوربا ليدرسوا ويتخصصوا في هـذا العـــلم ويعودوا الى بلادهم ويشكلوا اول فرقة نووية رائدة لفرق اخرى تأتي بعدها .

ان ادارة بيل ذري تحتاج الى مجموعات من الاخصائيين كل منها مؤلف من اربعة اشخاص ولا يقل عددها عن (١٥) مجموعة ، كما أن المفاعل يحتاج الى مالا يقل عن (٥٠) فنياً مقسمين الى اربعة مجاميع . وبهذه الطريقة يصبح بالامكان عمل برنامج ودراسات فعلية ، ويصبح البيل الذري مركز ابحاث اساسي لا للذرة فقط بل لتدريب الفزيائيين في حقول عملية متعددة ومتنوعة اخرى وتهيء شباباً فنياً مثقفاً .

كما ان ارسال اخصائيين اوربيين (اميركيين أو روس) يساعد على الاسراع في تقديم المعلومات الفنية وتدريب الفنيين على استعمال (الراديو ايسوتوب Radio isotop) في الصناعة والزراعة.

اهم الحسنات الاساسية التي يقدمها الراديو ايسوتوب (Radio isotop) :

نحن نعلم ان الذرة هي العنصر الاساسي المشكل لجميع المواد فاذا اخذنا ملم³ من الماء نرى انه يحتوي على (٣٥) مليار ذرة من الأوكسجين وضعف هذا العدد من الهيدروجين . وتركيب الذرة يشبه شكله شكل مجموعة شمسية ولكن مقاسه متناه في الصغر . فللذرة نواة مركزية تحتوي على نترون وبرتون تدور حولها

مجموعة من الاليكترونات . ولقد اكتشف الفيزيائيون أن الذرة في الجسم الواحد ليست متماثلة ولهذا السبب فقد سميت بالأيسوتوب (isotop) حيث كل ذرة تمتلك (أيسوتوب) أو كمية من الايسوتوبات . وقد لاحظنا بأن (١٣) ايسوتوب من اليود لاتفرق عن ذرة اليود الا بحجمها . كما ان بين هذه الايسوتوبات من يرسل اشعاعات الفا، وبتا، وكاما (Alpha , Betta & Gamma) التي ندرك خاصة اختراقها لاكثر الاجسام الموجودة في الطبيعة والتي يمكن مراقبة مسارها عبر الاجسام والمواد والمزروعات وجسم الانسان بواسطة عدادات خاصة (Compteur Speciaux) والتي يمكن استخدامها لمصلحة الانسان . لو اردنا أن نجعل أي جسم نشيطاً رديوياً (Radio actif) فكل ماعلينا عمله هو أن نضعه في داخل بيل ذري . كما ان في الاسواق التجارية الآن ما لا يقل عن (١٥٠٠) راديو ايسوتوب صنعي (Rrdio isiotop artiFiciels) أو عناصر رديوية (Radioelements) والراديو ايسوتوب المستعمل حالياً كتابع (Taaceur) أو كمصدر للاشعة (Sourcede Rayonnement) اكثر فائدة للبلاد التي ذكرناها سابقاً من القدرة الذرية وهذا للاسباب التالية :

السعر المعتدل للمواد اللازمة للاستعمال مع الراديو ايسوتوب كما ان مواصفات العمال الفنيين اللازمين لتشغيله أقل شدة من مواصفات العمال التي يتطلبها مركز ذري ، واخيراً وليس آخرا سهولة طريقة استعماله وسرعتها .

وبعد فها نحن نقدم لمحة خاطفة عن تطبيقات الراديو ايسوتوب الذي يمكن استعماله في البلاد المتطورة اقتصادياً .

في مجال الصناعة :

من الناحية الصناعية فللراديو ايستوب استعمالات كثيرة. في اكثر الاحيان

يستعمل في بعض الاجهزة البسيطة كقياس الكثافة المستعمل في اكثر معامل الورق والاقمشة وصفائح المعادن . وهو مفضل على أي نوع من الآلات حيث يكشف التسرب الذي يحدث بأنابيب البترول ويراقب سماكة الغبار المتراكم في المناجم الفحمية ، ويزن التبغ الموضوع في السجاير ويقيس سرعة دوران المواد الخام للبترول في محركات التصفية .

ففي عام ١٩٦١ حقق عنصر الراديو للصناعات الفرنسية وفرا قدره (٤٠) مليوناً من الفرنكات ولهذا فهو عامل ثمين للبلاد التي ذكرناها آنفاً في حل مشاكلها الصناعية .

في مجال الطب :

اما في الطب بجميع فروعه يلجأ الى العنصر الرديوي ، في الطب الجراحي والطب الداخلي وامراض الدم والامراض القلبية ، كدواء فعال لأمراض كثيرة ان هذا الخادم الفعال في العالم الذري يسمح بدراسات دقيقة لعمل كل عضو من الاعضاء في جسم الانسان (الكبد ، الكلية) ويحدد بسرعة موضع الالياف التي تتكون على العظام (Tumeurs) ولنأخذ المثال العملي التالي :

ان للغدد الدرقية خواص الاحتفاظ باليود والراديو النشيط ، فاذا شرب مريض صائم بعض مادة اليود ممزوجا بقليل من الشراب ووضعنا على رقبته كاشفا اشعاعيا حصلنا على صورة دقيقة لحجم وشكل الغدة الدرقية وتدعى هذه الصورة بالسنتغرام) (Scintigramme) ويكفي مقارنة هذه الصورة مع صورة غدة درقية عادية لابداء الرأي واعطاء العلاج اللازم قبل فوات الاوان وخاصة في حالات مرض السرطان . في افريقيا السوداء تقوم مستشفيات بجميع عددها بتأدية الخدمات الطبية مستخدمة العنصر الرديوي ماعدا ليوبولدفيل ودكر ولومة ، فانها لاتزال محرومة من استخدام منافع عنصر الراديو الطبي .

اما في آسيا وامريكا الجنوبية فالحالة احسن نوعا ما .

في مجال الزراعة :

اما في الزراعة فاستعمالات الراديوايسوتوب اكثر انتشارا وخاصة في البلاد المتطورة اقتصاديا لأنها تعتمد على المحاصيل الزراعية في موازنة اقتصادها فمثلا (٩٧٪) من واردات اثيوبيا تأتي من الزراعة وتربية المواشي ، وهذا مايجبر البلاد الغربية والمؤسسات المالية على تقديم الاجهزة والادوات للورش والمواد الضرورية لتأمين احتياجاتها من هذه المادة .

وبفضل عنصر الراديو يمكن تحديد احسن طريقة لتوزيع السماد (لقد جربت هذه الطريقة في احدى مزارع اشجار نخيل في الكونغو وكانت النتيجة أن أصبحت الكلفة (٥٠٠) فرنك للهكتار الواحد كما ويمكن تحديد كمية الماء الموجودة تحت الارض وذلك بتقدير سرعة تجددها في المناطق الجافة . في فترة العشر سنوات الماضية استعملت الهند حوالي (١٠٠٠٠) مثقب لحفر آبار ارتوازية آملة الحصول من كل بئر على ماء يكفي لمدة (٢٥) سنة على الاقل بينما كان بالامكان التنقيب عن المياه بواسطة التريتيوم Tritium والتأكد من وجود ماء وتحقيق الفكرة المطلوبة .

ان الجرعات القوية الناتجة عن اشعاعات العناصر الرديوية تخلق انواعاً جديدة من النباتات اكثر قوة (مثل القمح والشعير ذي الساق القصير) وجميع النباتات ذات اللحى (Dotées de Barbes) التي تحميها من هجوم العصافير . كما انها تبيد الحشرات مثل التروغودرما غرانازيوم (Trogoderma Granariun) التي تتسلط على القمح الهندي . كما ان باستطاعتها ابادة بعض الحشرات المزعجة مثل (سكرو وورم فلاي) Screw worm Ely ابادة تامة والتي من عادتها البيض في جروح الحيوانات الاهلية .

ولقد ابيدت هـــذه الحشرة من بعض المناطق الاستوائية وذلك بخصي ذكورها لمنعهـــا من التوالد بالرغم من امكانها القيام بالجماع المعتاد . إذبالرغم من وجود البيوض فانها لاتنتـج صغارها بسبب عقم الذكر الذي انتجها .

لقد طبقت هذه الطريقة في المكسيك للقضاء على ذباب الفواكه وطبقت في اليونان للقضاء على ذباب شجر الزيتون .

كما ان هناك بعض الدراسات قائمة مثل : تحسين بعض انواع القنب الهندي (Jute) في الهند » وتمثيل الماء في اشجار المطاط (Heveas) في كمبوديا،والتنقيب عن الماء الموجود تحت الارض في اليونان ، وخلق بعض الانواع الجديدة من الذرة والسمسم وفستق العبيد في الجمهورية العربية المتحدة (ولقد أسس مركز لهـذه الابحاث في انشاص من الجمهورية العربية المتحدة)وحفظ الاغذية في الباكستان.

ان باستطاعة القدرة النووية ان تساهم مساهمة فعالة في تقدم البلاد المتطورة اقتصادياً (١) . ولكن يجب ان ندرك بأنها ليست بالحل الوحيد لأنها تتوقف على تضحية الحكومات الغنية والمؤسسات الدولية . حيث من المستحيل عملياً تصميمها بالشكل الذي قدمناه . كما ان البلاد التي سميناها بثلث الارض محرومة أو شبه محرومة من الثقافة المسلكية كذلك فان الفنيين والعمال غير مهيئين للقيام بواجبهم بالتعاضد مع خبراء البلاد الاخرى في المساعدات التي تخصصها البلاد المتقدمة .

(١) من المستحسن ان نذكر ان المواد الاولية للصناعات النووية(كالأورانيوم والتوريوم والبريل والزركونيوم) الموجودة بكثرة وبصورة خاصة في الاراضي الافريقية تشكل مصدراً محترماً لعائدات تلك البلاد من القطع النادر .

الديموقراطية في المجتمع المعاصر

للكاتب اليوغوسلافي نايان باشيتش

ترجمة جورج طرابيشي

لقد غدت كلمة الديموقراطيــــة مكتوبة اليوم على جميع اعلام الاحزاب السياسية تقريباً . وليس ثمة احزاب أو نظم لاترجع نفسها الى « ارادة الشعب » ولاتقدم نفسها على انها ممثلة لهذه الارادة أو منفذة لها . حتى ان الانظمة الاستبدادية والدكتاتورية نفسها كالفاشية والوطنية ـ الاشتراكية لا ترغب في ان تعري نفسها من كل شكل ديموقراطي . ولقد كان لها تمثيل وطني مهمته الوحيدة في الحقيقة ان يشكل مساندة اجتماعية ومطلقة من الشعب للنظام القائم .

النقاش حول الديموقراطية :

ان استاذاً من النرويج اجتهد في ان يجمع كل ما جال في فكر الانسان عن

الديموقراطية وماقاله عنها على مر الزمن ، يؤكد ان يحق الديموقراطية قد احتلت مكاناً تفردت به عن غيرها كرمز سياسي في الايدلوجية المعاصرة وفي مجال الدعاوة:

« إن ظهور كلمة شغلت مثل هذه المكانة هو امر فريد في تاريخ اللغات البشرية . ومن المحتمل الى ابعد حدود الاحتمال أنه لم يحدث في الغابر ان استخدم اصطلاح سياسي واحد على مدى طويل في معناه المديحي او الهجائي او الحيادي ، ثم تم قبوله بالاجماع كشعار سياسي رئيسي من قبل جميع الاحزاب السياسية تقريباً(١) ».

وإنه لمن الجدير بالاهتمام البحث عن اسباب هذه الظاهرة . وثمة سببان يبدوان وكأنهما اهم هذه الاسباب :

الاول هو تعقد مفهوم الديموقراطية ودخول الاستعارة عليه ، الامر الذي يسمح بأن نفهم من كلمة واحدة اشياء متباينة كل التباين . وانه لمن البدهي للوهلة الاولى ان جميع الذين يدعون الى عبارة الديموقراطية ليسوا اشياعاً لدين واحد . ان التقبل العام للديموقراطية لفظياً لا يدل على وحدة عقائدية ـ سياسية للعالم المعاصر ـ بل الامر على النقيض من ذلك . انه قناع يستر الفرقة السائدة فيه .

ويمكن بصورة جزئية اعطاء تفسير للتأويلات المتناقضة عن الديموقراطية على صعيد النظرية وصعيد التطبيق ، برد ذلك الى استغلال هذا المفهوم لأغراض الدعاوة ، هذا الاستغلال الذي انتشر انتشاراً واسعاً في عصرنا ، والذي كان عبارة عن أداة معروفة ، كثيراً ماجرى استغلالها للهيمنة على الافكار . ان الدعاوات المختلفة التي تجتهد في ان تستثمر لصالحها قوة الجذب التي تمارسها الديموقراطية كرمز سياسي على الانسان المعاصر ، تحدد مضمون هذا الرمز بطريقة تعسفية ، وبتعبير ادق بطريقة تخدم الدعاوة التي هي بحاجة اليها .

---

(١) آرن نايس : « الديموقراطية والايديولوجية والموضوعية » . مطبعة جامعة اوسلو عام ١٩٥٦ .

ولا ريب في ان التشويش الذي يسود حول كلمة الديموقراطية ومدلولها ومقاييس تطبيقها لا يمكن ان يجد تفسيره في الاستغلال لأغراض الدعاوة وحدها.

إن الاختلاف حول الديمقراطية وتفسيرها أمر له جذوره المادية العميقة، وعلينا أن نبحث عنه في الواقع الاجتماعي - الاقتصادي والواقع الطبقي للمجتمع الحديث الذي يتم فيه تبديل الانظمة الاجتماعية. ان المرحلة الراهنة من تطور العالم الاجتماعي لا تتميز بسيطرة مطلقة لطبقة قادرة على فرض وجهات نظرها على المجتمع قاطبة. اننا نشهد، في جميع ميادين الحياة الاجتماعية، من الاقتصاد الى الايديولوجية، صراع الاتجاهات المتناقضة التي تعبر، من جهة اولى، عن ازمة سيطرة البورجوازية وتطور الاشكال الدولية (من الدولة) اعني اشكال رأسمالية الدولة، وتعبر من جهة ثانية عن تغلغل العناصر الاشتراكية وتوطدها في التنظيم الاجتماعي، اعني صعود الطبقة العاملة. وتتجاوب مع هذه الاتجاهات العميقة الاختلاف في حركة المجتمع الراهنة، مفاهيم مختلفة عن الديمقراطية.

اما السبب الثاني الذي اصبحت الديمقراطية من اجله، لفظياً على الاقل، المثال الاعلى السياسي للجميع، أو بتعبير ادق السبب الذي تحتل من اجله المكانة الرئيسية في معارك عصرنا العقائدية والسياسية، فينبغي ان نبحث عنه في احد التناقضات الاساسية من تناقضات المرحلة الراهنة من تطور المجتمع. فمن جهة اولى، اتخذت سيطرة الانسان على الطبيعة نسباً عالية، وازدادت الامكانيات المادية لاشباع حاجات الانسان الاساسية زيادة مرموقة. وإذا اخذنا بعين الاعتبار نمو قوى الانتاج، لم تعد هناك من ضرورة موضوعياً كما تظل الحياة البشرية خاصة للايقنية الصراع من اجل الوجود ولصعوباته. إن ما كان - جزئياً فقط - واقع حياة اقليمية تافهة قد اصبح امكانية للجميع. ولقد ارتفع في الوقت نفسه

المستوى العام للتعليم والثقافة ، وزادت معارف الانسان المتوسط عن نفسه وعن وسطه ، واصبحت متطلباته تجاه الحياة اكبر وأكثر تعقداً.

ولقد خلق هذا كله شروط الاتجاهات والمشاريع الديموقراطية. لقد اصبحت الديموقراطية باعتبارها شكلاً ووسيلة لتأثير « الانسان المتوسط » على مجرى القضايا الاجتماعية وعلى شروط الحياة ، مرحلة التقدم الضرورية .

كما ان علاقات الفرد بالمجتمع قد اصبحت من جهة ثانية ، وثيقة ومعقدة ، واصبح الفرد اكثر تبعية وخضوعاً وعجزاً امام التناقضات الضخمة للقوة الاقتصادية والسياسية ، على اثر التطور الاجتماعي ، بشكل خاص في الرأسمالية الاحتكارية وبشكل عام في المرحلة الراهنة من تبديل الانظمة الاجتماعية . وممثلو هذه القوة الاجتماعية هم احتكارات الرأسمالية الاقتصادية والاحزاب الكبيرة ، والنقابات والمنظمات المشابهة ، التي تأخذ هي ايضاً طابع الاحتكارات ، وقبل كل شيء ، الدولة بجهازها الضخم من الموظفين وبجهازها العسكري ، وبكفاءاتها شبه اللامحدودة . وجميع هذه المنظمات ذات تسلسل متين ، وبنية بيروقراطية .

انها تشكل ، باعتبارها اساساً لسلطة متعاظمة متمركزة في ايدي الادارات البيروقراطية ، درجة جديدة في استلاب القوى الاجتماعية . لقد بات الانسان عاجزاً عن السيطرة على هذه القوى ، وعليه ان يخضع لها .

ان التوتر الضخم بين الشروط المادية الممهدة (التي تم خلقها) لتحرر الشخص الانساني ، وواقع عبوديته الاجتماعية ـ يعطيان في عصرنا هذا اهمية استثنائية لمشكلة الديموقراطية باعتبارها مشكلة سيطرة الانسان على علاقاته الاجتماعية الخاصة واذا مافهمت الديموقراطية على هذا النمط ، فانها لاتعود شكلا من بين اشكال ممكنة للتنظيم السياسي ، اشكال يمكن ان تقدر قيمتها تقديراً

متبايناً ، لكنها تصبح الوسيلة الضرورية لتحرر الانسان . ولا تحصل الديموقراطية على هذا المعنى الجديد الا عندما تبدأ الطبقة العاملة بتوكيد نفسها على انهـا القوة الاجتماعية التي لا يمكن ان تكون سلطتها واقعية الا اذا كانت ديموقراطية ، والا اذا قادت هذه السلطة ، الجماهير الشغيلة ، تأثيراً مباشراً وحاسماً على مجرى القضـايا الاجتماعية ، وعلى ادارة جميع اشكال النشاط الاجتماعي .

محاولة للتعريف

ان النظرية السياسية تحتوي العديد من تعاريف الديموقراطية . ومن اشهر هذه التعاريف واكثرها شعبية واقربها الى دلالة اللفظـــة الاشتقاقية ، تعريف لنكولن الذي ينص على ان الديموقراطية هي « حكم الشعب بالشعب وللشعب » . غير انه لم يقم في اي مكان من العالم نظام ديموقراطي ملائم حقاً لهذا التعريف . ان هذا التعريف ، بفهمه للديموقراطية على انها مثل أعلى لا واقع اجتماعي ـ سياسي ، لا يأخذ بعين الاعتبار الشروط السياسية التي حددت النماذج العينية المختلفة من الديموقراطية ، هذه النماذج التي كانت جميعها حكماً لفئة اجتماعية محددة ، لطبقـة ما .

ان تحليل آلية وعمل اي نظـام ديموقراطي تاريخي ، يدلنا على ان الديموقراطية المفهومة على انها حكم مباشر للشعب اجمع قد كانت دوماً خيالا بعيداً ان قليلا وان كثيراً عن الواقع . ان الأطر الضيقة التي تحققت فيها الديموقراطية عملياً ، والتباينات بين عقيدة الانظمة الديموقراطية وواقعهـا ، تنبع من ان الديموقراطية كانت دوماً ، في ماهيتها وفي مظاهرها الاخرى ، نتاج مجتمع طبقي شكلا تحقق فيه الطبقة المسيطرة حكمها في الشروط التاريخية المعطاة .

ان الديموقراطية هي شكل تنظيم سلطة الدولة ، ووجود الدولة بالذات

يستلزم انفصالا : استلابا لوظيفة ادارة الشؤون الاجتماعية بالنسبة الى المجتمع . ان الحفاظ على الأمن مثلا ، شأنه شأن سائر القضايا العامة ، غير متحقق مباشرة على على ايدي اعضاء المجتمع (ولو كان الأمر كذلك لتحقق معنى الديموقراطية الحرفي)، بل على يد جهاز خاص ، متميز عن المجتمع ، يملك تحت متناوله اكراهامنظما .

ان الديموقراطية ، باعتبارها نظاماً ، متفاوت التطور والفعالية ، للرقابة الاجتماعية على ممارسة السلطة العامة ، تمثل شكلا من اشكال الغاء استلاب القوة السياسية بالنسبة الى المجتمع والى الانسان المتوسط . لكن هذا الالغاء ، حتى في اكثر نماذج الديموقراطية نمواً وتطوراً ، ناقص وغير متماسك ، ذلك لأنه يتم في الأطر الضيقة لنظام طبقي ، وحين يتم فعلا القضاء على هذا الاستلاب ، وحين تكف السلطة العامة حقاً عن ان تكون قوة فوق المجتمع ، فان الدولة سوف تلغى وتلغى معها الديموقراطية .

ومن الضروري ، كما تتجلى الديموقراطية ، ان توجد شروط تاريخية تسمح ، بل تتطلب ان تقترب ادارة الشؤون الاجتماعية من المجتمع ، وان تخلق لهذا الغرض امكانيات تكوّن حر وتعبير حر عن الآراء بصددالشؤونالاجتماعية وان تتصارع هذه الآراء وتتكون في اطار ارادة الاغلبية ، وان تتحقق اخيراً ارادة الاغلبية هذه ، بصورة منظمة ، يحددها القانون ، في التطبيق الاجتماعي .

ان اشكال الحكم الديمقراطية تمثل ، في الزمان والمكان على حد سواء ، مكاناً صغيراً في تاريخ المجتمع الطبقي . وعلاوة على ذلك ، فان الديمقراطية كانت دوماً مقتصرة على بعض دوائر الحياة الاجتماعية ، وفي غالب الاحيان على فئات محدودة من السكان ، وتتجاوب مع انماط المجتمع الطبقي المختلفة من الديمقراطية . وإذا كانت انماط الديمقراطية التاريخية المتباينة تختلف بعضها عن بعض ، فان

اختلافها ناتج بشكل رئيسي عن التمديدات المختلفة التي يعينها كل نمط من هذه الاغــــاط لمصلحة حكم طبقة محدودة. ولهـــذا ينبغي الا نبحث عن تفسير لطبيعة شكل معين من اشكال الديمقراطية في مبادئها العامة، هـذه المبادىء التي ليست الا التعبير العقائدي عن التنظيم السياسي المعطى، بل في العلاقات الطبقية التي هي أساس لهـا.

شروط الديموقراطية التاريخية والاجتماعية

إن الطبيعة الطبقية للديموقراطية لم تكن خافية على مؤسسي العلم السياسي، المثلين العظام لفلسفة اليونانية. ويصف ارسطو، الذي يفوق عظمة من وجهةالنظرهذه، العديدمن النظريين البورجوازيين الذين تكلموا في الديموقراطية، يصف الاشكال السياسية حسب مقاييس طبقية، حسب الطبقـة التي هي المالك الحقيقي للسلطة.

«... حينما تستمد الحكومات سلطتها من الغنى، سواء أكانت اقلية أم اغلبية، فانه حكم الاوليغارشية (١). وحين يحكم الفقراء، فانها الديموقراطية... وعلينا ان نقول إن الديموقراطية تكون حيث يكون البشر الاحرار هم الحاكمين، وان الاوليغارشية تكون حين يكون الاغنياء هم الحاكمين، لكن ينتج عن ذلك ان الطبقة الحاكمة ديموقراطياً كثيرة العدد والطبقة الحاكمة اوليغارشياً قليلته، لأن هناك الكثير من البشر الاحرار بالولادة والقليل من الاغنياء» (السياسة — المجلد الثالث).

إن ارسطو يعرف واقعتين مميزتين للديموقراطيةالقديمة: المساواة الشكلية في الحقوق بين البشر الاحرار، واستبعاد الطبقة المستغلة من الحياة العامة استبعاداً

(١) حكم الأسر الغنية. «المترجم».

مطلقاً ، واعني بها طبقة العبيد التي كانت تشكل ، حتى في الفترة التي بلغت فيها الديموقراطية القديمة أوجها، غالبية السكان . وأشهر صفة في الديموقراطية القديمة ، الصفة التي جعلتها طوال قرون مثالاً لا مثيل له ، هي مساهمة المواطنين مساهمة مباشرة في ادارة الشؤون الاجتماعية وفي تنظيم اهم العلاقات الاجتماعية . فالجمعيات الاثينية العامة المشهورة ، بما تضمه من آلاف المساهمين المتساوين في الحقوق الذين يتناقشون في الساحات ويتخذون القرارات ، ومحاكم الشعب بقضاتها الذين يتم تعيينهم بالقرعة ، والذين يأخذون قراراتهم بأغلبية الاصوات ، والموظفون المامون المنتخبون ديموقراطياً لأجل مسمى، إن جميع هذه المؤسسات كانت تعطي الديموقراطية مضموناً واقعياً للغاية ، **على الاقل بالنسبة الى من كانت تقوم على اكتافهم .**

اما اليوم ، فانهم يفسرون في غالب الاحيان طابع الديموقراطية المباشرة بالعدد الصغير من المواطنين الذين يشكلون جزءاً من الهيئة السياسية ولا مجال للشك في ان بعض سمات هذه الديموقراطية يمكن ان يفسر جزئياً بهذه الظروف. لكنهم ينسون ان يأخذوا ايضاً بعين الاعتبار عنصراً اساسياً من عناصر الديموقراطية القديمة ، اعني به اقتصارها الدقيق على الطبقة السائدة . ان التناحر الاساسي التناحر الذي قام بين ملاك العبيد والعبيد انفسهم ، كان مبدأ عن دائرة الحياة الاجتماعية التي يشملها التنظيم الديموقراطي . **وهذا امكن لهذه الديموقراطية ان تكون واسعة ومباشرة الى هذا الحد بالنسبة لمن كانوا يتمتعون بها .**

ان للديموقراطية القديمة صفة استثنائية ونوعية ، ليس لها علاقة وثيقة بطبيعة نظام العبودية نفسه . إن التاريخ الحقيقي للديموقراطية لا يبدأ إلا مع ظهور البورجوازية على مسرح التاريخ . إن نظريي الديموقراطية البورجوازية الكبار، امثال روسو ولوك ومونتسيكيو وغيرهم ، قد اطلقوا في العالم افكارهم وكأنهم

اكتشفوا المبادىء الازلية للتنظيم الاجتماعي المتناسب مع الطبقة البشرية ومع التطلع الى المساواة والحرية .

لكن هذه الافكار ، بالرغم من انها عامة ومضادة للتاريخ في اشكالها، تعبر في ماهيتها بما فيه الكفاية من الأمانة عن الشروط التاريخية التي قادت فيها البورجوازية النضال من أجل توطدها الاجتماعي ، ومن أجل صعودها الى الحكم كطبقة قائدة جديدة .

لقد كانت البورجوازية الصاعدة بحاجة آنذاك الى عقيدة يمكنها استخدامها كأداة ناجعة في النضال من اجل تصفية عدم المساواة والامتيازات ذات الطابع الاقطاعي ، من أجل تكوين أرض قومية موحدة ، ومن أجل تنظيم آلية لتحديد جهاز الدولة ومراقبته ، هذه الدولة التي كان من الممكن ، من جهة اولى ، أن تبدو خطرة باعتبارها الحصن الأخير للعناصر البيروقراطية ـ الملكية والمناصرة للاقطاعية، والـــتي كانت ، من الجهة الثانية ، ضرورية لتوطيد وترسيخ هيمنة البورجوازية باعتبارها طبقة حاكمة جديدة .

كانت البورجوازية بحاجة الى عقيدة جذابة بما فيه الكفاية ، ومقبولة من الجميع ، تعبر عن صبوات « الجنس البشري » لتستطيع بالتالي ان تجمع تحت رايتها في النضال ضد الاقطاعية جميع الطبقات المستقلة ، وجميع فئات السكان ـ لكنها في الوقت نفسه عقيدة مجردة وبعيدة عن الواقع السياسي بما فيه الكفاية ـ كيما يمكن للمؤسسات القائمة على أساسها ان تحول حكم الشعب الشكلي الى سيطرة واقعية للبورجوازية . ان الافكار المتناقضة ظاهريا ، الافكار عن الديموقراطية غير المباشرة ، والتمثيلية ، التي شرحها مونتسكيو ولوك والاخرون ، والافكار عن السيادة الشعبية الديموقراطية ، التي دافع عنها روسو ، كان بمقدورها ، جميعها ، ان تضع أسس نظام الديموقراطية البورجوازية كما كان يحدث فعلا في اكثر البلدان الرأسمالية تطوراً خلال القرن التاسع عشر .

« للبحث صلة »

أمين الرافعي

بقلم خالد محمد اسماعيل



أمين الرافعي

لاأجد صفة ألصق بشهداء اليوم من الغربة

الناس أمامهم فريقان :

عدو لايرحم

وصديق لايفهم ،

عدو لايستقر له حال حتى يواري الشهيد ثراه

وصديق مشفق غافل كأن الأمر لايعنيه !

ومن هنا كان أمين الرافعي غريباً في دنيا الناس . .

قال الشاعر محمد الأسمر رحمه الله :

« وما كان أشبهك في حياتك بسعيد بن جبير ، قال له الحجاج ألم تكفر بخروجك على المؤمنين ، ان في اقرارك بذلك منجاة لك . رأس سعيد في كفة ، وكلمة الحق في كفة اخرى ، ترى ماالذي رجح في نظر سعيد ؟ لقد قذف بكلمة الحق في وجه الطاغين واضحة جلية : ما كفرت بالله منذ آمنت به . ولقد أرسل رأسه ثمناً لهذه الكلمة .. وكذلك كنت يا أمين ، المال والجاه

والصحة في كفة ، والعقيدة في كفة ، يا أمين لاتبع ثلاثة بواحدة ، ولكن قد باعها أمين ! باعها غير آسف أو متردد ، فاذا به مقل ، وإذا به مريض ، وإذا به شهيد ! »(١) .

فمن هو أمين الرافعي .
من منا يذكر هذا الاسم ؟ ومن منا يعرف صاحبه ؟
ألم يكن ملء السمع والبصر والفؤاد ؟
ألم يكن قلب أمته وعقلها وسيفها القاطع البتار ؟
ألم يكن يوماً أمين الرافعي ؟

تلك شيمة الدنيا – إذاً – يوم تضطرب فيها الموازين ، تنسى شهداءها الابرار وتتنكر لهم ، ثم تعود مسبحة بحمد من لايعدلون عند الله حفنة من تراب !

* * *

في يوم الاربعاء الثاني والعشرين من تشرين الاول عام ستة وثمانين وثمانمائة الف ، وفي بيت الشيخ عبد اللطيف الرافعي في مدينة القاهرة ولد أمين بن عبد اللطيف الرافعي. وهو سوري الاصل ، مصري المولد ، اسرته من « طرابلس الشام » توافد أهله وبنو عمومته قبل اكثر من قرن ونصف قرن الى مصر يتولون القضاء ويعلمون مذهب أبي حنيفة ، حتى آل الامر من بعد ان اجتمع منهم في وقت ما أربعون قاضياً في مختلف المحاكم المصرية ، واوشكت وظائف القضاء والفتوى أن تكون مقصورة على آل الرافعي ، وقد تنبه اللورد كرومر الى هذه الملاحظة فأثبتها في بعض تقاريره الى وزارة الخارجية الانجليزية .

ولا يزال من آل الرافعي وعشيرته الى اليوم قبيل يعيشون على أرض «طرابلس الشام» .

نشأ امين في بيت التعبد والتدين ، فأبوه وعمومته وجده من رجال الشريعة والمفتين وعلماء الدين فكان ميراث أمين منهم عقيدة صافية ، وخلقاً رضياً ، وصبراً على الشدائد والأعاصير عجيباً .

وبحكم وظيفة والده كنت لايعرف الاستقرار في مكان ، فهو يوماً في القاهرة، ويوماً في الزقازيق ، ويوماً في الاسكندرية ، والابن المجد يتنقل مع أبيه من مدينة الى مدينة ، ومن مدرسة الى مدرسة ، فيتعرف في كل يوم الى وجوه جديدة ، ويخبر في كل حين نفوساً جديدة، ويتأمل على مهل أدواء الناس في بلاده ، كأن الله سبحانه يعده ليوم موعود ..

---

(١) « الكشكول » ٦ كانون الاول ١٩٢٨ . أنظر « ذكرى فقيد الوطن » جمع وترتيب محمد صادق عنبر – ٧١٠ صفحات مطبعه النهضة بمصر ١٩٢٨ .

ويتم الرافعي دراسته الابتدائية في الاسكندرية فيدخل المرحلة الثانوية وبه شوق عارم لآمال جديدة ، لقد كان يجد ويجتهد ليحرز الأولوية في مجال المدرسة ، أما الآن فهنالك ماهو أكبر من المدرسة هناك بلاده ، وهناك ماهو أخطر من الشهادة هنـالك الانجليز .. وتمتد آفاق الرافعي سعة حتى تشمل بلاده بأطرافها البعيدة المترامية ، وعمقاً حتى تدرك آلام أمته ومعضلاتها ..

ومنذ يومه ذاك ـ وهو يخطو فوق عتبة الدراسة الثانوية ـ يعيش امين مجالين اثنين : صغيراً هو مدرسته ، وكبيراً هو بلاده . ولئن نأى به السكن عن العاصمة مركز الحركة والنشاط فحسبه مايتسقط من أخبارها ، واخبار رجالها ، وبخاصة انباء الفتى الثائر الذي ملأ اسمه الآفاق وأقام اوربا ولم يقعدها .. مصطفى كامل ، ولـكم يود امين ان يلتقي به ، ان يجلس اليه ، ان يتلمذ عليه ويتعلم منه !

وتمضي بأمين سنوات الدراسة فلا تزيده الا ادراكا لواقع أمته ، ولهفة لتحقيق آمالها حتى يتخرج في المدرسة الثانوية عام خمسة وتسعمائة وألف .

ويستجيب أمين لميله الفطري نحو الحرية فيدخل « مدرسة الحقوق الخديوية » في القاهرة . ويبرز فيها كأحرص مايكون الطالب عليه من تحصيل مضن واستقصاء عميق لأسرار المعرفة ، الى جانب شخصيته المتفتحة ، فلا غرو أن يصبح أمين الفتى المرموق في مدرسته ، والمثل القدير عن طلابها في كل المناسبات .

ويكون الفتى المتفتح للحياة والاصلاح الاجتماعي من العاملين على تأسيس « نادي المدارس العليا » سنة ست وتسعمائة والف ، الذي افتتح في اليوم الخامس من شهر نيسان من تلك السنة ، وأمين طالب في مدرسة الحقوق (فصار بمثابة معهد علمي وطني أخلاقي تكوّن فيه جيل من خيرة النشء المصري ، وكان الفقيد ركناً من أركان النادي وعضواً عامـلاً من أهم أعضائه ، فاشترك بنصيب كبير في الأعمال التي قامت فيه ، ففيه أسست جمعية رعاية الاطفال ، وفي قاعاته كانت تجتمع لجنة إدارة الجامعة المصرية ، وفيه نشأت مدارس الشعب فأنشئت عدة مدارس لتعليم العامة ، وفيه نشأ مشروع النقابات الزراعية ، وكان النادي معهداً أخلاقياً يروض الطلبة فيه أنفسهم على الاخلاق والفضائل ، فقد إنفرد بخلوه من الميسر والمسكر اللذين يعيش بهما معظم الاندية ، فلا غرو إن كان النادي أكبر مقوم لأخلاق الشباب في ذلك العصر » . (١)

ولا غرو ـ ايضاً ـ أن تتلقـه السلطة العسكرية عام أربعة عشر وتسعمائة وألف حين أعلنت الحماية الانـكليزية على مصر .

(١) محمد صادق عنبر : « ذكرى فقيد الوطن » ص ٣ ـ ٤.

وقد ألقى أمين الرافعي في اليوم السادس من نيسان عام تسعة وتسعمائة وألف خطبة شائقة بمناسبة العيد الثالث لتأسيس النادي — وكان سكرتيراً له — قال فيها :

« ... قرة عين كل منا أن يرى النادي باقياً يحفه الرقي والجلال ، ويشفق أن يناله ضرر أو يمسه سوء ، نحافظ عليه محافظة الوالدة على ولدها ، وندافع عن كيانه ماسرت في العروق الدماء ، وما نبضت بين الجنوب القلوب . هذا عهد بيننا لا يغيره تنقل الزمان وتلونه ، ولا علل الدهر وحوادثه ، وما ذلك الا لأننا نعتقد أن النادي هو الدعامة الكبرى التي ترتكز عليها النهضة العلمية في مصر ، وهو الدليل على رقي الناشئة وكفايتها ، والبرهان على حبها للعلم والعمل على رفعة الوطن . النادي هو الأمل ، النادي هو المستقبل ، فاذا ما أصيب بسوء انهارت أركان النهضة العلمية وتزعزعت الثقة بالغد ، واستحكم الموت في النفوس ، وتطرق الى الامة اليأس والفشل ، ولكن لا خوف ولا خطر فكل بناء أساسه الاخلاص والصلاح لابد ان يبقى « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس فيمكث في الارض كذلك يضرب الله الامثال » (١) .

ولئن وجد أمين في القاهرة دنيا واسعة لآماله ونشاطه ، فقد ازداد — مع ذلك — قرباً من قلب بلاده .. عاصمتها ، وازداد قرباً من لسان بلاده .. مصطفى كامل ، فازداد إعجاباً به والتصاقاً وبدأ يكتب في جريدته «اللواء» .

لقد وجد أمين في الصحافة — كما تقول هدى هانم شعراوي — ميدان عمله واداء رسالته ؛ وجد فيها خير وسيلة للاتصال بأمته واسماعها حقيقة قضيتها ، وابلاغها الرأي والمشورة ، وبدأ حياته الصحفية بداية تدلنا على اسلوبه في الاصلاح ، فكتب في جريدة «اللواء» سنة ستوتسعمائة وألف مقالاً بعنوان « التربية والاسرة » دعا فيه الى العناية بطبع النشء على الصلاح وأبان ان التربية العائلية هي أساس تكوين الرجل ، وان التعليم يجب أن يقترن بالتربية .

وكتب عام سبعة وتسعمائة وألف دراسة عن «غاريبالدي» كانت تفيض بالمواطف الصادقة وتحض على التحلي بالفضائل والاخلاق والتضحية في سبيل الواجب .

ثم درس التاريخ وكتب بحثاً تحت عنوان «كيف يدرس التاريخ» يدل على ميله العميق الى دراسة التأريخ أحداثاً ورجالاً .

ومما نشره عام ثمانية وتسعمائة وألف مقال عن « وظيفة المرأة واعدادها لتأديتها » جاء فيه بآراء بلغت الغاية في الروعة والابداع .

ويحس أمين بما تلاقيه الصحافة من تضييق ومراقبة . فيكتب في «اللواء» في السنة ذاتها مقالاً تحت عنوان « خطر يهدد حرية الصحافة » يقول فيه :

---

(١) جريدة « اللواء » ٧ نيسان ١٩٠٩ ، وانظر محمد صادق عنبر في «ذكرى فقيد الوطن » ص ٣ — ٤

« إن حرية الكتابة وحرية القول هما الدعامة التي ترتكز عليها المدنية الصحيحة ، فاذا ماست احداهما بشيء خيف على المدنية الزوال وأصيب العدل في أكبر أركانه ، فكم من مظالم أرتكبت ، ودماء أريقت ، وأموال سلبت ، دون أن يصيب مرتكبها أذى لتقييد حرية الكتابة التي (١) تلجم الافواه عن الجأر الى الله من الجور والعسف ، وتغل الاقلام عن الاستصراخ بالحق ، لذلك رأينا الامم اذا أخذت في التكون ، وسرت في عروقها دماء الحياة ، نادت بحرية الصحافة ودافعت عنها ما استطاعت لاعتقادها أن فيها الزاجر القوي الذي يصدع النفوس الشريرة ، والهيئات المستبدة ، ويمسكها عن ايصال الاذى الى الغير فتسلك سبيل الحق والعدل وتكف عن المظالم ، وكذلك نرى كل سلطة شورية تحترم هذه الحرية وتحافظ عليها وبعكسها نشاهد السلطة المستبدة تعمل جهدها لاطفاء هذا النور (٢) » .

كتب كل ذلك وهو لمّا يزل طالباً في مدرسة الحقوق الخديوية ..

ويوم تخرج امين الرافعي في مدرسة الحقوق عام تسعة وتسعمائة والف كتب أولى مقالاته، سلسلة عن نظام التعلم في هذه المدرسة ، شرح فيها جناية الانكليز على التعليم العالي ، وما أفسدوا من نظمه ، وقد كان لهذه المقالات اثرها في وزارتي المعارف والحقانية ـ يومذاك ـ اذ ظهرت حركة ترمي الى اصلاح نظام التعليم في مدرسة الحقوق ، فأوفدت وزارة المعارف لاول مرة بعثة علمية الى الخارج للتخصص في العلوم القانونية .

لقد انضم امين الرافعي الى هيئة تحرير جريدة « اللواء » بعد تخرجه في مدرسة الحقوق، فوجد ان سياسة « الوفاق » بين الخديوي والانكليز على أتمها ، فأنشأ المقالات العنيفة في مهاجمة الخديوي لتهاونه بحقوق البلاد واتفاقه مع الغاصبين . وحين تشتد وطأة « الوفاق » على الامة تشتد من المعسكر الآخر حملة الامة متمثلة بأمين الرافعي ، وتتنمر جريدة « اللواء » الانذار الذي يعقبه التعطيل ، فما كان من أمين الا أن يدعو الامة بصلابة الى اعلان الحداد في اليوم الرابع عشر من ايلول احتجاجاً على الاحتلال الذي اصيبت به البلاد في ذلك اليوم من سنة اثنين وثمانين وثمانمائة والف !

وتلف البلاد موجة كالحقمن الارهاب لتمرير مشروع جديد من مشاريع العدو ، اذ يعمل الانكليز والخديوي في الخفاء لتمديد امتياز شركة قناة السويس أربعين سنة اخرى تنتهي في عام ثمانية والفين ، وينتفض الحارس الامين مشمراً عن ساعد الثورة ويواصل الليل بالنهار لاحباط هذا المشروع الرامي الى امتصاص البقية الباقية من دماء امته ، فيهاجم المشروع بقسوة ، ويفند

---

(١) لعلها : الذي يلجم الافواه .... ويغل الاقلام .

(٢) محمد صادق عنبر في « ذكرى فقيد الوطن » ص ١١ ـ ١٢ .

باطله ، ويبطل حججه ، بمنطق الحق وأدلة القانون ، ويثير الرأي العام عليه ، حتى تتوج ثورته — بعد جهاد شهور مضنيات — بالنصر .

وبدسيسة من الواشين الحاقدين يحدث خلاف حول ملكية جريدة « اللواء » بين ورثة المرحوم مصطفى كامل والمشرفين عليها ، فيطوي أمين صفحة مشرقة من صفحات جهاده ليفتح صفحة مباركة اخرى على صفحات جريدة « العلم » .

وكعادة العدو في محاربة الاصوات المتعالية بالحق ، يضع القوانين الجائرة لكم الافواه وتحطيم الاقلام ، فيهتف امين بمجلس الشورى أن : قفوا بوجه هذه القوانين ! غير ان القوانين تمضي — بقوة الغاصب وخنوع الخانع معاً — الى مارسمت لها من تقييد الامة وارهابها .

ولكن .. هل يسكت القفص البلبل الصداح عن تغريده ؟

لقد تناول امين في سلسلة مقالات عنيفة غاية العنف امثلة من مقاومة الامم لضروب الظلم والاستبداد ، وارسلها صرخات مدوية تحدثت عن « شهداء الحرية » و « فيكتور هيجو في منفاه » و « آثار الاستبداد في اخلاق الموظفين » و « حق الامم في الحرية » و « نحن والمحتلون » و « الامم الحقيقة بالبقاء » و « موقف الامم حيال غاصبيها » ، ارسلها صرخات ثائرة ليعلم امته كيف تصمد ببسالة بوجه الظلم والظالمين ..

وحين كتب يستقبل عام عشرة وتسعمائة والف مستعرضاً لحوادث السنة الماضية وأطوار الحركة الوطنية ، نعى سياسة الاضطهاد التي اتبعتها الحكومة حيال الامة :

« اننا مهما حاولنا أن نستعيد ذا كرتنا ونقلب تلك الصحف التي طويت بالامس لم نقف على يوم رخاء مر بهذه الامة الاسيفة ، فكل يوم من أيام العالم كان مشوباً صفوه بالكدر ، اذ لايكاد يندمل جرح من جروحها حتى يصيبها سهم جديد ، وتلك سنة الامم التي تجاهد في سبيل حريتها واستقلالها ، فلن يضيرنا اذن مانلاقيه في هذا السبل من صنوف العذاب وضروب الالام ، وليست تلك الخطوب التي أصبنابها في هذا العام بشيء في جانب مانزل بالامم المجاهدة من قبل .. (١) » .

وتضيق السلطة بجريدة « العلم » فتعطلها مدة شهرين لأنها — كما قالت في قرار التعطيل — قد خرجت عن حد الاعتدال . ولكن هل يعرف امين الرافعي اعتدالاً او حداً للاعتدال وسكين الجزار المعطشى للدماء فوق النحر ؟

وتصدر خلال هذين الشهرين اكثر من جريدة ، ويرتفع على صفحاتها صوت امين الرافعي كأصلب مايكون الرجال :

---

(١) ذكرى فقيد الوطن : ص ١٧ .

« اننا نقول للقائمين بالأمر ان سياسة الشدة والاضطهاد لاتجدي نفعاً ولا تؤثر في نفوس الامة التي تنشد الحرية وتبغض الذل والاستبداد ، فكلما زادت الحكومة في الضغط زادت الامة قوة وبأساً ، وما مثل هذه السياسة تقاد الشعوب ، فالدهر قلب والايام دول والحرية مصير كل امرىء وكل بلد وكل أمة ، واذا استطاعت الحكومة تحطيم الاقلام وكم الافواه فلن تستطيع أن تطفىء تلك العاطفة الوطنية الـكامنة في القلوب والضلوع . »(١)

وتشتد بالامة سورة الارهاب والتضييق ، فيسافر وفد مصري الى أوربا لعرض قضية البلاد على الرأى العام العالمي ، ويعقد في « بروكـسل » عام عشرة وتسعمائة والف مؤتمر ضخم عرف « بمؤتمر بروكـسل » حضره كثير من ممثلي العالم ، وكان أمين الرافعي ركيزة أساسية من ركائز هذا الوفد ، كان يكتب الى جريدة « العلم » وقائع المؤتمر خطوة خطوة تحت عنوان « رسائل المؤتمر » فيتلقفها المصريون بلهف كبير .

يقول رفقاؤه في هذا المؤتمر أنه كان يظل عاكفاً ساعات وليالي وهو يدون « رسائل المؤتمر » ليبعث بها الى بلاده ، وكثيراً ما كان يشفق عليه أصحابه من عناء العمل ويلاحظون عليه انه كان يكب على الكتابة حتى في اوقات الراحة والتنزه ويطلبون اليه أن يعرف لنفسه حقها في الراحة ، فـكان جواب المتيم بحق امته :

« دعوني .. فان علي مهمة يجب أن اؤديها بصدق واخلاص ! » .

ويعود الوفد من أوربا ..

ويعود أمين معه عليل الصحة ، مهدود القوى ، ليجد بلاده على أبواب انتخابات الجمعية التشريعية ، فيقود الحملة الانتخابية ولكن الى جانب من ؟

لقد اشترط فيمن يتقدمون لتمثيل أمتهم أن يتميزوا بشرطين أساسين ، الكفاءة والاخلاص، ودعا الامة الى مساندتهم ، كما دعا الحكومة لأن تفسح الطريق أمام الامة لتقول كلمتها فيمن تريد وفيمن لاتريد .

وكان اسلوبه في مراقبة الجمعية التشريعية ذا شقين :

الاول : تتبع اعمالها ومواقف أعضائها ودراسة القضايا التي تعالجها وتزويدها بالنصوص والوثائق القانونية فيما يعينها على مهمتها .

والثاني : بث الوعي السليم في صفوف الامة ، باعتبارها المرجع الاصيل فيما يعترض طريقها من قضايا ، فلابد — اذاً — من أن تشارك في الانتخاب ، ولابد — إذاً — من أن تراقب ممثليها مراقبة واعية أمينة .

(١) « ذكرى فقيد الوطن ص ٢٠

« فكان جهاده في سبيل الدستور صفحة مجيدة تصلح ان تكون كتاباً قائماً بنفسه في النظم الدستورية ، وهي إذا ضمت الى مباحثه في عهد الجمعية التشريعية ، ومجلس شورى القوانين ، الى نداءاته السابقة في سبيل المجلس النيابي ، كانت اعظم مجموعة لمصر الدستورية .(١)

وفي صيف عام أربعة عشر وتسعمائة والف تشتد وطأة المرض على جسد الرافعي المنهك المتعب ، فيقرر السفر الى اوروبا للاستشفاء ، فقد كان رحمه الله يعاني من مرض السكر ، ومرض التشنج العصبي الذي كان يصرعه حتى في الطريق العام .

غير ان اعلان الحرب العالمية في اليوم الرابع من آب ذلك العام ، لم يمهله ، فعاد الى مصر ليستأنف العمل المرهق المرير ..

كان يتابع انباء الحرب وأصداءها ، وينشيء في ذلك الابحاث والتعليقات عن المعارك الحربية الدائرة ، ولقد آتاه الله نظراً ثاقباً وبصيرة هادية ، فكان يتناول الموقف العالمي بالدراسة الدقيقة العميقة ، ويستنتج النتائج التي لا تخطيء « الأمر الذي الفت الرأي العام التفاتاً خاصاً جعله يعجب بسداد رأيالفقيدواتجاهاته الفن العسكري والمران الفني فيه ، فذاع صيته واكتملت شهرته»(٢) .

وحازت جريدة « الشعب » التي صدرت بعد جريدة العلم ، المكانة الاولى عند الجمهور ، وازداد اقباله عليها اقبالا عظيماً لانه كان يرى فيها الحقائق التي كانت تحجبها البلاغات الرسمية ، حتى تعلن الاحكام العرفية في البلاد ، وتخضع الصحافة ـ تبعاً لذلك ـ لقلم الرقيب العسكري الذي يحذف من الصحف كل مايجده غير منسجم وبلاغاته الرسمية ، فكانت جريدة « الشعب » تصدر ونصف صفحاتها أبيض !

واخيراً تضيق السلطة بأمين ذرعا ، فتستدعيه وزارة الداخلية ، ويهدده المستشار الانكليزي بمسؤولية رأسه ان هو انتقد الحماية البريطانية ـ التي شاع أمر اعلانها ـ أو عارضها ، ثم عاد فلوح له بما يتساقط عند أعتابه « الآخرون » صرعى المال والجاه والزعامة ، اذ حسب هذا ان أمين الرافعي واحد من هؤلاء « الآخرين » !

وتجتاح البلاد موجة ارهاب خانق يتسقط الخطوات ، ويحصي الأنفاس ، وتعلن الحماية الانجليزية على مصر وتصدر الحكومة المصرية « أمرها لجميع الصحف بنشر اعلان الحماية في صفحاتها الاولى ، فكبر على نفس أمين الرافعي أن يلطخ صحيفة « الشعب » بهذا العار وصمم على وقف الصحيفة عن الاصدار ، فذلك أكرم له وللشعب المصري نفسه من أن تطبع صحيفة من صحفه وثيقة الاعدام والانكسار ، وبالفعل تم له ذلك في السابع والعشرين من نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩١٤ » (٣)

(١) محمد صادق عنبر في « ذكرى فقيد الوطن » ص ٤٢
(٢) محمد صادق عنبر في « ذكرى فقيد الوطن » ص ٧٧
(٣) الدكتور عبد اللطيف احمد حمزة : « الصحافة المصرية في مائة عام » ص٩٢

ويوضح المؤرخ المصري المعاصر الاستاذ عبد الرحمن الرافعي ــ شقيق أمين ــ ذلك فيقول :

« لقد اعلنت انجلترا الاحكام العرفية في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩١٤ تمهيدا لاعلان الحماية الباطلة ، وكان من لوازم الاحكام العرفية وتوابعها ان ضربت الرقابة على الصحف ، وكان من لوازم هذه الرقابة ارغام الصحف على نشر البلاغات الرسمية الصادرة من السلطة العسكرية الانجليزية ومنها اعلان الحماية ، لكن امين رفض أن يستمر في اصدار جريدته حتى لاينشر اعلان الحماية ولا ينزل على اوامر الاحكام العرفية وبلاغاتها ، فتعطيله لجريدة « الشعب » كان احتجاجا منه على الاحكام العرفية والحماية الباطلة ، فاذا ما ذكرتم أمينا فاذكروا أنه أول مصري احتج على الاحكام العرفية الانجليزية ، واول مصري احتج على الحماية الباطلة سنة ١٩١٤ ، احتج وسيف الارهاب مسلط فوق الرؤوس » . (١)

وقد كان هذا الاحتجاج مقرونا بكثير من التضحية لأن جريدة « الشعب » كانت من أكبر الصحف رواجا ، ثم تبع ذلك ما أنزل به رجال السلطة العسكرية من اعتقال وسجن وايذاء وهو محتسب صامد لاتهدأ له ثورة ، ولا تلين له قناة ..

ويخرج من السجن بعد أن مكث فيه أحد عشر شهراً ليعمل في المحاماة سنة واحدة ، غير انه يجد نفسه في حاجة الى الراحة والاستشفاء من أمراضه التي كانت تعاوده بقسوة فكف عن العمل « وبقي طول مدة الحرب وهو معتكف في منزله يرقب سير الأمور في عزلته قانعاً من العالم بارضاء ضميره وذمته » . (٢)

وتنتهي الحرب ، وتعلن الهدنة ، وتهب الامة المصرية مطالبة بحقوقها ، فتتألف اللجان ، وتتكون الوفود ، وتتعدد القيادات ، وتغدو المهمة الاولى لأولي الرأي أن يجمعوا الكلمة ويتفقوا على وفد واحد يمثل البلاد .

ومن لهذه المهمة غير أمين ؟

« واذ ذاك عادت بعض الصحف للظهور من جديد ، ونشأت صحف لم يكن لها من قبل وجود ،وكان من هذه الاخيرة صحيفة « الاخبار »ومحررها الاول هو الاستاذ امين الرافعي ، صدر العدد الاول من هذه الصحيفة في الثاني والعشرين من شهر فبراير « شباط » سنة ١٩٢٠

(١) عبد الرحمن الرافعي : « ذكرى فقيد الوطن » ص ٤٣٦

(٢) جريدة « كوكب الشرق » ٣١ ديسمبر ١٩٢٧ ، وانظر « ذكرى فقيد الوطن » ص ١٠٧ .

وصرحت منذ صدورها بان الغرض الاول لها هو الدفاع عن القضية المصرية » . (١)

ويحمل الرافعي قضية أمتــه قضيته هو ، ويكتب شارحا ومحذراً ومرشدا ، ويقف – بروح الاشفاق على وحدة الصف – الى جانب سعد زغلول ، علماً بان « امين – كان من تلاميذ المرحوم مصطفى كامل ، بل من أخلص تلاميذه ، ومن اقطاب الحزب الوطني ، غير انه – رحمه الله – باجتهاد لم تثبت الحوادث صحته أيد سعد زغلول ووفده ، ضد الوفد الذي كان قد ألفه الحزب الوطني بحجة ان الوفد الذي شكله سعد زغلول لايمثل حزبا معيناً ، وانمـا هو وفد مصري يجمع أكثر من جهة سياسية « ان يلزم مايقتنع به فلا يتزحزح عنه قيد شعرة ولو انطبقت السماء على الارض » . (٢)

وكان الاساس الذي جمع الاحزاب والوفود المنبثقـة عنها وأهل الرأي في البلاد هو « الاستقلال التام لمصر والسودان قبل الدخول في المفاوضات مع انجلترا » ، غير ان الدنيالاتبقى على حال ، وليس كل شخص يستطيع الثبات على كلمــة الحق ، اذ يعدل سعد زغلول – حال عودته من أوربا – عن هذا الاساس ، ويدعو بعنف لنبذه ، متوكئاً على ماجاء به من حجـج وبراهين أوهكذا سماها ! « وكان ذلك أول انزلاق للوطنيـة المصرية ، والخطوة الاولى في سياسة المفاوضات وما يتبعها من مطاولات ومطل وتسويف وتحذير ... فياليت المصريين وقتئذ مافتحوا على انفسهم هذا الباب » .(٣)

وليس هذا وحسب ، بل أصبحت مهمة سعد زغلول ووفده الدخول مع مفاوضات من أجل استقلال مصر ، فأين السودان اذن ؟

ويصاب أمين الرافعي بالذهول من التغير المفاجىء في وجهة سعد زغلول ، ويدرك موقفه الخاطىء في تأييده له ضد الحزب الوطني ، ولكن .. قضي الامر وتسلم سعد زعامة البلاد وعرف كيف يحول تيار الجماهير الصاخبة الى حيث يريد !

وشيئاً فشيئاً يجد أمين نفسه وحيداً الا من الالم الذي يملأ عليه كيانه ، أما الامة بشبابها وزعمائها وصحافتها فقد جرفها التيار الصاخب الى حيث لاتدري الى أين !

---

(١) الدكتور عبد اللطيف احمد حمزة : «الصحافة المصرية في مائة عام » ص ١٠٠

(٢) ابراهيم عبد القادر المازني : « الكشاف » ٣١ ديسمبر ١٩٢٧ ، وانظر « ذكرى فقيد الوطن » ص ١٠١

(٣) أحمد حسين : « الارض الطيبة » ص ١٣٦

ويثبت الرافعي بوجه الهياج الشعبي كأصلب ما يكون رجل العقيدة شجاعة وشموخاً ، ويعتصم بالله من رياح هذه المحنة العاتية .

يقول السيد محمد اسماعيل عبد النبي : (١)

ولكم أوذي في الله والوطن فما لانت قناته لغامز ، ورمي بالطوب والحجارة ، وهوجم في داره ومكان جريدته بطوفان من المظاهرات الاجرامية رغبة في أن يعدل عن رأيه أو أن يطلق عقيدته ومبدأه ، حتى هموا بقتله واقتحموا عليه دار « أخباره » فرأوه يصلي العشاء في خشوع وخضوع وينادي بصوته الخاشع « الله أكبر ! » فبهتوا وسقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا وجدوا في مكانهم جمود الصنم أمام العابد الناسك ، وانهم لكذلك واذا بأمين الناسك يسلم سلام الخروج من الصلاة ، ويبتسم ابتسامة المؤمن المطمئن ، ويهز كتفيه هزة الفيلسوف الحكيم ثم يخاطبهم في عزة وحكمة : اذا أبيتم أنني خائن لوطني فدمي مباح لكم فأريقوه ، أماغير ذلك فصعود المشنقة أهون على أمين من نزوله لمخلوق على رأيه وعقيدته ، وما املك لكم الا أن أقول : اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون » !

لقد حارب أمين الرافعي – في جهاده المرير – عدوين اثنين :

خارجياً ، تمثل بالانكليز والايطاليين واليابانيين ..

وداخلياً ، تمثل بالخديو والوزارات الظالمة ..

أما ان تنقلب عليه أمته ، هذه التي أحبها وأخلص لها وضحى في سبيل حقوقها ، فهذا أمر فوق ما يحمل الناس ويطيقون .

ولكن .. متى كان الرافعي واحداً من هؤلاء الناس فيما يحمل وفيما يريد ؟

لقد كان رحمه الله « إذا أقبلت عليه الجماهير وعلت به الى السماء لم تزده علواً ، لان يقينه هو الذي يعليه ، واذا ادبرت عنه وحاولت ان تنزل به الى الحضيض لم تخفضه قيد أنملة لأن من يسمو به وجدانه لاتحط من قدره أوهام السواد » . (٢)

نعم .. كان لأمين شأن آخر في منعرجات الحياة تمثل في موقفه النبيل من سعد زغلول نفسه ، لقد عانى الرافعي من سعد ومن « جنود سعد » محنة هوجاء لاتعرف حرمة للحق أو فضيلة للجهاد ، كان ذلك في نيسان عام واحد وعشرين وتسعمائة وألف ، وفي كانون الاول من العام ذاته ينفى سعد زغلول وآخرون معه الى جزيرة « سيشل » فكان أول المدافعين عنهم وأشدهم مطالبة بعودتهم هو .. أمين الرافعي !

---

(١) « ذكرى فقيد الوطن » ص ٤٨٥

(٢) محمد توفيق دياب : السياسة الاسبوعية ٣١ ديسمبر ١٩٢٧ ، وانظر « ذكرى فقيد الوطن » ص ١٠٣

« وكانت صفحات « الاخبار » تنشر من الحملات على سياسة الاضطهاد ما لم يكن ينشر في أية جريدة أخرى » (١) .

لقد عشق الرافعي عالم الحرية الطاهر ، وسعى لان ينعم بـه كل الناس ، حتى أعداؤه عليهم يطهرون !

يقول أحمد خيري سعيد :

« ولم يكتب الرافعي كلمة واحدة ضد حرية الاجتماعات وضد حرية المظاهرات في الوقت الذي قذفت الجماهير الطائشة دار «الاخبار» بالحجارة وكادت تقتحمها عليه » (٢) .

ولم تكن حملاته — رحمه الله — على من حمل عليهم لأنهم من حزب معين أو من لون ما ، وانما كان يكتب للحق وحده ..

لقد حارب احدى الوزارات لأنها تجاهلت حق الامة في وضع دستورها ..

وحارب اخرى لقبولها حذف السودان من مشروع الدستور المصري ..

وحارب في وزارة اخرى « «ممل قوانينها » الفاسد ..

وحارب في سعد زغلول القاعدة التي درج عليها « الاستنكار شيء والتنفيذ شيء آخر » .

وتكون المعركة الضارية التي يخوضها الرافعي منفرداً ضد طغيان الحكومة وجبروتها وينتصر عليها انتصاراً رفع الله به رؤوساً صالحة ومرغ به وجوه قوم في الاوحال ، تكون هذه المعركة عام اربعة وعشرين وتسعمائة والف ، فقد تزعزع الكيان الدستوري في هذا العام عقب حادث السردار ، وسقطت الوزارة الحاكمة ، وجاء « زيور باشا » الى الحكم ، فعطل الحياة البرلمانية ، وفرط في حقوق البلاد ماشاء له اخلاصه للعدو الغاصب !

كان افتئاتاً على حقوق الامة أن يعطل مجلسها النيابي ، ولكن كيف السبيل لاعادة حق اغتصبه عدو وخائن ؟

لقد غاب الزعماء عن المسرح محتجين أو هاربين ..

وتفرقت الاحزاب يأكل بعضها لحوم بعض ..

وبات الشعب — كل الشعب — ظالماً ومظلوماً ..

وهكذا نسيت مصر قضيتها وحقها وبرلمانها !

أما أمين الرافعي « فقد ظل يناضل عن حقوق الامة الى أن توج جهاده بتلك الفكرة

(١) محمد صادق عنبر : ذكرى فقيد الوطن ص ٤٢

(٢) جريدة « الاخبار » ٤ يناير (كانون الثاني) ١٩٢٨ ؛ وانظر « ذكرى فقيد الوطن » ص ٢٦٠ .

القدسية التي هبط بها وحي الاخلاص على قلبه فنادى بها وكانت باعثة للحياة النيابية من رمسها ، ومعيدة الوحدة الى صفوف الامة ، تلك هي فكرة انعقاد البرلمان من تلقاء نفسه في السبت الثالث من شهر نوفمبر سنة ١٩٢٥ .

وكانت هذه الفكرة الهاماً روحانياً دعا اليها في اوائل شهر نوفمبر ١٩٢٥ في مقالات متتابعة نشرها على صفحات جريدته « الاخبار » وكانت اولى مقالاته في هذه الدعوة التاريخية تحت عنوان (الدستور يحتم اجتماع البرلمان في يوم السبت الثالث من الشهر الحالي ــ بطلان مرسوم حل مجلس النواب ــ المجلس المنحل موجود قانوناً ويجب اجتماعه(١)) .

وجاهد الرافعي جهاداً مريراً في الدفاع عن رأيه المبتكر بالحجج الدستورية والسوابق التاريخية حتى حقق الله له النصر فاستجابت له الامة « واجتمع البرلمان اجتماعه التاريخي في فندق الكونتيننتال يوم ٢١ نوفمبر سنة ١٩٢٥ ، وكسبت الامة في هذا اليوم عودة الحياة النيابية بقوة ارادتها ، والتئام الصفوف وائتلاف احزابها السياسية ، وهذه الصفحة وحدها كافية لتكون حياة خالدة لأكبر الزعماء(٢) » .

وقد سألته احدى المجلات في اوائل عام سبعة وعشرين وتسعمائة والف أن يوضح لها نشأة هذه الفكرة في نفسه ، فكتب رحمه الله كلمة بليغة رائعة شرح فيها منبت الفكرة وتطورها ختمها بقوله :

« انعقد البرلمان في فندق الكونتيننتال بين سمع الحكومة وبصرها ، فكان لهذا العمل أثران في نفسي :

الأول : سروري بانقاذ الدستور وفوز الامة واندحار الحكومة ، وهو ذلك السرور الذي عم البلاد واشتركت فيه جميع الطبقات .

والثاني : ارتياح ضميري ارتياحاً يشعر به كل من وفقه الله الى دعوة صالحة كتب لها التحقيق والنجاح »(٣) .

وفي أواخر عام سبعة وعشرين وتسعمائة الف يشتد السقم بالبنية الواهنة المتعبة ، الذابلة من الامراض ومكابدة آلامها ، فيشد الرافعي رحاله الى مهبط الامن والعدل في دنيانا الجائرة .. الى بيت الله الحرام ، ليغسل هناك قلبه مما علق به من وعثاء الطريق ، ويتم زاده للرحيل .

ثم يعود من الحجاز وكأنه فرغ حقاً من أمر الدنيا بعد أن أدى الرسالة المباركة كرجل

---

(١) محمد صادق عنبر : ذكرى فقيد الوطن ص ٤٣ ــ ٤٤

(٢) محمد صادق عنبر : ذكرى فقيد الوطن ص ٤٤

(٣) ذكرى فقيد الوطن : ص ٤٦ ــ ٤٧ .

نظيف ما عرف غير النظافة مبدأ وسلوكاً وغاية . ويراه الاستاذ عباس محمود العقاد في أيامـه تلك فيصوره لنا كما رآه :

« رأيت أميناً قبل مرض الوفاة يمشي في الطريق على مهل ، فرأيت شبحاً يتماسك وجسداً قد تهدم إلا قليلا ونفساً تمشي في عالم وحدها وهي تشعر بعزلتها ولا تكاد تشعر بهـا من فرط الاطمئنان اليها وسيما السكينة والرضوان التي تحف بها ، فعلمت انني أرى أميناً في تهافت جسده وأمينا في قوة نفسه ، ورأيت كيف يعمر الايمان الجسوم الفانية فهي منه ملأ عزيز الحوزة ، منيع الجانب ، وعجبت ان يكون هذا اميناً وهو بعد في ابان الفتوة وعنفوان الحياة ، نعم عجبت لهذا الهيكل الفاني ان يكون هو هو ذلك الفتى الذي كنت أراه في مكتب (الدستور) او مكتب (اللواء) فياضاً بالشباب مقبلا على الحياة ، في وجهه نضرة العافية وفي عينيه وميض الامل وفي مشيته صولة العزيمة والمضاء !

فكيف تبدل هذا ومن أين حل الهرم في هذا الاهاب النضير ؟

هنا شيخ يحسبه من يجهله في الستين أو مافوق الستين ، وهنالك لم يجاوز العشرين أو جاوزها بقليل ، وما جار الرجل على شبابه في غواية ولا أسرف على نفسه في مهلكة من مهالك الاعمار ، فقل اذن انه هو الجهاد كان داء ذلك الجسد الناحل فأعجل اليه الهرم ثم اعجل اليـه الموت وهو في مقتبل الشباب »(١) .

عاد الفقيد من الحجاز ليعيد اصدار جريدة « الاخبار » في الثاني عشر من مارث عام سبعة وعشرين وتسعمائة والف وهو يقاسي أوجاع الموت ، وكتب رحمه الله في الافتتاحية يقول : « لاشك انه عندما يتضارب حكم الواجب والضمير مع المصلحة الشخصية لايجوز المرء أن يتردد في التضحية بهذه المصلحة ، وفي الخضوع لحكم الواجب »(٢) .

وتمر أيام معدودات ...

ويخرج أمين الرافعي من دار جريدته الى بيته محمولا على أكتاف اصحابه ، فاقد الوعي متقطع الانفاس شاحب الوجه .

لقد اتعبت نفسه جسده ، وأذبلت عوده ، وهدت قواه ، وظلت هي هي قمة في الشموخ ، وحين توغل النفس الشامخة في الاعالي لم يعد في طاقة الجسد المنهك ان يتابعها الى حيث تريد ..

---

(١) جريدة البلاغ أول يناير ١٩٢٨ ، وانظر « ذكرى فقيد الوطن » ص ١٢٣ .
(٢) جريدة الاخبار ١٢ مارث ١٩٢٨ ، وانظر « ذكرى فقيد الوطن » ص ٥١

وفي الساعة السابعة من صباح يوم الخميس(١) التاسع والعشرين من شهر كانون الاول عام سبعة وعشرين وتسعمائة والف يسكن القلب المؤمن ، ويسكت القلم المجاهد ولم يعد الرافعي من هذا الوجود ..

لقد مات الامين .. فرغ من أمر الدنيا أو فرغت منه ، وكفاه مالقي من شقاء وكفى الشقاء ما اخذ منه !

(١) ذكر الدكتور عبد اللطيف أحمد حمزة في كتابه « ادب المقال الصحفية في مصر ـ امين الرافعي » أن وفاته كانت في صبيحة يوم الجمعة الموافق ٢٩ ديسمبر ١٩٢٧ ، والصحيح ان الوفاة كانت في الساعة السابعة من صباح يوم الخميس ٢٩ ديسمبر ١٩٢٧ وان التشييع كان في صبيحة يوم الجمعة ٣٠ ديسمبر ١٩٢٧ ، انظر « ذكرى فقيد الوطن » ص ٥٢ .

قالوا في أمين ..

● وأمين الرافعي كمسلم لم يكن يرى فوق الاسلام شيئاً ، ولم يكن يرى حياته إلا لخدمة الاسلام والمسلمين ، ولم يكن يرى التجدد في نبذ الدين والتعديل على الالحاد الذي هو عدم محض والاباحة التي هي فساد أخلاق يدني الانسان من الحيوانات ، بل كان يرى الاسلام حليفاً للعلم أينما كان ومن أية جهة طلع.

شكيب أرسلان

● رحمك الله يا أمين لم تجد مصر المسكينة غير هذه الوسيلة ، فيموت أطهر أبنائها وأبرهم فقيراً مريضاً مظلوماً لتتجلى في موته الوطنية العظيمة الثابتة النزيهة وتقول للناس : آمنوا بي !

مصطفى صادق الرافعي

● لم تكن لفقيد اليوم آراء تحتمل الخطأ والصواب . وإنما كانت له عقائد لا ترخص بشك ولا تأذن في هوادة ، وكان حد العقيدة عنده أن يجهر بالرأي فما هو إلا أن يخالفه فيه المخالفون حتى ينفسح عنه ويشتد في تأييده ويأخذ على المعارضين سبيل الشك في أصوله وفروعه ، وحتى يلتقي الرأي والايمان ويمتزج اليقين والبرهان ، وإذا بكل رأي كأنه دين ذو شعائر وفروض لا تختل منها شعيرة ولا تمس منها فريضة ، وإذا بنفسه كلها قد صبت قواها على الرأي فلا بقية فيها لرأي سواه .

عباس محمود العقاد

● جاء حيناً فكان كالليث آبى ماتلاقيه يوم جوع ، هزيلا

احمد شوقي

● نحن اذا بكينا لا نبكي ميتاً وكل حي يموت ، ولكننا اذا بكينا ميتا فانما نبكي بالبكاء عليه أمة قد تصاب بموته وقد تموت .

الشيخ محمد بخيت

● ايمان بالواجب ، ومداومة للعمل ، واخلاص للصحافة ، هكذا كانت حياة أمين الرافعي .

محمد حسين هيكل

● انه لو كان في مصر ثلاثة مثل امين مامكث الانكليز في مصر .

فلنتين تشيرول

● كان اللسان الصالح .

داود بركات

● ولو خيرت في موتي فاني أعد مماتك الفخر الرزينــــا

محمد زكي ابو شادي

● لقد كنت تكون في منتصف مقالك ترسل في سطوره حرارة روحك فيحين وقت الصلاة فاذا بك تترك القلم وتقيم الصلاة على ملأ الحاضرين .

محمد توفيق دياب

● ... فقدت الصحافة المصرية بموته كاتباً من أقدر كتابها السياسيين .

جريدة البلاغ

الكتاب والموضوعات

وصفحة من تاريخ الماريات الثلاث

مارية لبنان

ذكريات بقلم وجيه بيضون

من الخوارق في الطبيعة والاعجاز في القدرة المبدعة أن الملأ كما أنهم الى تخالف في كثير من أحوالهم لكذلك هم يتشابهون في الهيئات والخلائق وغطية الحيـــاة . بيد أنهم وتلك خصيصتهم العامة تجدهم إما يتقاربون قد ينزل أحـــدهم منزلة الآخر على سواء ، وإما يتفارقون قد يذهبون الى غير التقاء كما يكون بين الارض والسماء .

تلك حقيقة لامراء فيها تستبين على حقهامن الاستبانة عند تدبر الناس في أخلاقهم وتجاليدهم وأقدارهم من مجمل حيـــاتهم ، فاذا ثمَّ مَن هم كأنما صُبّوا صباً في بوتقة بعينها ، أو شُقّوا شقـــاً من نبعة واحدة ، ثم اذا هناك كذلك

(١) في العددين الماضيين نشرت الحلقتان « مارية سورية » و « مارية مصر » .

من يتخوفهم الاختلاف ليباعد بينهم على رغم ما يأصرهم من تعاقد السبب وتفاوت النسب ، وبرغم الوحدة في البيئة والتربية والثقافة .

وما كان لنا أن نوطىء بهذا النبذ من الاستهلال لولا أن مترجمتنا التي وقفنا عليها هذا المقال ، وهي مارية لبنان أو ماري يني ، الأديبة المعروفة ، وصاحبة مجلة (منيرفا) قد جرت على عرق واحد وسميتها مارية سورية (ماري عجمي) ومارية مصر (ماري زيادة) في جم من الاحوال جعلت منهن كالمثال الواحد في مجتلاه للعيان حتى اذا تخالفت فيه بعض الالوان كان التخالف قلة تربي عليها الكثرة حتى ما تكاد تبين ولا تكون شيئاً مذكوراً .

فقد أتفقن أول ما اتفقن في المسمى كأنما القدر ببصيرته النفاذة قد استشف الغيب من وراء الحجب البعيدة وما عسى أن يتورد حياتهن من التشابه والمضارعة ، فلم يشأ إلا أن يعد في وحدتهن تقصياً حتى في أسمائهن ، أو هو لم يتخير لهن الاسم على سواء من مبناه إلا ليجعل فصول حياتهن المتوافقة في المعنى لاتند أيضاً في عنوانها المتوافق .

واتفقن كذلك في غاية الجهاد ، وأسلوب الجهاد الى الغاية ، فكن المجليات في حمل الراية كرائدات نابهات في حلبة التجديد ، راشدات مرشدات في ترقية الحياة الاجتماعية . والنهوض بالمرأة العربية ، والثورة على التقاليد الملتوية ، مما أعقبهن فيض الشهرة والمحمدة ، ورفعهن تاريخاً لعصر أمتهن ، وعصراً من تاريخها .

ثم اتفقن ، تفرداً على جمعة ، وجمعة من تفرد ، اذ كانت كل منهن سفيرة للرسالة المشتركة الواحدة ، تؤديهــا في قومها وربعها ، ممكّنة لهــا بشتى الأسباب ، تصويباً للأخطاء والأوهام الشائعة ، وتشنيعاً على العــادات التي اكتست مــع الزمن مطارف القداسة الكاذبة ، وإطاحة برواسف القيود التي

طالما ارتبقت المرأة العربية في الأعصر المتطاولة ، ثم شحـذاً للعزائم لاستشراف ركب الحضارة العالمية بعد التخلف الذميم الذي طال عهده وتفـــاقمت شرته ، وحان فيه الجزم نهوضاً وتوثباً .

هذا الى اتفاق متقارب في عصامية التحصيل ، وعبقرية الذهن ، وألمعية المقصد ، وتعادل السن ، ثم المشاكلة في غطية الحياة تفرغاً خالصاً للجهـاد الأدبي والاجتماعي قـد التزمنه التزام الواجب المفترض ، لا تحلل منه ولا اغتماض بين من لا يرون اليه الا نافلة من استحباب لا وجوب فيها ولا افتراض .

أما طرف التغاير بين الماريات الثلاث فهو في المأساة الأليمة من اختبال العقل وامتلاخه ركبت الأوليين في سورية ومصر دون الأخرى في لبنان ، ثم في رضا هذه بالبعولة قدراً لم تمرد عليه ، وتأبي تينك في تأبـد العزبة عناءً مطلقاً عن الزواج ، وخروجاً من شذوذ على الطبيعة العامة الى شذوذ مثله في طبيعتهن الخاصة ، فكان ذلك من أخص الأسباب فيما انتهين اليه ، بين مصير لم تحمد فيه العقبى ، ومصير هو العقبى الحميدة .

ولنرجع بالقول الى مترجمتنا مارية لبنان ، فقـد اتصل مابيني وبينها في أعقاب الرجة العالمية الأولى ، وأنا اذ ذاك عامل طباع بين الورق والزيوت والأحبار في غاية العقد الثاني من العمر ، وكنت ارسل القلم في بعض الموضوعات بالأسلوب المنفلوطي الذي تعبّدني يومذاك ، فترسمته ، فاشتهرت به ، فارسلت الي تقول : « ان الورد وان استخفى بين الأشواك متوارياً ليـــنم عنه عبق شذاه متراميا » ، واستحملتني على الكتابة في مجلتها ، ففعلت .

ومما علمت من سيرتها أن فن الكتابة قد استهواها منذ نعومة نشأتها ، محاكية بذلك نشأة أكثر المتأدبين ، ما ترضى بالأدب بدلاً او تبغي عنه حولاً ، وكان يستبد بها دون غيره في دراستها ، وتحرز فيه الشأو دون لداتها .

وما زالت حتى استوفت من الثقافة حظها ، وما كان هذا الحظ باليسير وهي الميسرة للنجاح بفؤادها الذكي ، وادرا كها الندي السخي ، وبعزيمتها الحذاء الماضية ، ولها من مستوفر الاستعداد ما يتخطى الصعاب ، ومن مستوفز الهمامة ما لايحتاج الى غير تحريك الخطوات الى حيث تنزع وتطمع، فاذا هو ملك اليد وعفو الجهد.

وان الحرب العالمية الأولى لتنطوي صفحتها بخيرها وشرها ، فما يطل عام ١٩٢٣ حتى تصدر مجلتها بعنوان (منيرفا) وهي اللفظة اليونانية الـــتي تعني (إلهة الحكمة) آثرتها بدافع من أصلها هي بكونها تمتد بنسبها العريق الى أمـة الاغريق ، يؤيد ذلك تسميتها لأبنائها من بعد ، اذ دعت الكبرى (منيرفا) ثم شوّعتها على الأثر (أدونيس) ، فدلت بذلك على أنها وهي اللبنانية في قوميتهـا وثقافتها ووطنها لم تنج من بعض اللوثة اليونانية في عرقها ودمها . وليت شعري من منا في الحق يخلو من بعض الردّة الى القديم في وراثته ومنازعه ، ان لم يكن الى أجداده الأقربين فالى من تقدمهم عن بعد وقد اختلطت بينهم الأصول والفروع ، وتداخلت العروق والوشائج ، فما تُعرف بخاصتها وخالصتهـا في الماسّة والنزعة الا فيما ندر واشتهر .

وكان يشد إزرها في عملها شقيقها قسطنطين الذي لبث قواماً على المجلة الى مابعد تخليها عنها عام ١٩٢٦ بسبب زواجها وارتحالها الى سانتياغو من أعمال شيلي في الولايات المتحدة الامريكية .

بيد أنها على زواجها وإنجابها وانهماكها في الحياة المنزلية لقد لبثت الوفية لأدبها ، لم تعزل مابينها وبين قلمها . وأنى لها مثل ذلك وهو في قطراته نسغ حياتها وسعادتها، ثم هو نجيها الأثير لانجيّ سواه فيما يتخوّلها الدهر من إحسانه وبلواه ، فلبثت على عهدها في تزويد مجلتهـــا ببيروت بصوب آرائها وانطباعاتهـا ،

وترديد صيحاتهـــا على صفحات الصحف في المهجر ، وبخاصة جريدة (الوطن) الساتنياغية .

ومن يتدبرها في أسلوبها يجدها أميل الى الوجدانية مارضي بالفكرة الا بصبغ من الاحساس المشبوب ، ولا تصدر عن عاطفة الا متموجة بنبضات القلب وومضات الفكر . وتلك هي الفنية البارعة في البلاغة الرفيعة ، لايرف صاحبها في سماء الخيال الا على أجنحة من الحقيقة ، ولا يدف حطيطاً على الحقيقة الا بروح من الخيال يزيدها حقيقة من ابداع الجمال . فاستمع اليها وهي تصف فلذتهـا اذ تلبَّستها الحمى ، وكأنها لاتستقطر يراعها الا من حر دمها ، ولا تستمد كلامهـا الا من عميق كلومها ، ولا تحسر عن لواعج امومتها الا بمتلج الهم في تفكيرها وشعورها . استمع اليها اذ تقول نثرا هو الشعر بعينه : « اذا كان لكل أم أن تحس احساسي يوم يلامس ذبول المرض جبين طفلها فيا لشقاء الأمهـات ... لقد تقضى أسبوع بأيامه السبعة ، وكأنه سبعة من الدهور الطوال لاأول لهـا ولا آخر من الهموم ،وفتاتي بين ذراعي شعلة من النار تتوقد ، لايرطب جبينها الملتهب بحرارة الحمى الا دموعي الغزيرة على ماتحمل من حرارة ، بينـا قلبي يذوب تحت أنينهـــا الناغم وندائها الناعم ... ياروح امك أنت ياوحيدتي ، فاني وحياتك الغالية لم أشعر بحياتي من دونك رخيصة تافهة مثل ما أشعر في هذه المهنية . وياعجباً ، أتكونون أيها الاطفال وما تفقهون معنى للحياة سبباً أكبر سبب في معاني شقوة والديكم وأنتم مرضى، ثم تكونون المبعث لسعادتهم وانتم في الصحة الموفورة، وهل تكون هذه الخفقة الصغيرة في صدوركم مدعاة لتجدد الخفقان واضطرابه في صدور المحيطين بكم ؟... أما أن ملذات الحياة جميعاً لاتعدل لحظة من لحظات السعادة التي تلامس قلوب الوالدين اذ يستمعون الى النغمات الملائكية تردد على مسامعهـــم مالقنوه أطفالهم من دروس الحكمة في ساعات الهدوء والسكينة ... »

بمثل هذا الاسلوب الشعري السائغ امتزجت فيه العاطفة المستعرة والفكرة النيرة ، كانت مترجمتنا مارية لبنان تصدر عما يتخالجهـــا ليتسلل عذباً رطباً الى القلوب ، ويتصل عجباً واعجاباً بالعقول . ولو قدر لما خطه راعها في ساعات اليقظة والتجلي أن يجد سمته الى كتاب بحياله ، إذن لتزودت المكتبة العربيـــة بأثر من الادب النسوي هو مأثرة في تاريخ النهضة المعاصرة في الشرق ، يستكمل به بعض مافاته مما يقتضي اثباته .

وفي ترجمة أديبتنا أمر دقيق لا بد من طلب وجهه ، فلقد تقدم من اخبارها أنها اديبة وصحفية من لبنان ، وأنها تزوجت وفارقت عشها الى البلاد الامريكية ، فهل تراها هي هي « الوحية » الثانية بعد مارية مصر ، لأديب العربية الرافعي الذي خصها بكتابه (حديث القمر) وعرض لذكرها في (أوراق الورد) ؟... أما إن القرائن لتنسم نسيمها بما ينم عن ذلك . ويؤيده ماورد عن الاستاذ محمد سعيد العريان في مقدمته لكتاب (رسائل الاحزان) إذ يقول : « كان بعض من أحب الرافعي فتاة اديبة عرفها في لبنان،وهي سمية صاحبته بمصر ، وكان بينهما رسائل أثبت بعضها في (أوراق الورد) وهي التي أنشأ من اجلها كتابه (حديث القمر) . على أن عمر هذا الحب لم يطل اذ تزوجت وهاجرت مع زوجها الى امريكا لتشتغل بالصحافة العربية هناك ، وما تزال » .

فاذا ماتوكد هذا الحب ، وكانت صاحبته هي صاحبتنا في هذه الترجمة ، فما شك في أننا نكون قد أمطنا اللثام عن سر دفين لبث غامضاً لعهدنا في هذه الايام ، تتخبطه الشبهات والظنون اذ لبّس عليه الرافعي في حياته ، وأبى الا أن يحتمله الى قبره مدفوناً في صدره . وما أكثر ما أُودعت الرموس من رسائل النفوس لم يفضّ عنها ختم ، وكانت لغزاً فجعل منها الموت لغزاً آخر .

وجملة القول في مترجمتنا أنها ثالثة اثنتين في الحياة الادبية والحياة النسوية في مطلع نهضتنا المعاصرة ، وبحسبهـا أنها مثلت الامومة بأدوارها الثلاثة : امومة الادب بآثارها من عقلها ، وامومة الحياة بنتاج قلبها ، وامومة العروبة بصادق جهادها في كل ماير تد خيراً وفخراً على وطنها وامتها .

سارية الأسقف

للشاعر ايف بونفوا YVES BONNEFOY
ترجمة : سعد صائب

« انني ابتدع لغة منها ينبثق شعر جديد . شعر لايدور على وصف شيء بل على تأثيره . لايتكون البيت الشعري من الفاظ ذات معنى ، بل من الفاظ ذات نوايا بجيث تغيب قيم الالفاظ المعنوية أمام شعورنا .. »

ــ عن مالارميه
المترجم

---

(١) اطلعت (المعرفة) على المجهود الشاق الذي بذله المترجم الاستاذ سعد صائب في ترجمة شعر (بونفوا) ، وهي تقدر سلفاً أن ماتقدمه ليس بالفاظ ذات معنى ــ كما يقول مالارميه ــ بل الفاظ ذات نوايا . والقارىء هنـــا ، سيدرك معنى الشعر باحساسه لا بتفكيره . والتعقيد الذي هو طابع المدنية الحديثة ، يجب ــ كما يقول شعراء التجريد ــ أن يكون طابع العمل الفني، المعبر عن الحياة .

ان (المعرفة) تقدم هذه النماذج من الشعر لشاعر كبير ــ بكل تحفظ ــ والذي تخشاه ، أن يعبث الصغار بالشعر ويقلدون شعراء الغموض ، ويحسبون أنهم بلغوا به القمة . وتلك حالة بلغها فن الرسم التجريدي ، الذي يمكن أن يضع لوحاته الغامضة فنانون كبار ، واطفال صغار على السواء . فتتكاد لاتميز بين هؤلاء وأولئك !

الرصّاد

كان في اقصى الحديقة دهليز
وحلمت أني أسير فيه
وأن الموت كان يجيء بأزاهيره العالية الذابلة
وحلمت أني كنت أنتزع منه هذه الطاقة السوداء

* * *

كان في غرفتي رف
وكنت أدخل مساء
فأرى امرأتين ممسوختين
تصرخان واقفتين على الخشب المطلي بالسواد

* * *

كان ثمة سلم وكنت أحلم
إن كلباً يعوي في قلب الليل
في هذا المدى الذي لا تؤمه الكلاب
وكنت أرى كلباً أبيض رهيباً
يخرج من الظل .
كنت انتظر وأنا وجل، كنت انتظره
قد ينفتح في النهاية باب
«هكذا كان المصباح احياناً
يغني موقداً في وضح النهار
ولم أحبب قط إلا هذا الشاطىء» .

أكان هو الموت ، إنه يحكي
مرفأ رحبا فارغاً ، وكنت أعلم
إن الماضي والمستقبل في عينيه النهمتين
سيظلان يهدم أحدهما الآخر
كالرمل والبحر على الشاطىء
واني ساشيد فيه مع ذلك
المكان الحزين للأغنية التي كنت أحملها
كالظل والطين وا كون منها
سور الغياب حين يقبل
الماء فيمحو مرارة الشواطىء

الجمال

ان الذي يدمر الكائن والجمال
سوف يعذب ويجر بالعجلة
ويهان ويوصم بالجريمة ،فهو دم
وصراخ وظلام ،وتنتزع منه كل فرحة
فيا ايها الممزق على كل الابواب،قبل الفجر
يامن يوطأ وتجوزه الاقدام فوق كل درب
ان قصارى يأسنا في أن تعيش
ومهوى قلبنا في أن تتألم
صوتنا في اذلالك وسط دموعك ،وفي وصمك

بأنك كاذب ، وانك قهرمان السماء السوداء
، ومع ذلك فان شهوتنا هو جسدك العاجز
، واشفاقنا هذا القلب الذي يقود الى كل طين

نقصان الكمال هو القمة

كان الامر انه لا بد من الهدم ثم الهدم ثم الهدم
كان الامر ان الخلاص لن يكون الا بهذا الثمن
هدم الوجه العاري الذي يعلو في الرخام
تحطيم كل شكل . كل جمال
محبة الكمال لأنه هو العتبة
ثم رفضه فور التعرف عليه ونسيانه ميتاً
ان نقصان الكمال هو القمة .

خشوع

تمثالها الذي يهم بالصلاة ينفرد في الحجرة السفلى
المضيئة قليلاً
وثوبها بلون ترقب الموتى
وزرقته اشد ما تكون أنطفاءً في العالم
تتقشر فتحسر عن حمرة الحجارة العارية
الطفولة وحيدة والقادمون معقدون
ينحنون بمصابيح فوق جسدها

آه ، أترقدين ؟ إن الذي لا يكاد يهدأ يحترق
كأنه روح ، بهذه الكلمات التي اعود فاحملها اليك
أنت وحيدة،وقد هرمت في هذه الحجرة
انك تفرغين من اعمال الزمن والموت
ومع ذلك انظري فانه ليكفي أن يرتعش صوت خفيض
حتى ينساب الفجر فوق نوافذ الزمن الميت

الوادي

ليس هناك الا سيف كان مسلولاً
في كتلة حجر
كان الغمد صدئاً وكان الحديد العتيق
قد بعث الاحمرار في طرف الحجرة الرمادية
وكان لا بد من أن تجرؤ على أن تقبض
بيديك القبض القاسي ،وان تقتلع
اللهيب المظلم من غلافه الليلي
كانت كلمات محفورة في دم الحجرة وكانت تشير الى
طريق المعرفة والموت

ادخل في وادي الثياب وابتعد
فهنا المرفأ قائم بين الحجر
يرشدك اليه غناء طير فوق الشاطىء الجديد .

الى ارض فجر

أيها الفجر يا ابن الدموع هيء لنا
الحجرة في سلام شكلها الرمادي
وهيء لنا القلب في نظامه . فلكم من ليلة
طلبت الى هذه النار أن تحيد وتنتهي
أفحتم علينا أن نسهر قرب الوجه الميت
الذي كاد أن يتغير ... وسفينة المصابيح
أتراها ستلج المرفأ الذي ابتغيه
هنا فوق المناضد تحول اللهب الى رماد
أتراها ستكبر في مكان آخر وفي ضياء آخر ؟
أيها الفجر ، قم ، وخذ الوجه الذي لا ظل له ،
ولون رويداً رويداً الزمن المعاد .

ابداً ذات الصوت

أنا كالخبز الذي ستفتته
كالنار التي ستوقدها ، كالماء الصافي
الذي سيرافقك فوق ارض الموتى
كالزبد
الذي انضج لك النور والمرفأ
كطير المساء الذي يمحو الشواطىء
كريح المساء التي تراها بغتة اشد عنفاً وبرودة ..

طير الاطلال

افترق طير الاطلال عن الموت
وبنى عشه في الصخرة الرمادية حيال الشمس
بعد أن جاز كل الم وكل ذا كرة
ولم يعد يعرف ماهو الغد في الازل .



أربع قصائد (١)

للشاعر الإسباني فريديريكو غارسيا لوركا

ترجمة: فواز الطرابلسي

في المدرسة

(الستارة على نافذة المدرسة مزينة بالنجوم)

الاستاذ : من هي الفتاة التي تتزوج الريح ؟

التلميذ : فتاة الشهوات جميعاً ..

الاستاذ : وماذا يقدم لها الريح ؟

التلميذ : عواصفه المذهّبة .

الاستاذ : وماذا تقدم له مقابل ذلك ؟

التلميذ : ... قلبها المفتوح ..

الاستاذ : ما اسمها ؟

التلميذ : اسمها لا يباح به .

---

(١) ثم تقدم (المعرفة) لقرائها اربع قصائد للشاعر (لوركا) وهي من الشعر الحديث ايضا الذي يعني بالرمز ، ولكن لا تغيب المعاني فيه بين جلجلة الاصوات وتداخل الالوان والظلال .

قصيدة الدموع

اقفلت شرفتي
لاني لا اريد سماع الدموع
لكن خلف الجدران الرمادية
قليلون هم الملائكة الذين ينشدون
قليلون هم الكلاب الذين ينبحون
والف كمان يتكوم في راحة يدي
لكن الدموع كلب كبير
الدموع ملاك كبير
الدموع كمان كبير
الدموع تذروها الريح
ولا نسمع غير الدموع

اغنية رقيقة

كانت قبلتي رمانة
عميقة منفرجة
وفمك وردة
من الورق .
(... وفي البعيد حقل تغطيه الثلوج)

كانت يداي حديداً

للسندان

وجسدك صلاة

للغروب .

(... وفي البعيد حقل تغطيه الثلوج)

من جمجمة السماء

المثقوبة

تتدلى عبارات حبي

كالشموع .

(... وفي البعيد حقل تغطيه الثلوج)

الصدأ يكتسح

احلامي الصبيانية

والقمر يخترقه

المي الحلزوني .

(... وفي البعيد حقل تغطيه الثلوج)

فلنكن جادين الآن

لنعد الى ايام المدرسة :

حبي واحلامي

غزلان صغيرة دون عيون .

(.. وفي البعيد حقل تغطيه الثلوج .)

في اذن صبية

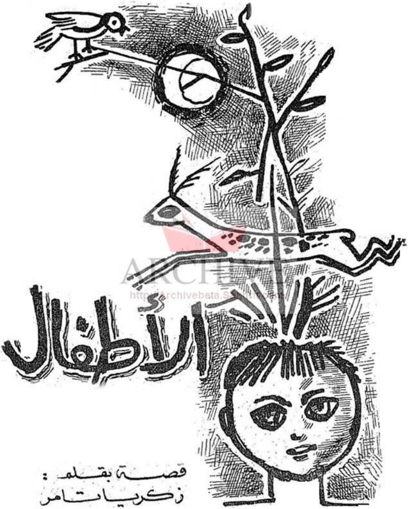
لا اريد منك شيئاً
لا اريد ان اقول لك شيئاً،

رأيت في عينيك
شجرتين صغيرتين مجنونتين،
بالنسيم والضحك والذهب

وكانتا تتمايلان ..
لا اريد منك شيئاً
لا اريد ان اقول لك شيئاً ..



الأطفال



قصة بقلم :
زكريا تامر

١ — الحلم أفاق الصغير

كان الطفل الصغير مستسلما للسبات حين صعدت الجنية من مكان ما مظلم تحت الارض ، وهمست مخاطبة الطفل بصوت رقيق :

— سآخذك الى البحر .

فقال الطفل بحيرة : أنا لا أعرف ما البحر .

قالت الجنية : البحر طفل يحب الماء ، وله عينان زرقاوان .

وعندئذ سمع الطفل هدير ماء غاضب ، فهمس بضراعة : لا احب الماء .

— ماذا تحب اذن ؟

— احب البستان .

فضحكت الجنية بهزء ، وقالت متسائلة : لماذا تحب البستان ؟

— البستان اخضر .

فقالت الجنية باصرار : سآخذك الى البحر .

وأقبل البحر ، ولم يكن طفلا انما كان رجلا طويل القامة ، مريض الكتفين ، نبتت في صدره اعشاب خضراء . وارتعش الطفل مذعوراً ، ولم يجسر على البكاء . واقترب البحر من الجنية ، وحين احتضنها بساعدين ذهبيين ، اضمحلا فجأة كأنهما ملح رش فوق الماء .

وأفاق الطفل من نومه يرتعد هلعاً ، وبكى بصوت مرتفع . ولم تسمع امه النائمة اصوات نحيبه ، فظل حينا من الوقت يبكي وحيداً وهو مستلق على ظهره فوق سريره الصغير ثم عاد شيئاً فشيئاً يستسلم للنوم ، فضحك البستان ، واخضرت الاشجار ، وحطت على الاغصان عصافير صغيرة ، وراحت تغرد ، وأنشد النهر

انشودة مبتلة بالماء ، ففرح الطفل ، غير ان فرحه لم يدم طويلا فقد رجعت الجنية لتهمس باصرار : سآخذك الى البحر .

وكانت الجنية آنئذ امرأة دميمة ، تتقد الكراهية في عينها الكبيرتين ، فأطلق الطفل صرخة رعب عالية ، ايقظت أمه من نومها ، وجعلتها تهرع اليه مرتاعة ، ثم تمددت لصقه ، وضمته الى صدرها بحنان ، وراحت تهدئه حتى اطمأن وكف عن النحيب ، وبدأت تهدهده بصوت خافت ووعدته انه اذ نام فستجلب له طيرين من الحمام الابيض .

وكان البستان في تلك اللحظة امرأة مضطجعة على ظهرها ، تضحك مبتهجة . وطارت عبر الفضاء الازرق حمامتان ثم لحقت بها حمامة ثالثة صغيرة ، وكانت لاتحب الماء .

٢ — سيسافر الى مخبأ القمر

قال الطفل لأمه : البارحة في الليل نزل القمر من أعلى ، وشرب كوباً من الماء .

فابتسمت الام وقالت : عندما كنت صغيرة السن مثلك رأيت مرة القمر يقطف برتقالة .

ـ هل يحب القمر البرتقال ؟

فلم تجب الام فاردف الطفل متسائلا : أين يذهب القمر في النهار ؟

ـ يختبىء .

ـ أين يختبىء ؟

ـ لا أحد يعرف مخبأه .

ـ لماذا يختبيء ؟
ـ نحن ننام في الليل أما القمر فهو ينام في النهار .
فلاذ الطفل بالصمت ولم يفه بكلمة غير أنه قد صمم منذ تلك اللحظة على البحث عن القمر حين يصبح كبير السن .

٣ ــ ماذا تفعل اليد الصغيرة ؟

كان للطفل قطة بيضاء ، وكان يحلو له أن يتحدث معها ، وفي يوم من الايام ماءت القطة وقالت له : اشتر لي كوخاً .
ـ انت تحبين العيش في الطرقات ، ولست بحاجة الى كوخ .
ـ أنا أحب التجوال ليلا في الطرقات ، أما في النهار فأحب النوم في مكان هادىء امين .
قال الطفل : أنا صغير ، لا أملك ثمن كوخ .
ـ اذن ابن لي كوخاً .
ـ أنا صغير ، ويداي صغيرتان لا تستطيعان بناء كوخ .
فغضبت القطة ، وكفت منذ تلك المهنية عن التحدث مع الطفل . ولقد اضطر الطفل فيما بعد الى أن ينشد صديقاً له بين الاطفال الصغار .

٤ ــ الغيوم وسادة الطفل

ضحك الطفل طويلا دونما سبب ، فسألته امه بفضول : لماذا تضحك ؟
قال الطفل : هل يعرف النهر اسمي ؟
فأجابت الأم : النهر لا يتكلم ، وهو يعرف فقط اسماء الضفادع والاسماك .
قال الطفل بثقة : النهر يعرف اسمي ، وهو يحبني .
ــ لا تقترب من النهر .. إنه يختطف الأطفال الصغار .

فهز الطفل رأسه بحيرة فقد سبق له أن سمع النهر يهمس باسمه بحنو عجيب، وكان صوت النهر فائق العذوبة رقيقاً كعبير الياسمين .

وظل الطفل صامتاً هنيهات ثم قال لأمه : سرقت غيمة .

فقالت الأم : الكذب عيب .

— أنا لا أكذب ، سرقت غيمة .

وأشار الطفل بيده الى أعلى حيث الغيوم متجمعة عبر الفضاء ثم قال :

— سرقت واحدة من هذه الغيوم .

— كيف ؟ الغيوم عالية جداً وانت صغير .

— قلت للغيوم : تعالي ، فانحدرت من أعلى .

وبسط الطفل راحته ، وكان عليها قطعة من القطن الابيض ، فضحكت الأم وقالت :

— هل هذه غيمة .

فقال الطفل بصوت مفعم بالبهجة : لم استطع أن أسرق الغيمة كلها فهي كبيرة جداً فاكتفيت بخطف جزء منها .

٥ — صديقتي الشمس

لم يستطع الطفل أن ينجح في محاولته أن يجابه ضياء الشمس بعينين مفتوحتين ، فأحنى رأسه مكتئباً ، وقال لأمه :

— الشمس تكرهني .

فقالت الام : الشمس تحب كل الناس .

فقال الطفل باصرار : الشمس لاتحبني .

ورحل النهار بخطى متئدة مصطحباً معه شمسه ذات الوجه الشاحب .

وهطلت الامطار غزيرة في الليل ، ثم أقبل الصباح ابيض رطباً . وصاح الطفل فرحاً حين عثر في باحة البيت على عصفور صغير . يرتعش من البرد وقد بلله المطر .

وسارع الطفل الى اطعام العصفور من فتات الخبز غير أن العصفور ظل ضعيفاً يرتجف من الصقيع والخوف .

وبدا للطفل أن العصفور قد يموت في أي لحظة ، فامتلكه الاضطراب والجزع ، ولكن ما أن رحلت السحب الرمادية عن السماء ، وعادت الشمس الى الظهور حتى بدأ العصفور ينطنط بمرح ، ولم يمض سوى وقت قليل حتى طار مرفرفاً بجناحيه . فتطلع الطفل الى الشمس بعينين امتزج فيها الخوف والشكر والوداعة ، ثم ابتسم لوجهها الذهبي ابتسامة من اختار ماسيحبه حتى النهاية .

٦ ــ الغزال السجين

سار الطفل في طريق حافلة بالضجيج ، وكانت اصابعه صغيرة خائفة ، تتشبث بلهفة بيد امه . وبغتة توقف عن السير وصاح : ما هذه ؟

وأشار بيده نحو باب دكان لبيع الدجاج والطيور ، وكانت تقف هناك غزالة ، يلتف حول عنقها طوق جلدي يمنعها من الافلات والهرب .

قالت الام : هذه اسمها غزالة .

ــ أين أتت ؟

ــ من الصحراء .

ــ الصحراء مكان واسع جداً ، ارضه مغطاة بالرمل .

ــ ما هو الرمل ؟

ــ الرمل حبات صغيرة جداً ، ناعمة ، صفراء اللون .

ــ لماذا أتت الغزالة الى هنا ؟

ـــ جلبها الصيادون ليبيعها .

ـــ وماذا يفعل بها من يشتريها ؟

ـــ يذبحها .. فلحمها لذيذ الطعم .

فتأمل الطفل الغزالة ملياً ، وكانت الغزالة تقف مذعورة ، رشيقة ، ذهبية اللون ، عيناها وديعتان تطل منهما رغبة في البكاء .

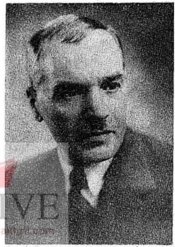
وارتجف الطفل ، وأحس انه كان في يوم ما غزالا يعدو عبر صحراء فسيحة ، فأجهش بالبكاء ، وقال لأمه : خذيني الى الصحراء .

وكانت الصحراء آنئذ في مخيلة الطفل أرضاً فسيحة جداً ، تغطيها رمال صفراء ، لا يعيش فيها سوى الغزلان والصيادين ؟



الكاتب

يوردان يوفكوف، هو أحد كبار ممثلي الادب البلغاري الحديث.



وهو شاعر ، وقصاص من الدرجة الاولى في بلاده .

ولد عام ١٨٨٠ في احدى القرى الجبلية (جيرافنــا) المعروفة بصلابة سكانها ، وحبهم للحرية في معــارك تاريخية مشهورة ضد الحكم التركي العثماني. ومن قصص قريته واساطيرها واحاديث الحرب والثورة استوحى مواضيع اول مجموعة قصصية الفها بعنوان (أساطير ستارا بلانينا)

بدأ الكاتب يوفكوف حياته مدرساً في مدارس القرى ، مما أتاح له أن يدخل في حياة الفلاحين الذين هم بالواقع ابطال ادبه القصصي الذي خلفه للاجيال. وفي الحرب العالمية الاولى ، اشترك في المعارك ، كضابط ثم كمراسل حربي. ثم التحق بعد الحرب بوظائف الدولة ملحقاً صحافياً في السفارات ثم في دوائر المطبوعات وتوفي عام ١٩٣٧ وهو في قمة نشاطه وانتاجه عن سبعة وخمسين عاماً وقد ترك ثروة من القصص والروايات والمسرحيات ، ترجم معظمها الى ست وعشرين لغة اجنبية .

وفي القصة التي ننشرها (المعروفة) مترجمة مباشرة عن البلغارية ، نموذج من ادب القصة القصيرة التي تفوق الكاتب في مضمارها وجلى .

من الأدب البلغاري الحديث

خبيث إيفان بيلين (١)

قصة يوردان يوفكوف

كان ايفان بيلين يحب ان يتأمل الأشياء بدقة ، ويتعمقها ، ويتفهمها جيدا . فهو ان لم يفعل هذا فقد اعجاب الناس به ، الشيء الذي لا يرضاه ؛ وقد عرف عنه انه رجل يستشف الرموز ، ويحل الالغاز ، ويتنبأ بما سيكون . وها هو ذا يستند على عصاه ، ليتأمل شيئاً ايضاً ، وهو مسمر في مكانه . فالذئبة البيضاء التي كان قد تعرف اليها فيا مضى ، قد وثبت بالقرب من قطيعه منذ قليل ، دون ان تفترس شيئاً ، ذلك لان الكلاب احست بها وطاردتها . لكن ايفان بيلين ما زال يتتبعها بنظره رغم انها قد اصبحت على مبعدة منه . وكان يرى الكلاب العائدة وسط السهل ، ويلمح ظهورها بين الاعشاب وهي تهز باذنابها الملتوية نحو الاعلى وشعرها المتهدل

---

(١) ترجمت « للمعرفة » عن اللغة البلغارية .

على جوانبها كريش الطواويس ، وقد خلفت وراءهـا الذئبة البيضاء التي رآها ايفان بيلين تتسلق الهضبة الاخيرة بسرعة البرق . ورغم انها قـــد تجاوزت كل خطر ، فقد كانت ما تزال تجري لاهثة من الخوف ، وتتوقف بين لحظة واخرى لتنظر الى الخلف ، ولتعدو من جديد . واخيراً ،توقفت لمدة اطول ثم عاودت جريها ولكن بصورة اهدأ . وما لبثت ان غيرت اتجاهها نحو الغرب حيث تمتد الحقول . بينما كان ايفان بيلين يزيد من اهتمامه ، ويتابع الذئبة دون ان تطرف له عين ، وهو مستغرق في تفكيره ، يلمع في عينيه اللتين كانتا تبدوان كما لو انهما مغرورقتان بالدموع ، بريق حـداً ، وترتسم تحت شاربيه الابيضين ابتسامة ما . وتمتم قائلاً لنفسه : « يالها من ماكرة » .. وهز رأسه وأردف : « حتى هنـا ، وفي الحقول وليس في الغابة كما كنت اتصور » .

ولم يشك ايفان بيلين في اكتشافه . والتفت ينظر باتجاه الغرب ، حيث كانت السهول تنخفض بالتدريج وتغيب في الابعاد . وهنالك ، في اعماق الافق ، كان يرى قوس قزح يلتوي على نفسه اسود كالفحم . ولم يكن غير الغابة ، التي كان يخيم عليها ضبابه ازرق، كانت الشمس التي اشرفت على الغروب تجعل منه شفافاً ووردياً بينما كانت رؤوس الاشجار السوداء تبدو كما لو انها تلتهب على سفح السماء الذهبية . وكانت الغابة كبيرة ورهيبة ولكنها كانت بعيدة جداً وكان صعبا على المرء ان يعتقد ان الذئبة تستطيع ان تذهب وتعود من هنالك . فمن الاسهل على الاعتقاد انها تختفي في مكان ما بين الحقول . فبين السنابل التي كانت ترتفع اعلى من قامة الانسان ، تستطيع ان تختفي آلاف الذئاب لا ذئبة واحدة .

وككل مرة مضت، شعر ايفان بيلين بالاعتزاز بعقله الراجح . ومضى يهش على قطيعه ، مبتسما ، واتسعت خطواته فوق العشب الكثيف بحيوية بينما كانت عصاه تتنقل امامـه بخطوات اوسع . وما ان بلغ قطيعه حتى لمـه حوله وتجمع على نفسه فوق عصاه ، ومضى يتأمل الذئبة من جديد .

كان كل شيء تحت اشعة الشمس الغاربة الرقيقة يبدو واضحاً في تلك البقعة :

فالسهول الخضراء تلتمع وتغور في الاودية ظلال سوداء ، وتبرق الطرقات ، امام عيني ايفان بيلين اللتين كانتا تتأملان تموجات الحقول الخضراء المغتسلة بالاشعة . وكانت الذئبة كبقعة بيضاء

ما زالت تجري خبباً وبهدوء دون ان تلهث او تتلفت حولها . وكان ايفان يلين راعياً عجوزاً ومجرباً ، يعلم ان بامكان الكلب والذئب ان يجريا على هذه الشاكلة عندما يعلمان تماما هدفهما . وكان متأكداً من ان هذا الاتجاه الذي تسلكه الذئبة لم يكن من قبيل المصادفة ، انما هو اقصر طريق لها نحو جحرها .

ولم يشك ايفان يلين ايضاً ، بان للذئبة جراء .

في بعض الاحيان كان بامكان الراعي أن يرى الذئبة من قريب تماما . وقد حدث ان رآها مرة اذ لم تكن الكلاب قد شعرت بها تجري على مقربة خمسين أو ستين خطوة منه ، كما لو أنها خرجت من بطن الارض . وتذكر كيف تجمعت اغنامه على بعضها من الخوف كما لو ان عاصفة كانت قد دهمتها ، أما كلابه فتراجعت الى الخلف لتنقض عليها بسرعة الرصاص ، بينما كانت الذئبة قد جمدت في مكانها ومازالت ترفع مخلبها الأمامي ، ساكنة ، ومترددة يصعب عليها أن تلتفت الى الخلف . كانت كما لو أنها قد نسيت أن تهرب أو تفكر بالنجاة . وفتحت فكها ليتدلى منه لسانها الاحمر الذي كان يهتز مع أنفاسها ، بينما كانت تطرف بعينيها نصف المغلقتين . ولم يكن بوسع ايفان يلين ان ينسى ذلك المشهد ، لاسيا نظرات الذئبة وعينيها ، فقد كان ينقصها أن تتكلم . لم يكن في عيني الذئبة أي أثر للخوف أو التفكير بالذات ، أو بأي شيء آخر كان يحيط بها . إنما كان يلتمع فيهما بريق آخر ، عميق وحزين . وكما لو أن أحداً قد قبض على قلب ايفان يلين الذي قد فهم كل شيء . فلم يكن ذلك الالم الكامن في عيني الذئبة بالشيء الغريب عنه . لقد كانت عيناها كعيني أية أم . وسيان عنده اكانت انساناً أم وحشاً .

وهكذا ، استطاع ايفان يلين ان يكتشف سر تلك الشجاعة التي دفعت بالذئبة الى أن تهبط المكان في وضح النهار . اجل ، لقد كان ذلك سر قوتها على الدفاع ، فرغم ضعفها وهزالها كانت تصر على اسنانها بغضب حتى أن الكلاب الكبيرة والشرسة ابتعدت عنها كما لو انها قد نهشتها .

وقطع ايفان يلين حبل تفكيره عندما لاحظ الذئبة من جديد وكأنها تفعل شيئاً مالم يكن العجوز ليدركه . كانت الذئبة قد توقفت ، عن جريها ، وبدأت تتقدم على مهل كأنها تحترس من شيء ما ، ثم ما لبثت أن انقضت كما تفعل القطة عندما تفترس الفئران ، واتأد متنها كقوس قزح أما ذيلها فكان يتحرك بسرعة . وكررت قفزها عدة مرات . وابتسم ايفان يلين وقال في سره ، ان هذه الذئبة تبحث عن فئران لتأكلها . ياله من صيد هزيل من اجل الذئاب . ولكن ماذا بوسعها ان تفعل ، مادامت لم تستطع أن تفترس خروفاً ، فعليها ان تسد رمقها وتهدهد جوعها ، لاسيا وانها على مقربة من جحرها . وستؤوب اليه متعبة ضامرة ، حيث تستلقي بين عظام فرائسها والعيدان والاعشاب الجافة ، اما جراؤها الصغيرة ، فسوف تهجم عليها كما يفعل الاولاد مع

امهاتهم وسوف تلتصق بصدرها ببراءة وشراسة ظاهرتين . وسوف تنسى نفسها من جديد ، وبأذنين منتصبتين ، وعينين متنبهتين يلتمع فيهما غمس الألم الذي لاحظه ايفان يلين ، كان عليها ان ترهف سمعها محترسة من كل خطر قد يداهم صغارها التي كانت تفكر بهم دون نفسها .

وتحرك ايفان يلين وهو يتنفس الصعداء وهش على قطيعه . ففي مثل هذه اللحظات يصبح اكثر شفقة وينفتح قلبه لآلام غيره . أما الذئبة فكانت قد اختفت بين الحقول ولكنه مع ذلك كان لاينفك يتطلع الى ناحيتها . ولم تكن افكاره مرتبطة بعضها ببعض ، انما كانت متقطعة ، موضوعها الذئبة احياناً اخرى . ولكن ذلك كله كان مبتوراً وغير واضح . إنما الألم وحده كان يهيج قلب العجوز . وما لبث الظلام أن هبط عليه واغرق الجهة القريبة . وسطعت في قبة السماء اول نجمة مسائية كحجر كريم . وهب نسيم عليل ، مفعم بأنفاس الاعشاب الشذية ، وبدأت الصراصير ترمث بصفيرها وكانت اجراس القطيع تصدح في عتمة الليل الواسعة برنينها الجليل . وشعر الراعي بشيء خالد ، لايتبدل ، وباحساس من الحكمة يعتمل في قلبه . ورفع عينيه نحو النجوم دون ان يبحث في هذه المرة عن الرموز والالغاز انما شعر بانه ماثل امام عيون الاله . وعاد بتفكيره من جديد الى الذئبة . « انها ايضاً مخلوق صنعه الاله » واردف يقول وقد شعر بطيبة ونبل يعمران صدره . « انها ام أيضاً ، وتطعم اطفالها » .

* * *

ومرت اسابيع دون ان يرى ايفان يلين الذئبة البيضاء ولم يعد يتذكرها تقريبا . وككل انسان آخر ، كانت حالته النفسية تتبدل من يوم لآخر . فهو الآن اصبح يهتم باشياء اخرى . ويلاحظ اصباحا اكثردفئا وجفافا تتتابع دون ندى ، اورطوبة ، والشمس تسطع اكثراحمرارا من اي وقت مضى والسماء رمادية مربدة . كل هذا انما كان يعني بالنسبة لايفان يلين الجفاف . وهذا ما كان يحدث بالفعل اذ كان الجفاف يزداد يوما بعد يوم . ولكن ايفان يلين كان يدرك الدورة الكونية ولم يستغرب من الامر شيئا .

وقال ايفان يلين موجها كلامه الى جماعته من الرعاة : « لاتخافوا ، ايها الاولاد ، ان الله يعلم مايجب ان يعمل . فلنتحمل القيظ ، مادام يشوي لنا الخبز . فسينتهي الحصاد وستجمع اثمار السنابل من الحقول . وآ نذاك لن تجد هذه الاغنام العجفاء ما تأكله فقط انما سوف تتعثر في مشيتها من العافية » .

كان الرعاة الصغار الذين كانوا حتى الامس تلامذة متحلقين حول ايفان يلين ينصتون الى حديثه باهتمام بالغ وقد تأبط كل منهم جعبته وعاق على خصره مزماره يهش بين حين وآخر على غنمه . وكان ايفان يلين بالنسبة لهم شيئا كبيرا ورجلا حكيما يملك كل الصفات التي يجب ان تتوفر في الراعي الحقيقي ، حتى لينم مظهره الخارجي على ذلك . كان طويل القامة ، نحيفا ، ومع ان

شعره وشاربه كانا قد ابيضا من الشيب فان حاجبيه كانا لايزالان محتفظين بلونهما الاسود ، وهذا ما كان يجعل وجهه كأنما قد قسم الى نصفين ، فكان متجهما وقاسيا حتى انفه ، ومرحا مبتسما من اسفل انفه . وكان يتكلم بطيئا ولصوته ايقاع محبب الى النفس . وكان لبقـــا في حديثه وفي طريقة عرضه لقصصه وحكاياته الكثيرة الـــتي كانت تستهوي المستمعين . وكان يصل الى هدفه باسلوب لايجيده اي محدث آ خر . وعندما احاط به الرعاة شعر ايفان يلين بنوع من الارتخاء والكسل ، لايشجعه على التحرك من مكانه ابدا . وقطع حديثه عند اجمل مكان وقال :

ز « هيا ياولدي ميلانتشو . اعد هذه النعاج من هنالك ، انها تقترب من الحقول » ..

و « وانت ياستويانتشو ، خذ الوعاء من فوق الحمار واجلب لنا قليلا من الماء . هيا . اننا ننتظرك .. من ثم سوف اروي لك ماقاله الراعي للملكة » ..

كان الاولاد يطيعون اوامره . ولكن العجوز كان في بعض الاحيـان يزداد مكرا ، وكان بالقرب من «البئر الكبير» مرج يانع حتى في اشد ايام الجفاف . وكان يود ايفان يلين ان يستأثر به لنفسه ، وان يبعد عنه الرعاة الصغار . ومن اجل هذا فقد كان يحذرهم دائما من جاموس تعود ان يخرج من « النبع الكبير » له قرنان طويلان وعينان رهيبتان ..

وكانت لايفان يلين طباع اخرى عجيبة . فلم يكن مدمنا على الخمرة . ولم يشربها بصورة مستمرة . ولما كان قد مضى عليه شهر او اثنان دون ان يذهب الى القرية فقد هجر قطيعه فجأة في يوم من الايام ودون اي سبب ظاهر ، بل دون ان يفكر في ذلك طويلا وسلك طريقه اليها تجذبه قوة اشد من ارادته . وهناك كان يترك قطيعه لزوجته او لغيرها ، ويتوجه الى الحانـة وحيدا . وكان في كل مرة يفتعل شراء دخان اوفتيل او شيء تافه آخر ، ويطلب كأساً واحدا من خمرة الراكيا وكان يسرع في مغادرته للحانة دائما . ولكنه مالبث ان تعود الشرب مليا . وكان يدفع قبعته الكبيرة الى الخلف ، فتظهر جبهته المتجعدة التي تبرز من تحتها عينان يخيم عليهما حاجبان كثان اسودان ولكن ابتسامته كانت دائما تنفرج تحت شاربيه . وحتى في حالة سكره كان ايفان يلين رجلا طيبا مرحا كعادته دائما ، يطلق الضحكات والنكات والصفير وقد انتفخ خداه ودارت عيناه في محجريهما . وهكذا كان ايفان ينهي سهراته هذه ، في ساعات متأخرة من الليل ، وقد استبدت به الخمرة ولم تعد رجلاه لتطيعاه وما ان يقترب من داره حتى ينحني على الارض فيدب على يديه ورجليه .

مضى شهران على المرة الاخيرة التي رأى فيها ايفان يلين الذئبة البيضاء . وشعر في أحد الايام أن صوتاً ما يناديه فخلع عباءته وترك جبته وعصاه واتجه نحو الحانة . وهنالك كان يسود جو من المرح ذلك لأن بيتر تشوبراكا كان في الحانة ايضاً . كان بيتر هذا صديقاً حميماً لايفان يلين . ولكنه لم يكن يصدق تنبؤاته ولا حكاياته التي كان يرويها بل كان يحب معارضته وازعاجه ،

لا لشيء غير رغبته في الضحك . ولما كان ايفان يلين قد كتم خـــلال شهور طوال قضاها في السهل ، مايعتلج في صدره ، بدأ يسرد جميع ماخطر له اما صديقه تشوبراتا فكان يصدق بعض الاشياء ، وينكر الاخرى . وفي الحقيقة انه كان يصدق روايات ايفان يلين عندما تكون الاقداح ملأى ، ويعترض على كل شيء عندما تكون الاقداح فارغة . وعندما ألم بهما السكر قليلا دارت بينهما مناقشة كان يسمعها كل من في الحانة . حتى أصبح بامكان من لايعرفهما أن يعتقد أن هذين الرجلين لابد أن يتخاصما بعد قليل .

لكن ايفان يلين لم يتراجع عن عرض حكاياته وتنبؤاته عن الجفاف بل عمد أيضاً الى البحث عن أشياء جديدة يعرضها من أجل أن يدهش صديقه المشاكس . فما لبث أن نهض وهو يترنح على رجليه الطويلين ورفع حاجبيه الاسودين وصاح بتشوبراتا :

ــ اسمع أتدري ماذا أعرف أنا ؟

ــ لاتعرف شيئاً ــ قاطعه تشوبراتا :

ــ اعرف ....

ــ تعرف عن الذئاب فقط .

اضطربت ملامح ايفان يلين وقهقه بصوت مسموع وقال : ــ عن الذئاب ؟ ها،ها،ها ، لقد سبقتني ، نعم ، انني اعرف عنها . اعرف مثلا أين تختفي الذئبة البيضاء ، لقد شاهدت صغارها أيضاً . لقد كانوا اثنين هكذا ...

فنظر اليه تشوبراتا مستهزئاً .

بينما كان ايفان يلين يرمقه بنظرة حادة ويقول :

ــ سوف اصطادها .

ــ سوف تصطادها اذا ماوجدت من يمسكها لك .

ــ سوف اصطادها !

ــ دعها وشأنها ... يكفيك خيالا .

وعندما حمل رادوسلاف صاحب الحانة كؤوساً جديدة ، تراجع تشوبراتا من جديد . وأصبح الاثنان بفعل الخمرة كمعتوهين يرددان ذات العبارات ولم يعد ايفان يلين ليتحدث عن شيء آخر غير الذئبة البيضاء .

وصرخ ايفان يلين قائلا : ــ يمكنني !

فانتهره تشوبراتا من جديد .

ونهض ايفان يلين وقد مالت قبعته حتى لامست حاجبيه وسار يخطو سريعة نحو باب الحانة . والتفت نحو صديقه وهو يداعب شاربيه الطويلين وقال :

ــ سوف احلقهما اذا لم آت لك بصغار الذئبة . انتظرني ، انتظرني قليلا ، كي ترى .

واتجه ايفان يلين الى بيته رأساً ، وعندما بلغه ودون أن يتفوه بكلمة واحدة مضى يبحث في الصناديق وبين الخزانات عن شيء ما ، بينا كانت الجدة يالا تتبرم لانه ترك الولد وحيداً مع القطيع . ولكن ايفان يلين لم يلتفت الى حديثها مطلقاً انما مضى في بحثه صامتاً ولكن ابتسامة كانت ترتسم تحت شاربيه . واخيراً استطاع أن يعثر على كيس تفحصه والقى به جانباً . وتناول بندقيته القديمة وتأكد من صلاحيتها ووضعها قرب الكيس . ولكنه عندما سحب حبلا لفه حول خصره، حملقت الجدة يالا بعينيها من الدهشة . وكانت تنظر اليه دون أن تدري ما يجب عليها أن تقول.

وابتدرها ايفان يلين بصوت خافت : ــ اعطيني صابوناً ... الآن اذهب لاشنق نفسي .

نصرخت به زوجته وهي ترسم اشارة الصليب على صدرها : ــ يا الهي ، لقد جننت ، جننت تماما ، أيها الرجل .

وكما كانت تفعل دائماً عندما كانت تشعر بالغضب، مضت تتظاهر بتنسيق غرفتها وتطلق آهاتها .

هز ايفان يلين رأسه ، مبتسما ، واخذ الكيس والبندقية ولمس حد سكينه ليتأكد من مضائه . وخرج .

بعد ظهر ذلك اليوم كان تشوبراتا قد تناول طعامه ، واستراح قليلا ، ومن ثم خرج الى الشارع . ورغم عدم ايمانه بتنبؤات ايفان يلين ، فقد كان يدير انظاره في الماء ، ويزداد قناعة بان الجفاف سيقع حتما . كانت الظلال تبلغ نصف الطريق ، ولكن القيظ شديد ، والتراب محرق . وابتسم تشوبراتا في سره عندما تذكر صديقه ايفان يلين . واعتقد ان الجدة يالا سوف تنجح هذه المرة في تأديب زوجها وفي ارساله الى القطيع .

وفجأة سمع تشوبراتا ضجة التفت نحوها ليجد عند منعطف الطريق ، قرب المحلة العالية جمعاً غفيراً من الناس ، فاستغرب تشوبراتا ذلك ، اذ كان النساء والاولاد يجرون عبر الساحات كما لو انهم يريدون ان يروا شيئاً . ورغم الضجيج والصياح فقد ادرك تشوبراتا ان ليس في الأمر مايدعو الى الفزع . واقتربت جماعة الناس منه وكان بينها رجل طويل القامة يحمل على ظهره كيساً على الطريقة التي يحمل بها الرعاة نعاجاً او خرافاً صغيرة . ولكن حمل الرجل لم يكن ليشبه النعاج او الخراف . وسمع تشوبراتا صياح فتاة صغيرة : « ماريا ، ياماريا ، تعالي كي تري ذئباً » . وما لبث تشوبراتا ان تعرف في الرجل الطويل على صديقه ايفان يلين الذي كان منهوك القوى ، محمر الوجنتين ، ينؤ تحت حمله الثقيل الذي كان ذئباً .

وصرخ تشوبراتا من العجب وكأنه لايصدق عينيه .

كان الناس قد تجمعوا حول ايفان يلين وساقوه امامهم بينا كان الاولاد يصرخون :

« وفي الكيس أيضاً ذئاب صغيرة » . وعندما بلغ ايفان يلين حانة رادوسلاف القى بالكيس من على ظهره فاستلقى امامه على الارض جسد الوحش الهائل . وكانت الذئبة البيضاء نفسها ، تلك التي كان قد سمع عنها الناس جميعاً . وكان في فمها عود من الخشب ، وقد حزمه ايفان يلين بطريقة لا تقوى بها الذئبة على الحركة او العض . وكان على فخذها جرح احمر كبير . ورغم انها كانت حية ، فان الموت كان قد بدأ يدب في اعضائها . أما عيناها فكانتا تنفتحان وتنغلقان في ارهاق ظاهر . بينما كانت تتحرك في الكيس الملقى الى جانبها طابتان حيتان .

أما ايفان يلين فقد كان رغم لون التعب الذي احاط بعينيه ، اكثر مرحاً وابتساماً من كل وقت مضى . كان يحدث الناس كيف اصطاد الذئاب الصغيرة وكيف اطلق النار على امها . وكان الناس ينصتون اليه وقد ادهشتهم كلماته وافزعهم منظر الوحش الملقى على الارض .

أما تشوبراتا فقد كان يخترق جماعة الناس المتحلقين حول ايفان يلين وهو يردد : « يالك من انسان عجيب ، يا ايفان ، ماذا فعلت ؟

رفع ايفان يلين قبعته الكبيرة وقد غمر الاعتزاز سواد عينيه ، وكشر فمه عن ابتسامة عريضة وقال باقتضاب وهو يشير بيده الى الذئبة :

ـ انظر !

وهمهم تشوبراتا : ـ اجل ، اجل .

أما ايفان يلين فقد فتح الكيس مشيرا الى الذئاب الصغيرة . وكانت تشبه جراء الكلاب ، ولكن آذانها كانت منتصبة ، وشعر جلدها رمادي ، منتفش ، وعيونها زرقاء كالخرز . وقد حكت النساء فيما بعد ، ان الذئبة الأم فتحت عينيها في تلك اللحظة بتعب ظاهر وما لبثت ان اغلقتهما من جديد .

ربط ايفان يلين الكيس ، بعد ان روى فضول الجميع . وبينما كان الرجال لا يزالون متجمعين يتحدثون فيما بينهم ، عما شاهدوه ، كانت النساء قد بدأن بمغادرة المكان وقد قبضن على ايدي اولادهن ، بدون ان يحولن انظارهن عن الذئبة ، صامتات .

وهمست احداهن : ـ ياللمسكينة !

ـ ولها اولاد ... يا الله ...

وتوجهت نحو ايفان يلين عيون جميع الامهات ، اللواتي كن هنالك ، بحقد وغضب .

وعلت ضجة عربة كانت قد توقفت بالقرب من المكان ، وقد أثار الحصان الذي يجرها سحابة من الغبار . لقد كان تشوبراتا ، الذي صرخ :

ـ هيا ، ياايفان ، ناولني الذئاب . سوف ندور بها من بيت الى بيت . وسيدفع لنا كل من يشاهدها شيئا ... هذه هي العادة . اجل يجب ان يدفعوا . افما اخذتهم من الذئاب ؟

كانت العربة قد بدأت تسلك ازقة القرية ، وتتوقف امام ابواب البيوت وتتجمع حولها النساء مع اطفالهن . اما الكلاب فكانت قد احست برائحة الذئبة . وبدأت بالعواء . اما تشوبراتا فكان قد رفع الذئبة الميتة بشجاعة من اجل ان يراها اهل القرية . فتدلى جسدها هزيلا بينما كان جرحها يلتمع ، بلونه الاحمر تحت اشعة الشمس .

بعد ذلك بدأ تشوبراتا بعرض الذئاب الصغيرة . ودفعت النساء مافيه النصيب ، وهن ينظرن الى كل ذلك بصمت وبشيء من النقمة .

وكان ايفان يلين يسمع باستمرار كلمات ... « مسكينة ... مسكينة » .

وكان ذلك يعذب ايفان يلين ، ولكنه كان يحاول ان يخفي ذلك تحت ابتسامة مفتعلة ارتسمت على فمه ، ذلك لانه كان يشعر بالاثم . وترك الامر لصديقه تشوبراتا ليفعل مايشاء . واطرق طويلا وهو يتمتم بكلمات لنفسه :

« لقد حصل ماحصل ... ليس في اليد حيلة » .

اما تشوبراتا فقد ناوله زجاجة الراكيا وهو يقول :

ـ اشرب ! لك الحق في ان تشرب يا ايفان . انا قتلت الذئاب اشرب !

وشرب ايفان يلين . وهو يردد :

« لقد حصل ماحصل ... ليس في اليد حيلة » .

ولم يستطع ان يروح عن نفسه في تلك الليلة وبعد ان اتى بالذئاب الى البيت ، ذهب الى الحانة وبدأ يشرب مع تشوبراتا . وكان كما لو انه قد فقد الرغبة بالكلام ، وتملكه القلق والتعاسة .

ولاحظ تشوبراتا ذلك ومن اجل ان يوقظه من غيبوبته ، امسك بكتفه وهزه ، قائلا :

ـ اشرب ! كفاك تفكيرا بالذئاب . ليس من داع لكل هذا .

وكان ايفان يلين يشرب بالفعل ، يشرب كثيرا ، حتى انه عندما نهض ليسير ، كان عليه ان يدب على يديه ورجليه معا .

وعندما عاد الى البيت ، رأى الجدة يالا جالسة وسط الغرفة على ركبتيها وهي تهتز الى الوراء والامام وتغني . بل ان ما كانت تفعله ، كان شيئا بين البكاء والغناء . ولم تلتفت اليه ، بل رفعت صوتها اكثر . فتوجه ايفان يلين الى الغرفة الثانية والقى بنفسه على الارض حيث كان جسده الواهي يتقلب . ونفسه المضطربة تغط في بحر من التعب والقلق معا .

واستيقظ ايفان يلين على عادته مبكراً . وما ان خرج الى ساحة البيت ، حتى شاهد الهلال الذي كان يبدو كما لو انه قد تسمر في مكانه فوق المنحدرات السود . وكان الضوء الخافت يغطي المكان . فشعر العجوز ان شيئاً يشبه الشوك يهز اجفانه ، وان حفرة رهيبة تكمن خلف ظاهره وان رأسه قد اصبح ثقيلاً اكثر من اي وقت مضى ، ولم يعرف لماذا ليس هو قرب

قطيعه . وما لبث ان تذكر من جديد حادث الأمس . واعترته رعشة قوية . وتذكر كل شيء واستطاع ان يدرك ماذا كانت تفعل الجدة يالا في وسط الغرفة . لقد كانت تبكي ولم تكن تغني مطلقاً . انما كانت تردد اسمي ولديها اللذين سقطا في المعارك ؟

وارتد نحو البيت مسرعاً وتناول المصباح والكبريت وتوجه نحو الاصطبل حيث كان قد ترك الذئبة . وهناك ، وسط العتمة ، وعلى ضوء مصباحه الخافت ، شاهد الذئبة ملقاة على الارض وقد تقلص جسدها ، وقـد لاصق الذئبان الصغيران صدرهـا ، وكان احدهما نائماً والآخر منتصباً . وما ان احس به الذئب الصغير حتى رمقه بعينيه الزرقاوين كالخرز ، كما لو انه يعاتبه .. فارتجفت يد ايفان يلين حتى كاد المصباح ان ينطفيء .

عاد ايفان يلين الى قطيعه ، وانقطعت اخباره عن القرية ، ذلك لأنه قليلاً ما عاد يأتي اليها وبدأ يرى دائماً مع الرعاة الصغار ، الذين كان كعادته يقص عليهم حكاياته . وكما لو انهم كانوا قد ملوا احاديثه ، بدأوا بمازحته قائلين :

ــ ايها الجد ايفان ، هل كبرت ذئابك ؟ هل حقيقة ما سمعنا من انك سوف تطلقها عندما تصبح كبيرة ؟

وكان بعضهم يناديه من بعيد بشجاعة :

ــ ايها الجد ايفان ، هل حقيقة ان الجدة يالا تضربك ؟

ويقول آخر :

ــ هيا ، ايها الجد ، نريد ان نرى كيف يمشون على ايديهم وارجلهم ...

كان ايفان يلين ينظر الى الارض ، ويهز رأسه ويبتسم ويشير بيده الى النبع الكبير فترتعش اصابعه ويتجهم وجهه ، وهو يروي لهم كيف ان هناك جاموسة بيضاء ، رهيبة، تخرج من النبع ، لها قرنان طويلان وعينان فظيعتان .



الفنون

الكتاب والموضوعات

- أزمة الفن الحديث
  وبداية الاستشراق
  عفيف بهنسي
- اتجاهات الأدب المسرحي الحديث
  الدكتور رفيق الصبان
- كيف نفهم الفن
  فى البحث
  تعريب الدكتور قتيبة الشهابي

أزمة الفن الحديث
وبداية الاستشراق

بقلم عفيف بهنسي

اذا استعرضنا صفحات التاريخ الحضاري ، وجدنا الغرب وقد حقق خلال القرنين التاسع عشر والعشرين ، الفائض من المنجزات العلمية ، وتبين لنا بحق ان هذا هو عصر البحث والكشف والابداع في المجالين التقني والعقلي ، ومثال ذلك اكتشاف أشعة اكس ، والخوض في اعماق اللاشعور ، والسيطرة على المسافة وغير ذلك ..

ولم يقف التطور عند حد ، حتى ان الحروب والأزمات كانت في الواقع محرضاً لدفع عجلة الحضارة بسرعة أوفى وبخطى اكثر ثباتاً . فما ان جاءت الحرب العالمية الثانية ، حتى وجد الناس انفسهم امام اكتشافات جديدة مذهلة ، ادت الى تغيير ظروفهم ، خاصة بعد استخدام الطاقة الذرية ، واكتشاف مستحضرات البنسلين Antibiothiques ، واخيراً ارتياد الفضاء .

كان لهذه الاكتشافات الخارقة ، تأثير مفاجيء على انسان هذا القرن ، ولقد ادت الى اهتزاز في البنيات الاجتماعية ، والى اهتزاز داخلي لدى الانسان ، مما دفع المفكرين الملاحظين امثال رونيه هويغ Huyghe (١) ، لان يقول «الفراغ والقلق والعبث ، هي التسميات التي اصبحت اكثر ترددآً في عصرنا » .

وهكذا حمل القرن العشرون في اوربا ، الى جانب التفوق الحضاري ، بذور ازمة عميقة ، حتى ان شبنغلر Spengler في كتابه انهيار الغرب le declin de l'occident اعتقد ان انتهاء الحضارة الغربية امر حتمي ، وذلك تبعا لتفسيره العضوي لجميع الحضارات العريقة ، ومنها الحضارة العربية .

والحق ان هذه الأزمة التي شعر بها الغربيون في حضارتهم تجاوزت ادراكهم لكي تستقر في اعماقهم ، ثم تنبجس في ابداعاتهم الفنية والأدبية كما يقول رونيه جوليان . (٢)

ولقد كان الفن دائمآً مظهرا من مظاهر كل حضارة ، وهكذا فان ما أصاب الحضارة الغربية من قفزات أو من أزمات ، كان موحيآً بنفس الوقت الى الفن ذاته ، الذي كان — حسب قول هويغ — صورة قوية من صور ازمة الحضارة الحديثة .(٣)

فمنذ نهاية القرن التاسع عشر ، بدأت بالظهور انتاجات فنية خارجة عن حدود المجتمع وعن التقديرات الرسمية والذوق العام . وكان الطابع المسيطر على الفن الحديث هو التحرر والتمرد على جميع المظاهر الفنية ، وعلى جميع القيم الجمالية التي كانت سائدة في ذلك الوقت .

---

(١) انظر R. Huighe : L' art et l' homme

(٢) انظر R. Jullian : les grands courants de la peinture contemporaine

(٣) انظر R. Huighe : l' art et l' âme

ومثالنا اعمال « دوكان Duchamps » وكاندينسكي Kandinsky خاصة ، الذي قدم منذ عام ١٩١٠ اول لوحة تجريدية ، كانت مزيجاً من اللهو والعبث . وهكذا لم يعد العالم الخارجي كافيا للرد على حاجات الفنان ، بل لم يعد الخيال والفكر وحتى الجنون عناصر جديدة في الفن .

وتجسد هذا التمرد في نوع من الفردية تتضمن الكثير من الغرور . لقد ثبت لدى الانسان الحديث ، وخاصة الفنان ، ان دوره قيادي دائما ، وانه وحده يقابل العالم ، وعليه وحده مسؤولية حل جميع الاشكالات كما يقول Jouffroy ولذلك فهو انسان متمرد دائما ، انسان ثائر ورافض .

ويقول جان كاسو (١) « لقد اخذ الفنان موقف المتمرد ، والفوضوي والهوائي ، ولقد رفعت الاشكال والاساليب نحو الحدود القصوى بقوة ضرورة الرفض والتخريب . هذه الانقلابات الرهيبة اثارت القلق والذعر » .

ومن اهم مظاهر هذا التمرد رفض الواقع ، وكان الفنان قاسياً في تهديم هذا الواقع . ولقد وصف رونيه هويغ ذلك ببراعة قائلا (٢) « بعد الان لن تكون للواقع اية ميزة ولسوف ينقطع عن ان يكون حريزاً ، فها هو ذا يتزعزع على يد الوحشية دون رحمة ، ويتضاءل حتى اصبح طينة لينة لاتحمل الا أثر فنان عابث » هذا التمرد المتطرف أدى بطبيعة الحال الى خلق هوة بين الفنان والجمهور ، ولقد اكد ذلك كبار مفكري الفنون ومنهم جوليان الذي قال « ان الفردية الفوضوية هي من أهم الاسباب التي ادت الى انفصام العلاقة بين الفنانين والجمهور » .

وقال كاسو (٣) « لئن رغب الجمهور بشدة أن يستخدم سيارة حديثة

---

(١) J. Cassou : Situation de l' art moderne P. 20

(٢) R. Huyghe L' art et l' âme P. 428

(٣) انظر مقدمة « Les Nabis » par A. Humbert

مثلا ، او هاتفاً حديثاً ، إلا أنه لم يعترف قط بهـذا الفن الحديث الذي حاول مسخ الصورة ، تحت اسم الحداثة » .

والحق ان هذا الانفصال بدأ مع ظهور هذا الفن الحديث . فمنـذ نهاية القرن التاسع عشر ، اتجه الفن نحو وظيفته الاصلية ، فلقد تحرر من جميع الالتزامات الاجتماعية ، ولم يعد خادماً للمجتمع أو الكنيسة أو الاخلاق . ولكن بالمقابل لم يعترف المجتمع به ، ولا بالآداب الحديثة التي سارت على غراره ، فلقـد استقبل الناس بسخط كبير لوحة المستحمات لكوربيه Courbet ولوحة اولمبيا لمونيـــه Monet ، ثم جميع اعمال الانطباعيين ، ومنذ عام ١٨٥٧ فقـد مثل امام القضاء بودلير Baudlaire مؤلف ديوان « Fleurs du Mal » ازاهير الشر ، ومبدع الشعر الحديث ، كما حوكم فلوبير Flaubert مؤلف مدام بوفاري « Madame Bovary » ومبدع القصة الطويلة .

وهكذا فان هذا العصر رغم أنه يمثل جيله ، إلا أن هـذا الجيل كان يشعر بالمفاجأة والغرابة كما يقول كاسو .

وأزمة الفن التي جاءت عن هذه الحرية والتي كانت تستهدف « المحضية » « Pureté » والمجانية ، ظهرت بمظهر العبث الذي تجلى في الانتاج .

لقد تفرغ الانتاج الفني من كل مضمون ، وتفرغ من جميع القيم الجمالية ، ولم يعد الانسان اساساً ومقياساً ، ولم تعد الطبيعة مصدر الجمال الفني ، وكذلك لم تعد القيم الجمالية حكماً ، وبقي فقط هذا النزق المجرد من كل ثقافة كما يعترف Dubuffet الفنان العبثي نفسه ، اذ يقول « اننا نعني بالفن الخام ، الانتاج المنفذ من قبل أشخاص مجردين من أية ثقافة » .

وتصبح أزمة الفن الحديث اكثر وضوحاً ، عندما يعتبر الفنان أن تجربته

تمثل هذا العصر برمته ، ولذلك فلقد اصبح همه الاول ان يخلق دائماً اتجاهاً خاصاً لنفسه ومدرسته . يسعى من أجل دعمها ، الى ايجاد المبادىء والاسس الجديدة .

ولكن هذا التفنن في الابتكار لم يكن كافياً لجرف عدد من الفنانين الا كفاء ممن رغبوا في مقاومة تلك الاتجاهات ورفضوا الانصياع لها . وهكذا كانت معركة الاتجاهات أو معركة الـ « isme » كما يقول هويغ في كتابه الانسان والنفس ، فكان هم كل فنان وخاصة الناشئين ، أن يربطوا اسلوبهم بمدرسة جديدة لكي يرتفعوا على سلمها . وتتجلى المعضلة الاساسية عندما كان الفنان يفتعل محاولته هذه بعيداً عن الجدارة والعفوية .

وكما سبق فان الفردية جرت الفن الى العبث والفراغ ، واصبح هم الفنانين ان يوجهوا فنهم ليعبر عن ارادة الازالة والنفي كما يقول Jouffroy . ويضيف رونيه هويغ قائلا ان عدداً كبيراً من الفنانين ، امام هـذه الازمة الناهضة للعبقرية ، وللانسان ولجميع ضروراته الادبية ، اضافوا اثراً من الفراغ والقلق ، ظهر بالنسبة لتفكيرنا بمظهر العبث » (1) .

وفي الواقع فانه ليس من الممكن تصور عدمية في الفن اكثر تطرفاً من تلك التي قدمها Kline وفونتانا Fontana وفالكنشتاين Falkenstein ، دون أن ننسى موندريان Mondrian نفسه الذي قال عنه ميشيل سوفور M . Seuphor وهو الصديق المعجب بموندريان ؛ انه صور الفراغ ، واللاشيء وفي هذا اللاشيء لون ابيض نقي كنقـاء اللاشيء » .

واقد رافق هذه الأزمة العنيفة التي اصابت الفن ، ومنذ نشأتها الاولى ، محاولات للردة والعودة بالفن ، وبالتصوير بصورة خاصه ، الى دوره الاساسي ،

(1) I L'art el l'homme p . 394 .

وهو المتمثل بالراحة والفرح والالفة التي تنقذ الانسان من القلق والتعب والتوتر.

ولقد تمثلت هذه المحاولات في طريقين ، الاول البحث عن البساطة ، وتصوير كل ماهو ساذج وبريء وطفولي في الحياة، ويتمثل هذا الاتجاه في اسلوب البسطاء « Les Naifs » . ثم في البحث عن فنون اكثر عراقة لاشغال الفراغات التي أصبح الغرب يحس بها . وكان الاتجاه في هذه المرة نحو الشرق ، ذلك لفقدان الثقة بالغرب ، وكما يقول Dujardin (١) «ان تفاؤلي لا يسمح لي أن اتوقع اشياء كثيرة من حضارتنا ، ولكن إذا امكن للثقة ان تمتد فانني لا استطيع ان اتصور ذلك الا من خلال الريح التي ستهب علينا من الشرق . »

وهكذا اتجه الانطباعيون ورفقاؤهم نحو الفن الياباني ، واتجه بيكاسو والتكعيبيون نحو الفن الافريقي ذي الأصل العربي ، واتجه الانبياء (Nabis) والوحشيون نحو الفن العربي .

ومما لاشك فيه أن هذه الاتجاهات ادت الى انفصام العلاقة بين الفن الغربي وجذوره القديمة ، وبالتالي الى « تجديد في القيم » كما يقول هويغ ، الذي يعترف من جهة اخرى بأهمية الحضارات الأخرى إذ يقول (٢) « ان الاهتمام بالحضارات الأخرى يفيد في زيادة الثقافة ويوسع الفن الغربي ويجدده ، ولكنه يقطع استمراره ويفسح المجال للمغامرة في مجال المجهول . »

ولقد سبق الاهتمام بالفن العربي ، رغبة بالاستشراق ، وفيما يلي سنحاول استعراض بعض المحاولات الاستشراقية حتى مستهل الفن الحديث .

---

(١) cité dans le cahier musulman et arabe P. 265 (Message - d'orient) juillet 1962

(٢) L' art et l' homme

فمنذ القرن الثامن عشر كان هناك هوى لمعرفة اسرار الشرق ، وقد مضى بعض الفنانين حتى الاستانه وأقاموا فيها بضعة اعوام .

فهذا جينيفوا ليوتارد Genevois Liotard الذي كان يرتـــدي الملابس العثمانية والذي ارسل لحيته حتى حزامه ، كان يوجد فان مور Van Mour ، الذي احرز عام ١٧٢٥ لقب « المصور الرسمي لملك الشرق » .

ومنذ بداية القرن التاسع عشر ، فقد تهافت الفنانون على شمالي افريقيـا ، مدفوعين وراء طبيعة وحضارة جديدة ، ثم غيرت زيارتهم جميع أوهامهم ، فالفوا هذه المشاهد وتلك الحياة وكانت أساساً لموضوعاتهم ورسومهم .

وهكذا اصبح السفر الى شمالي افريقيا العربية — وكما يقول ألازار (١) Alazard — من الامور الاتباعية ، تماماً كما كان الأمر بالنسبة لزيارة ايطاليـا أو اسبانيا . واخذ الاستشراق يتجدد بدون انقطاع .

ولقد ظهر من هؤلاء الفنانين المستشرقين عدد كبير نذكر منهم غرو Gros وجيريكو Giricault والسيـــد اوغوست Monsieur Auguste وديكامب Décamps وشاغارتان Chanpmartin ومارلاه Marlah ودوزاه Dauzats الا أن دور هؤلاء لم يصل في أهميتـــه الى مستوى دور دولا كروا Delacroix ، رائد المستشرقين العرب الاول . ومع ذلك فلقد اختص كل من هؤلاء المستشرقين ، بناحية اخذها عن البلاد العربية ، فبينا كان ديكامب Decamps يهتم بالفضاء الضوئي ، كان دولا كروا يبحث عن الالوان النادرة وعن جمال الاوضاع ، وكان شاسوريو Chasseriau يسبغ الوجوه العربية بمسحة من الكآبة ، وكان فرومانتان Fromentin يشرع في تحليل منبعث عن العادات والروح العربية ، أما Deho dencq فقد اغرم

(١) Alazard : L' Orient et la peinture Française au xix°se

بمشاهد العنف، على عكس لوبورغ Lebourg ورونوار Renoir اللذين بحثا عن الفتنة، كما فعلت الانطباعية عندما سعت الى الكشف عن جمال بعض مشاهد الطبيعة الشرقية.

واذا اردنا أن نقف قليلا عند الانطباعية ، فاننا نستطيع أن نعتبرها الحد الفاصل الذي يميز الاتجاه الواقعي عن الاتجاه الذاتي . فلقد كان الواقع دائماً ، هو المقياس في طريقة التصوير وفي التعبير ، ولكن الانطباعية فسحت المجال لاعتبارات جديدة فيها الكثير من التمرد . لقد حررت الفنان اولا من جو المرسم حيث كان يعمل فيه وفق اصول تقليدية ، لايحتاج فيها الا الى دراساته التي قام بها في الطبيعة أو الحيوان أو الانسان ايضاً ، وطلبت من الفنان ان يخرج الى الهواء الطلق ، الى نور الشمس، وأن يدرس تفاعل نور الشمس مع الوان الطبيعة ، ثم حررته من الخطر وقواعد المنظور ، كما حررته من التقيد بالشبه والواقع ، حررته أيضاً من جو المدينة ودفعته الى جو القرية والضواحي ، الى الانهار والبحيرات والبحار.

ومن الناحية التقنية فقد اندفع الفنان الغربي وراء البحث عن أصول جديدة في الفنون القديمة .

ان جميع الحركات الفنية التي ظهرت منذ قرن كانت تعتمد على اساليب خارجية ، قديمة وبعيدة أو بدائية ، وكان كل فنان يستمد من هذه الاساليب ، ماينسجم مع طبيعته ومع اتجاهاته .

وكان الفن اليـــــاباني بالنسبة لمانيه Manet وديغا Degas ومونيه Monet عالم البهاء الجديد الذي استقر في تزييناتهم .

ولقد كان اتصال فان غوغ بالفن الياباني اكثر عمقاً ، اذ أثر في تطوره ووجد فيه « شرقه » المنشود ، مما دفعه الى الاستقرار في الجنوب « معادل الشرق» . على ان فضل دولا كروا كان واضحاً على اجيال الفنانين الذين اعقبوه ، بما فيهم

الانطباعيون، فلقد فتح لهم باب التعرف على العالم العربي ، خاصة بعد احتلال الجزائر عام ١٨٣٠ . فبعد هذا التاريخ اندفع عدد كبير من الفنانين والادباء ، يبحثون عن الجمال والسحر الذي كانوا يحلمون به امام لوحات دولا كروا . ومن بين هؤلاء الفنانين الانطباعيين الذين زاروا الشرق العربي كان ، مونيه Monet وبازي Bazille ورونوار Renoir وديغا Degas .وفي المعرض العالمي لعام ١٨٧٦ في باريز كان جناح شرقي يتضمن لوحات لهؤلاء تحمل طابعاً شرقيا صرفا .

زار مونيه المغرب العربي ، عندما ذهب ليؤدي خدمته العسكرية عام ١٨٦٠ في الجزائر ، حيث « الأريج الشرقي الفاغم ، المحمل بالصور الحسية يختلط بفكره في سياحات رائعة تحت الشمس ، تحمل طعم المغامرة . » كما يقول Fels (١) .

ولكن لسوء الحظ لم يستطع مونيه ان يتحمل المناخ الجاف هناك ،فأصيب بفقر الدم بعد عامين من اقامته في الجزائر . دون ان يترك آثاراً ذات اهمية .

وبازي Bazille ايضاً اندفع وراء دعوة الشرق ، فانضم عام ١٨٧٠ في صفوف الزواف ومضى الى الجزائر . وهناك قام بتصوير بعض المشاهد مثل « الزنجية » و « المسجد » و « المرأة امام المنضدة » و « الخادمة السوداء » .

اما ديغا Degas وهو نصف مغربي أمه من اسرة مهاجرة من اورليان الجديدة فقد زار الجزائر عام ١٨٧٢ وصور عدة مشاهد خاصة ومبتكرة بعيدة عن الاسلوب الانطباعي .

ولمونيتشلي Monicelli عدد من اللوحات التي تتلألأ فيها الموضوعات الشرقية.

---

(١) انظر Fels = La vie de Claude Monet

ولقد كان رونوار Renoir يستوحي من دولا كروا ، وكان أول مالفت به انظار الجمهور نحوه ،هو الموضوع الشرقي الذي عرضه في صالون ١٨٧٠ ،وعندما زار الجزائر عام ١٨٧٩ صور هناك اروع لوحاته .

وهكذا فان الاستشراق في بداية هـذا العصر ، لم يحمل طابعاً واضحاً بل كان اشبه بمنافذ Debouché تفسح المجال أمام الفنان الغربي ، للتطلع الى عالم جديد فيه من الطمأنينة ومن البساطة ، ومن السحر ، ماهو ضروري للغرب الذي كان يصعد بحماسة على سلم المخاطرات الحضارية ، وكان الانسان الواعي يدفع الثمن قلقاً وتوتراً وهماً .

ولقد ازداد تعلق الفنان الغربي بالشرق العربي ، مع ازدياد شعوره بالازمة . واذا أعدنا النظر بجميع الاتجاهات الفنية الحديثة ، لتبين لنا ان فلسفة الفن العربي كانت الى حد بعيد ، وراء اكثر مظاهر الفن الحديث ، كمدرسة الانبياء والوحشية والتكعيبية والبيكاسية ، وماتيس ، وبول كلي . عدا امثال الفنانين الذين مارسوا الموضوعات العربية أو الاساليب العربية ، مما لا يتسع المجال في هـذا البحث للحديث عنهم .



اتجاهات الأدب المسرحي الحديث

بقلم الدكتور رفيق الصبان

هناك طريقتان يمكن اتباعها لدراسة تطور مشكلة الادب المسرحي خلال النصف الاول من القرن العشرين فهناك طريقة التسلسل الزمني لتولد التيارات الفكرية والادبية المؤلفين، وهناك طريقة دراسة الاوضاع الاجتماعية والتاريخية وتحليلها بحيث نستنتج منها التيارات الادبية والفكرية المتولدة عنها، وذلك كالنزعة السيريالية في الشعر وخاصة لدى شعراء فرنسا عقب الحرب الاولى، أو تولد نزعة دراسة الانسان المتوسط العادي في المسرح الاميركي عقب الازمة الاقتصادية ١٩٣٠.

ولكني فضلت اتباع طريقة ثالثة هي دراسة الانعكاسات والتاثيرات التي ولدتها الاحداث التاريخية على المؤلفين المسرحيين، واستعراض اعمال هؤلاء المؤلفين والاشارة كلما سنحت الفرصة

الى المشاكل التاريخية والاجتماعية التي تربط الكاتب بمجتمعه والمؤلف بوسطه وثقافته ، اذ ان هذه الطريقة الاخيرة ستمكنني من القاء نظرة سريعة اجمالية على التيارات المسرحية العالمية . ولذلك فباعدا الادب المسرحي العربي .

اعترف ان شيئا من التردد قد اصابني قبل ان ابدأ الحديث عن هذا الموضوع ، فانا في اعماقي لا أؤمن بما يدعوه النقاد باتجاه معين للمسرح له اسسه وشروطه يكتب بموجبه الكتاب المسرحيون مسرحياتهم ، ويأتي بعد ذلك المطلعون فيصنفونه تحت اسم ما ويذهب لرؤيته المتفرج فيختار اسما معينا كما يختار ماركة للصابون أو للعطور .

وانما اؤمن باعمال مسرحية خلاقة تستهدف معالجة مشاكل الانسان على صعيد حواري يحدد حادثة ما ويطورها ثم يختمها .

لقد تباينت الاتجاهات منذ العصور القديمة لان الطبائع الفردية لايمكن أن تتشابه تكون واحدة ، ولكن هذا التباين لم يرسم خطوطا لمدرسة مسرحية معينة لها اصولها وقواعدها وقالبها ، لذلك علينا ان ننتبه كما يشير الدكتور مندور عندما تحدث عن الاتجاهات الخالصة المسرح او للادب الا لاي شكل من اشكال التفكير الى أن النقاد والمحققين الادبيين لم يضعوا لها اصولا من العدم ثم دعوا اليها وصنفوا من يكتب حسب اصولها ، بل ان هذه المذاهب والاتجاهات تظل اكثر ما تظل حالات نفسية يعبر عنها بشكل افرادي ... ثم يزداد التعبير عمقا وشمولا فيشكل مايشبه الاتجاه .

واول تقسيم محدد للاتجاهات المسرحية كان عند اليونان ، الذين قسموا مسرحهم الى نوعين مختلفين تماما : التراجيديا والكوميديا .

اما التراجيديا وتعني تصعيد العواطف تصعيدا نبيلا سواء في اللفظ او الحادثة اوالشخصية ، وخلق مواقف يتوصل فيها الانسان الى مرحلة الالهة بان يتحداها اويقهرها اويخضع لها ، وكان يمثل هذا الاتجاه اسخيلوس ، ايرويديس وسوفوكليس .

اما الكوميديا فكانت تقوم على معالجة المشاكل الراهنة للمجتمع باسلوب قريب الفهم ،

وبلغة عامية يتخللها الكثير من الكلمات النابية ومن خلال شخصيات اخذت من المجتمع بصورتها الحقيقية دون اي صناعـــة . . تكشف المتفرج كل مافي طباعهـــا من حسن او سيء .. ولقد كتب للكوميديا اليونانية كثير من المؤلفين ولكن اشهرهم يظل ارستوفانث ، وفيلامون ، وميناندر .

ولا اجد من الضروري ان استطرد فاتحدث عن الفترات الذهبية التي مر بها المسرح في اوروبا منذ عصر النهضة حتى مطلع القرن العشرين وعن عمق التيارات التي تجاذبته خلال هذه الفترة الطويلة من كلاسيكية ورومانتكية وكلاسيكية محدثة ورمزية وسواها .

وانما لن اقف امام هذه البوادر الجديدة التي ظهرت في قرننا هذا ، وهذه الاشكال في التعبير وهذه الطرق العجيبة التي بدأ يلجها المسرح اعتباراً من نهاية الحرب العالمية الاولى .

ان المسرح (حدث) نفسي وتاريخي واجتماعي تبعث فيه انواع التعبير الفني مهما اختلفت تأثيرا يزيد في قوته واتقاده .

ولعل هذه التيارات المختلفة التي تتجاذب المسرح العالمي اليوم ، هي خير مصداق لمااقول، واذا اردنا ان نكون ديكارتيين في بحثنا وان نحدد ماعلينا ان نبحثه في مطلع هذا الحديث ، لقلنا ان اشهر الاتجاهات المسرحية المعاصرة هي :

١ ـ الاتجاه الاميركي الواقعي
٢ ـ الاتجاه الالماني وبرخت
٣ ـ الاتجاه الانجلو سكوني والجيل الغاضب
٤ ـ الاتجاه الفرنسي العقلي بصوره المتشعبة
٥ ـ الاتجاه الاسباني الفولكلوري وتصعيد المأساة الشعبية
٦ ـ واخيرا الاتجاه الديني الروحي

هذه الاتجاهات كلها تمتاز بطابع واحد هو القلق والضياع وعدم الاخذ بالمفاهيم الـــتي تعارف عليها علماء المسرح في القرون الماضية ..

وهي ان اختلفت اختلافا جوهريا في قالبها ، فانها تتفق جميعا بكونها اوضاعا نفسية تعبر عن عصر فقد قيمه ومثله وعاش في تخبط اقتصادي وسياسي ، عكسه على مجموعة من فنانيه رأوا أسماءهم حمراء . . وشعروا بشرطهم الانساني من خلال العفن والدم المتفسخ واشلاء الجثث .

بهذا التخبط واول من شعر به المسرح الاميركي ، فالمسرح الاميركي مسرح ساذج ، لم يعرف بعد التقاليد المسرحية الموروثة التي عرفها الجمهور الاوروبي ، لم ينفعل كما انفعل الشعب الفرنسي بحزن بيرنيس الدافيء ولا صرخ مع فيدر صرخات ممزقة تخرج من الاحشاء ، ولا عالج الحق والعدل كما عالجها هوارس الحكيم .

بل اكتفى بان يشهد من بعيد بعض تراجيديات شكسبير ، ويرى كيف تلعب الغـيرة هذه الحرباء ذات الالف وجه بعطيل الاسمر .. وكيف تقف جوليت مع اشباح الفجر تودع روميو الذي يرحل تاركا لها ورودا ذابلة وسلما من حرير .

لم يكن للمسرح الاميركي اية ذخيرة او اي سند ثقافي يرتكز عليه .. حينما بدأت تتجاذبه التيارات المتعددة ، فها هي السينما تتجه اتجاها جماهيريا كبيرا ، وها هو الجمهور الاميركي الساذج بطبيعته ، الذي لم يعرف المسرح اي تقليد اوعرف ..

فينحاز الى جانب السهولة ، بصورة عفوية تجعل من الصعب على المؤلف الدراماتيكي، ان يعالج المواضيع التي تعذبه بالصورة او بالمضمون يعالجها به زميله الاوروبي .

ومن هنا يمكننا ان نبرر هذا الاطار المزخرف الذي يسير بتوجيه الاتجاه الاميركي المسرحي المعاصر ويتازهذاالاتجاه بخواص اساسية هي : شيوع الموزيكال (المسرحية الوسيقية)وتصعيد مفهوم الجنس وتطوير مفهوم البطل المسرحي واعطائه قالبا جديدا .

كان الموزيكال هو المخرج الذي لجأ اليه مديرو المسرح في امريكا للوقوف في وجه المزاحمة الجدية التي ظهرت من السينما والتلفزيون ... فالموزيكال هو برنامج مسرحي يعتمد على الرقص والغناء والتمثيل الى جانب الضخامة في الديكور والملابس والنكات الفاضحة التي تتخلل احياناً أشد المواقف دراماتيكية .

ويختلف الموزيكال الاميركي عن الاوبريت بمرفها الشائع بكونه يسطو على روائع الادب العالمي فيبسطها ويشرحها بشكل شبه سطحي ، ويضع فيها شخصيات جديدة مرحة ورقصات واغنيات عند اللزوم لتمضية الوقت .

وهكذا شهدنا مسرحية برناردشو بيجماليون . وشهدنا روميو وجوليت لشكسبير كما شهدنا فاوست لغوته وترويض النمرة لشكسبير وجيجي لكوليت وسواها . . وربما لم يتعد الوقت الذي ترى فيه أوديب الملك يغني مع انغام الجاز ويندب حظه العاثر امام انتجونا التي ترقص رقصة حزينة جنائزية .

لن اتعرض الى هذا الاتجاه ، رغمانهيسودا كثر مسارح اميركا اليوم تعتمد عليه في تنمية الذوق الثقافي لجمهورها وايهام المتفرج الاميركي أنه حين يشهد (بيجماليون) فكأنه يشهدمسرحية (شو) المشهورة وانه قد استطاع ان يساير الركب الحضاري للامم المتمدنة مسرحياً .

ولكن لحسن الحظ هناك في اميركا اصوات اخرى..ومسارح اخرى تقدم لنا قيما ومعايير جديدة وتضع لنا الشرط الانساني لبطل القرن العشرين تحت اضواء قاسية واضحة تكشف كل ما في وجهه من غضون وتجاعيد ونزاع . هذه النظرة الخاصة للبطل امتاز بها المسرح الاميركي وطبعها بطابع خاص ، تأثر به حتى ابطال الدراما في أوروبا . فالبطل كان حتى مطلع القرن العشرين في المسرح

المعاصر ، انساناً غير عادي ، يحيا في اوضاع خاصة لها طبائع مميزة .. وكان مايجعله بطلاً في مسرحية هو كونه استثناء غريباً مشوقاً .

واتى (ابسن) فخرج بالبطل من هذا النطاق المسرحي الخاص ، ونقله الى عالم واقعي محدود رسم لنا فيه اشخاصاً يعانون مشاكل اجتماعية عامة ، يتعذبون في سبيل تحقيق كرامتهم والدفاع عن معتقداتهم ويبحثون بجد وخطورة عن مكان لائق تحت الشمس .

وتبنى المسرح الاميركي في بدء تطوره هذه النظرة الجديدة للبطل ، بل انه بالغ فيهـا ، وحاول ان يقضي على كافة التركيبات المسرحية التي كان يضعها ابن المسرح الواقعي للبطل ، فأصبح البطل الاميركي انساناً عادياً لايختلف عن أي واحد منا ، له مشاكله اليومية الصغيرة وله احلامـه وله اتجاهاته .

انه (ويلي لومان) البائع المتجول في مسرحية مللر الذي يقضي نهار عطلته بتنظيف سيارته المستعملة التي لم يتم دفع اقساطها بعد ، والذي يشرف على حديقته الصغيرة التي يعتني بها ككنز خبيء في ركن من اركان داره .. تكاد لاتصل اليها الشمس .. ينظر اليهـا حالماً بالطبيعة الواسعة وبالاشجار الكبيرة التي تبعث الظل .

انه (بلانشي ديبوا) التي ترفض شرطهـا كإمرأة من البروليتاريا وتفر هاربة الى عالم خلقته بنفسها من أحلام مزركشة ومصابيح تختفي وراء اغطية يابانية معقدة ، وتخال نفسها اميرة يحوط بها العشاق والمعجبو والاغنياء .

انه هذا الحي الذي يقع خلف الجسر والذي يعج بالمهاجرين والمتعطلين والباحثين عن عمل كما نراه في مسرحية (نظرة من فوق الجسر) لارثر ميللر او هذا البيت الكبير الذي تحيا فيـه عدة اسر والذي يضم غرفة واحدة للنوم والجلوس تحجب بينها ستارة ليست كثيفة كل الكثافة ، تجعل الزائر يرى احياناً ظل سرير او شبح امرأة نصف عارية كما تصور لنـا مسرحية (ترام يدعونه الرغبة) لتنسي وليامز .

ان المسرح الاميركي يقدم لنا انسان كل يوم في مشاكل كل يوم ، واذا استعرضنا اهم المسرحيات الاميركية خلال العشرين عاماً الماضية لوجدناها تدور في أغلب الاحيان حول عدة مواضيع لاتتغير فيها : حالة الانسان المتوسط ، مشاكله المالية والجنسية وأحلامه البسيطة الساذجة ، ويندر أن نجد المسرح الاميركي يعالج المشاكل الميتافيزيكية أو مشكلة الانسان المجرد او حتى مشاكل السياسية بصورة مهذبة مرتفعة . او يلقي ضوءاً ، خاصاً ومفهوماً عصرياً على حوادث تاريخية ذات دلالة كما يفعل المسرح الاوروبي عامة والمسرح الفرنسي خاصة هذا اذا تركنا جانباً بعض الاعمال المسرحية الاميركية التي خرجت عن هذا الاتجاه وشكلت مايشبه الاستثناء الذي يثبت القاعدة . فأوجين اونيل مثلا قد عاد في كثير من مواضيعه الى التراجيديا اليونانية يستلهمها ثم يعطيها قالباً أميركيـاً

شعبيا وان احتفظ بمحورها الدرامي الاصيل وجعل منه المحرك الاول للمسرحية كما فعل مثلا في مسرحية (الحداد يليق بالكترا) التي تعتبر المسرحية الاميركية الوحيدة الى جانب مسرحية روبنسن جيفرز الشعرية «ميديا» التي عادت الى الاصول الكلاسيكية لتتبناها موضوعاً ومفهوماً .

البائع المتجول

ولكن الطابع الاصيل للمسرح الاميركي المعاصر يظل طابع الرجل العادي ، رجل الشارع والمعمل والوظيفة، الرجل الذي يحيا بحساب مقسم وراتب معين . والذي تحدد احلامه . . . بيئة اجتماعية وشروط للعمل تصل احياناً الى درجة من الوحشية لاترحم . والامثلة على ذلك كثيرة .. فها هي مسرحية (مصرع بائع متجول) لارثر ميللر تروي لنا قصة بائع بسيط يحيا في بيت اميركي صغير في نيويورك ، تستعرض المسرحية شرط هذا البائع الانساني ، حياته الخاصة والعامة ، علاقته بعائلته ، علاقته بعمله ، احلامه ونزواته العابرة ، هربه من قبح محيطه الى عالم ساذج رسمته مخيلته وزركشته ، واخيراً يروي لنا في بضع كلمات قلائل تلقيها زوجته على قبره شرط الانسان الاميركي الحديث عبارات مقتضبة حارة وأم نافذ معبر يجعل من هذه الدراما المنزلية واحدة من خيرة مسرحيات السنوات الاخيرة . تقول لمن يلومه لأنه جبن عن مواجهة نفسه (لا .. لاتلمه .. لم يكن هناك من لوم يوجه اليه .. لقد كان بائعاً جوالا .. والبائع الجوال هو شخص لايثبت في حياته على شيء .. انه شخص وحيد .. شخص حر .. كانت الحياة بالنسبة له .. ابتسامة عذبة وحذاء لامعاً .. نعم .. وفي اليوم الذي لاترد فيه ابتسامته .. كانت نهاية العالم .. نهايته . لم يكن هناك من لوم يوجه اليه .. كان بائعاً جوالا .. وهذه المهنة تفسح المجال امام الاحلام .. وهذه الاحلام هي جزء من الاسفار ...) وبعد أن يخرج الجميع وتبقى الزوجة أمام جسد الرجل المتحرتهمس متمتمة وابتسامة عجيبة على فمها (اعذرني ياحبيبي ... فاني لا استطيع البكاء لا أدري لاي سبب .. ولكني غير قادرة على أن ابكي .. لم فعلت هذا ياويللي : ساعدني فعلني استطيع البكاء ... ان الامر بالنسبة لي كما لو كنت تقوم باحدى اسفارك .. وانا هنا انظرك ، ها قد اخبرتك بالسبب الذي يمنعني عن البكاء لم فعلت هذا ياويللي ... لقد دفعت القسط الاخير من ثمن البيت اليوم .. اليوم ياحبيبي .. وهكذا اصبح المنزل ملكنا .. واصبحنا احراراً .. (تبكي فجأة) احراراً .. لسنا ملزمين باي شيء .. لأي كان .. احرار .. احرار .

ولا تخرج (نظرة من فوق الجسر) لميللر نفسه عن هذه الانفعالات ، ولكنها تنتقل بها الى ضاحية اخرى من نيويورك لتصور لنا بيئة المتعطلين عن العمل من عمال المرافىء ، لتصور لنا المهاجرين من اوروبا العتيقة الذين اتوا الى العالم الجديد خاصة كي يحيوا حياة اخرى ، ترينا بصورة ماهرة هذه الاحلام وهي تتصهر في نار طاغية لاترحم ... ثم تركنا امام بضعة افراد معذبين حائرين يدورون دون وعي في حلقات مفرغة .

قناع شعري

هذه الاجواء الواقعية يرسمها أيضاً تنيسي ويليامز في مسرحياته ، ولكنه يدل عليها قناعا شعرياً أخاذاً فاذا هي عالم مسحور رمادي كله نور وأشباح وظلال ، ولكن العين الغامضة الثاقبة يمكنها أن ترى وراء الزركشات الوجوه نفسها والمبادىء نفسها والشروط الانسانية نفسها . سيرافينا ديللاروزا بطلة مسرحية (وشم الوردة) خياطة فقدت زوجها ، تحتال على الحياة وعلى نفسها كي تعيش وتعيل ابنتها وبلانش ديبوا بطلة (ترام يدعونه الرغبة) امرأة ترفض الشرط الجديد لحياتها وترغب دوما أن تحتفظ بذكرى ماضيها واندثر ولن يعود. وماهي القطة في(قطة على سطح ملتهب من الصفيح) امرأة تريد أن تحيا حياة بورجوازية عادية رغم كافة المشاكل التي تحيط بها وان بطلة مسرحية (صيف ودخان) عانس تريد أن تهب جسدها مهما كان الثمن .

اني لا أريد التقليل من قيمة مسرحيات ويليامز عندما أعرضها هذا العرض السريع الموجز وعندما أخرجها من بوتقة احلامها ومن الزخارف الشعرية التي تدور فيها . فانا اقر ايضاً بان هاته البطلات ، جميعا ، معذبات يكشفن عن احشائهن وعن قطرات دمهن اقر بان عالمهن عالم مسحور كله رؤى شعرية ملونة ولكنني لا أستطيع لحظة واحدة أن أتناسى وضعهن الاجتماعي الاساسي والطبقة اللاتي يمثلنها والتي توضح اتجاه مسرح امبركا اليوم .

واذا كنت قد استشهدت بمسرحيات ويليامز وميللر فقط فانما لثقتي بأن هذين الاسمين هما خير من يكتب المسرح في الولايات المتحدة اليوم .

مسرح الجنس

وضع دراماتيكي آخر ، برع فيه المسرح الاميركي ، وخلق منه ما يشبه الاتجاه ، وطبع فيه مؤلفين موهوبين وجعل له جمهوراً خاصاً هو طرح المشكلة الانسانية على اساس جنسي ومعالجتها بصورة مباشرة عن طريق التصعيد الشعري او تطوير فكرة الجنس بشكل دراماتيكي وجعلها اساساً للمشكلة المسرحية التي يعالجها المؤلف . وانا لا اريد هنا ان اقول باي صورة من الصور ، ان عامل الجنس لم يكن مؤكداً في المسرح العالمي قبل ظهوره كعامل دراماتيكي اصيل في المسرح الاميركي ... فاذا قلنـــا تجاوزا ان عاطفـــة عطيل نحو ديدمونا كانت عاطفة جامعة اختلط الجنس فيها بعوامل نفسية متعددة كالحنان واللون والتسلط فهاذا يمكننا ان نفسر عاطفة ديدمونا نحو عطيل بشيء سوى الجنس المحض .. وحتى فيدر في مأساة راسين نجد مشكلتها جنسية مرسومة باتقان .. واذا ازلنا عنصر الجنس .. عن مسرح مارفويا جميعه فما الذي يبقى منه : واذا صعدنا الى ابعد من ذلك وطرحنا المشكلة بالنسبة لميديا لوجدنا الاجابة نفسها لا تتغير .

وبالطبع فاني لن اذهب الى تفسير الاعمال الادبية المعروفة كلها تفسيرات مزيودية ،ولكن

يمكنني طرح التساؤل الى مالا نهاية ... انما غرضي هو القول بان الاعمال المسرحية السابقة التي عالجت المواطف الجنسية لم تعالجها مجردة جافة بل عالجتها من خلال قناع شعري او عاطفي معقد لا يجعلنا نراها الا مشوبة بكثير من الجمال الروحي الخداع . وهنا تأتي الحيرة في المسرح الاميركي الذي وجد الشجاعة بالتعبير عن قبح الجنس وتأثيره بشكل صريح رائع خرج من خلاله بصورة قاتمة لطراز جماعي من الحياة يدينه او يقره حسب اتجاه المؤلف ونظرته الى الحياة . لنأخذ اعمال ثلاثة من اشهر كتاب اميركا المسرحيين والذين ساهموا كل المساهمة في خلق ما يمكننا ان ندعوه تجاوزا النهضة المسرحية الاميركية في القرن العشرين واقصد اونيل ويليامز وميللر والى حد ما كاتب مسرحي ناشيء جديد هو ويليامز انج .

واذا بدأنا باونيل فاننا نجد ان مكانة مسرحياته لاتخلو من فكرة جنسية صريحة قدعولجت بطريقة حسية واضحة ، بـل انه يذهب حتى القول بأن الاصول الى المعنى التراجيدي في عصرنا لايمكن ان يتم الا بتصعيد عاطفة خبيثة عاطفة جنسية على الاغلب تصعيداً عاطفياً متوحشاً يصل بها الى مرحلة التراجيديا .

ومسرحية اونيل « رغبة تحت اشجار الدردار » هي خير برهان على ما أقول : تروي هذه المسرحية بصراحه لاحد لها عشق رجل عجوز لفتاة في ريعان الصبا .. يشتهيها ويتزوجها بعد ساعات من التعرف بها ويأخذها الى بيته المنفرد حيث يحيا مع ابن شاب .. وتقع الزوجة في غرام الفتى .. ويتبادلان الهوى المحرم عاجزين عن صد السحر الذي يربط جسديهما ودماءهما الحارة.

وتثمر العــلاقة طفلا يظنــه الشيخ ابنه ، ويشتد به الفرح فيكتب كل امواله باسم هذا الطفل الجديد ، الذي برهن له بصورة ماطى ان قوته الجسدية لم تمت بعد ، ويصعق الابن الاكبر ويعتقد ان الامر كله خدعة دبرتهـا الزوجة كي تفوز بالميراث .. وفي مشهد لاحد لقساوته .. تشارك فيه الطبيعة بعواصفها وزمجرتها .. يعلن الفتى لعشيقته انه يتهمها وانه يكرهها وتحاول المرأة عبثاً اقناعه وعندما تجد ان كافة الحلول اصبحت مستحيلة تذهب امامه وتمسك بخناق طفلها الرضيع وتقتله امام الفتى كي تبرهن له .. انها كانت مجردة عن اي دافع في عاطفتها نحوه .

وتنكشف الجريمة ... ويطرد الاب المجرمين من داره . ويخرج العاشقان متماسكين ليواجها مصيرهما . الموضوع يبدو لاول وهلة ميلودراماتيكياً ، ولكن قـوة المعالجة والجرأة في في تصعيد العاطفة والتصوير الجنسي الذي يشتد في المغالاة حتى يصل الى درجةمن الشعرية الوحشية الاخاذة ، كل ذلك يساهم الى درجة ما في رفع هذه الميلودرام الريفية الى مستوى تراجيدي معين يجعلها تقف بسهولة أمام كثير من المسرحيات الهامة في هذا القرن .

فمثلا عندما تتحدث الزوجة مع عشيقها تؤكد عواطفها الجنسية بصراحة تامة : (اني حين أرى صدرك العاري ..: وذراعك التي الهبتها الشمس.. اشعر بظمأ في حلقي .. واشعر كأن

ايد من حديد تعصر صدري .. أو (لايمكن أن اراك تسير الا واتبع بعيني ساقيك القويتين اللتين تدوسان الارض وكأنها تقبلانها) او تحلل عواطفها نحو زوجها الشيخ فلا تجد ماتقول سوى : (انه يثير اشمئزازي ... اني اشعر بوطأة جسمه وثقله عندما ينام الى جانبي ، اشعر برائحته البليدة ، اشعر بلهاثه وتنفسه .

ان المعجزة الكبيرة في هذه المسرحيه هي انها تثير اشمئزازنا او غضبنا ... وروعة اونيل تتجلى في قدرته على معالجة اشد العواطف جسارة باسلوب مسرحي جليل وبطريقة شعرية تجعل شخصياته تحيا وكأنها في واد منعزل عن الناس ... تحيا كما تشاء عواطفها دون قيد او تحديد .

هذه الطريقة بالذات اتبعها وليامز بخطوطها الكبرى .. واضاف اليها ميزاته الشعرية المتعددة والوانه الخفية الساحرة .

عالم تنيسي وليامز ، عالم معذب ، عالم مليء بالوحوش البشرية التي تأكل لحوم بعضها ، فهذا رجل يجردونه من ذكورته ، وذلك انسان يأكلونه حياً ، وتلك انسانة يحاولون تلويث عقلها ، واخرى يغتصبها عدد كبير من الرجال واحداً امام الآخر ، وثالثة لاهم لها الا ان تجعل زوجها يضاجعها .

عالم ملوث تفوح منه روائح غامضة معقدة تصل احياناً الى درجه من التصعيد الروحي عجيبة وغير متوقعة، كتب وليامز عدداً ضخماً من المسرحيات ... ولكنه لم يكتب مسرحيةواحدة تمثل انساناً معتاداً يفكرويحب وينفعل بصورة تقليدية ... حتى مسرحيته (هواية الحيوانات الزجاجية) التي يصفها البعض بانها (اكثر مسرحياته رصانة) تضع أمامنا عالماً لاتعي بان مشكلتها الروحية هي مشكلة جنسية قبل كل شيء . وأم ذات ماض عجيب زاخر .. تحيا على اشلائه كي تحيا على حطام سفينة غارقة .. تردد بصورة مستمرة كلمات سمعتها من عشاق لها .. وتذكر حوادث وحوادث لاتجد حرجاً في أن ترويها على مسامع ابنتها المذهولة المريضة التي لاتجد سلواها الا في حياة اخرى داخلية تبنيها لنفسها وتكون فيها اميرة جميلة تملك عدداً لاحد له من العشاق والمعجبين .

ولكن اذا عالجت (هواية الحيوانات الزجاجية) الجنس بصورة غير مباشرة وبكثير من الحياء ، فان وليامز لم يتردد في الاعلان عن طريقته بعد ذلك باسلوب لا أقول بأنه وقح ... بل اكتفي بان أقول بأنه اسلوب لايخفي نفسه . فماجي في (قطة على سطح ملتهب من الصفيح) لاهم لها في حياتها الا أن تجعل زوجها المنحرف جنسياً يرضى بمضاجعتها ... انها تقول له بكآبة وصراحة لاحد لها (عندما ارى جسدك العاري امامي .. اشعر كأني قطة على سقف ملتهب من الصفيح .. اقفز واموء وأتشنج) .

ويجيبها الزوج بلا مبالاة منقطعة النظير (ماعليك الا أن تهبطي وتضاجعي اول رجل تصادفينه فتكفي عن الاحساس بذلك) من خلال هذه العاطفة الجنسية الملتهبة يرسم لنا وليامز

عالما بورجوازيا كاملا بكل مافيه من صلابة وضعف ··· بكل خزيه وعاره ··· وكل مظاهره وكآبته . عائلة مفككة ، يأكل جسدها النهم الجشع وحب المال ... صورة غريبة واسرة تكاد تفوق بوحشيتها الصور التي كان يرسمها مورياك لمجتمعه البورجوازي المسموم في بوردو .

ولكن الجنس لدى وليامز يظل بعيدا عن كونه غاية في ذاته .. فحتى في مسرحيته (فجأة الصيف الماضي) التي لاتمر حادثة فيها دون تورية الى حدث جنسي وقع اوسيقع والتي تصل الرمزية الجنسية فيها حتى الى الديكور الذي تدور فيه احداث المسرحية .. اقول حتى ان مسرحية كهذه .. نرى وليامز يستعمل الجنس كمفتاح يدخله الى عالم ابطاله المعقد المضطرب . فيرسم لنا من خلالهم صورة مشؤومة لعصر تضعضعت فيه القيم ، وتدهورت المبادىء ، حتى اصبح الانسان لايجد نفسه الا امام فراغ اليم وهوة عميقة لاقرار لها ،، يستمع منها الى اصداء خافتة تروي له فشل حياته كانسان في عصر انكر الانسان وانكر مبادئه الروحية كلها . ولايبلغ ميللر في تحليله هذا المبلغ . وان كان يعود دوما الى عامل الجنس ليستعمله كأداة فعالة وكبضع حاد يغرزه في جسد مجتمعه المريض .

فاذا اخذنا اهم مسرحيات ميللر (مصرع بائع متجول) وجدنا ان المشكلة الجنسية التي يعانيها الاب او الابن هي العقد ، ـور حولها احداث الرواية .

فالابن الذي يضع اباه في مستوى لائق ومثالي يكتشف ان هذا الرمز الذي يقدره ويجله ليس الا انسانا مسكينا محطما لايجد العزاء عن فشل حياته الا حين يترامى بين ذراعي فتاة رخيصة هي في الوقت نفسه عشيقة الابن ، ويرى الابن صورة مستقبله في صورة أبيه .. فيفقد كل شيء ، يفقد امله في حياته الحاضرة وفي مستقبله البعيد ··· ويقف امام نفسه محطما مقهوراً .

المشكلة الجنسية لدى ميللر ليست طاغية على احداث المسرحية ولكنها تفسر وتعلل وتوجه ولولاها لانعدم البنيان المسرحي كله . انها النور الاصفر الذي يوجهه ميللر الى شخصياته فيكشف بواسطته خفاياهم وعللهم ثم يتهمهم ويتهم مجتمعه اتهاماً لا حد لخطورته ، ولا حد لاهميته .

لقد وضع المسرح الاميركي مشكلاته كما يضع عالم حساني مسألة لعقده ··· او كما يضع الطبيب امامه حيواناً سيشرحه ·· وامسك المؤلفون المسرحيون بالمبضع ودون خجل وبمهارة فائقة بدأوا بتشريح الجثة . ان كثيراً من الدم وكثيراً من العفن يملأ هذه الغرفة الموحشة ، ولكن الامل في العلاج هو الذي يجعلنا نحترم عملهم ونقدر جهدهم ونقف امامهم متأملين ، حالمين . هـذا الطابع الجنسي ، لم يقتصر على المسرح الاميركي فقط .. وانما تعداه الى المسرح الاوروبي .. فاذا بنا نراه لدى مؤلف دراماتيكي آخر ، هو لوركا الاسباني ولكنا نراه وقد تغلل باوشحة سوداء شفافة وامتلأ عطراً وشفافية وسحراً .. نرى فيه الدم قد اختلط بالدمع الحقيقي ونرى الجنس وقد اختلطت فيه روائح البنا .

بقية المطالعة في العدد القادم

كيف نفهم الفن

فن النحت

بقلم: هيلين غاردنر

تعريب الدكتور قتيبة الشهابي

في أحد أقوال أرسطو أن معنى الفن يمكن فهمه بشكل أوضح إذا ما وضع على بساط المقارنة مع الطبيعة الأم ، لأن الفن عنده هو ذلك العقل البشري الذي لاحدود لطاقاته وامكاناته حين يداعب بأصابع موهوبة أوتار قيثارة الطبيعة ببساطة وانفعال .

فالحياة والفن صنوان ، وكذلك العبقرية والفنان ، يد تلمس وابداع شكلي يخلق ، وفن النحت ، في هذا المجال ، واحد من أدوات التعبير القديمة قدم الانسان الاول الذي سجد للتمثال مصوراً به الآلهة ، ثم حطمه بعد أن تطور العقل البشري الى ادراك معنى الله .

(١) نشر القسم الاول بعنوان « فن التصوير » العدد الثاني عشر ـ السنة الاولى .

هذا الفن ـ الذي يشكل الى اليوم تراثاً حضارياً يبقى مابقي الانسان يعتمد على اسس ثلاثة (الكتلة والفكرة واللمسة) .

ونحن في هذه الايام ـ التي أصبح فيها كل شيء اختصاصا مفرداً ـ نميل الى تضييق وحصر مجالات الفن ، فالعمارة شيء والرسم شيء آخر ، والرقص يختلف طبعاً عن الحياكة ، وكذلك النحت والموسيقا والكتابة ، لكل ذاته ومعناه وانطباعه : كما ان كلا منهم خاضع لأسسه ومسؤولياته وتقنيته ، ولكن ألا توجد روابط تجمع اطراف الخيوط في اطار واحد ؟

دعنا نضع عمارة وتمثالا جنباً الى جنب دون الاكتراث لتباين الحجم ، ولنعتبر القضية ، قضية نسبية .

فبقليل من الملاحظة والتفكير يمكننا ان نميز التقارب Kins/iip بينهما . وهذا ناشيء ـ في اول الأمر ـ من الحقيقة في ان جوهر القضية بكليهما هو التنظيم العام للكتلة ـ والحديث هنا يعني النحت التام لا النحت البارز Relief ـ وبنظرة اعمق للموضوع ، يظهر لنا التقارب التشكيلي بشكل اوضح بينهما حيث يمكننا تقسيمه الى نواح ثلاث :

اولاً : ان لكل من العمارة والتمثال ابعاده الحقيقية : الارتفاع ، العرض ، العمق . وهذه تشكل في حد ذاتها منفردة كانت او مجتمعه ، قيمة كاملة Value او حتى مجموعة قيم .

ثانياً : ان تصمم عمارة او تشكل تمثالا يعني أن يضع القيمة في كليهما بشكل جميل متناسق ومتناغم Harmonious مستعملاً الخط ، واللون ، والكتلة ، ومستفيداً من الظل والنور بقدر المستطاع وأن تجعل هذه الاجزاء مرتبة بشكل يناسب الضرورة والغاية والموضوع .

ثالثاً : يكون الانتاج الفني ، في العمارة والتمثال ، مما يسمح بالنظر اليه من عدة مستويات للنظر لا من مستوى واحد فقط كما في التصوير او الحفر . ومع أن بعض الحالات تكون فيها مشاهدة التمثال او العمارة من نقطة واحدة اكثر جمالاً ، فانه يجب بشكل عام ان تكون هناك اكثر من زاوية واحدة .

ومرة اخرى . لا تترك القضية بشكل عفوي ، ولا ترتفع العمارة او هيكل التمثال بشكل تلقائي الاحساس ، بل لابد من قوانين واسس مدروسة تحدد علاقتها مع قوانين الفيزياء والكيمياء والطبيعة ، ومن اهمها قانون الثبات Stability الذي ينتج من التوازن بين قوتين : الجذب الى الاسفل (خاصة الجاذبية الارضية) والدفع نحو الاعلى (القوة النابذة) ومن توازن هاتين

القوتين تكون المحصلة صفراً مما يحـــدث حالة التوازن التي هي من اهم الأسس الجوهرية لاستمرار الحياة .

والواقع أنه لـكي نتعلم كيف نمشي ، لابد من ان نتعلم كيف نوازن جسمنا ، وخلال تعلمنا هذا نكتشف جيداً نتائج مخالفتنا لهذه القوانين . وبالطبع ، هذا مانتطلبـه محاولة الخلق سواء في العمارة او التمثال ، أي ان الموضوع هنا ، اوبشكل اصح ، تنفيذ الموضوع يحتاج الى الخضوع لأمرين ، اولها **الثبات** وثانيهـا **التوازن** . وكما نستطيع أن نتخيل خطـاً شاقولياً يخترق محور أجسامنا معبراً عن القوة العامودية التي تربطنـا بالأرض ، نحس بنفس الشعور تجاه العمل الفني في هذا المضمار ، وكما نشعر بالراحة والاتزان في اجسامنا عند النظر الى العمارة او التمثال عند كونهما متوازنين ، نشعر بعكس ذلك ، وبأننا نكاد نسقط حينما نرى الى أي منهما وهو في حالة عدم التوازن ، وهكذا يعتمد كلا من المعمار والنحـات على نفس المبادىء الجوهرية التي تقدمت ، والتي لاتخرج في اطارها العام عن ترتيب الكتلة ــ ذات المادة والوزن والحجم ــ وتنسيقها في وحدة متناغمة التوازن .

والسبب الثاني الذي يخلق الترابط بين الهندسة المعمارية وفن النحت هو ان الاخير كان الى وقت قريب يعتبر جزءاً من العمارة لاسيما اذا اعتبرنا وحدة المواد المستعملة والـتي تعتمد في اساسها على الحجر ، ولقد كان الرواد الثلاثة والأوائل ــ كدا فنشي وميكل انجلو وغيرهما ــ يتعاطون تصميم الكنائس والقصور وما شابه الى جانب النحت والتصوير .

ورغم كل ماتقدم من التوافق والتشابه والترابط ، يبدو الاختلاف بينهما كبيرا ، ونوعية التنفيذ تظهر لنا بوضوح بعد الشقة وعـــدم التوافق لأن :

اولا : بينا ترتفع العمارة بشكل مبني على أسس رياضية بحته لتعطي شكلاً تكعيبياً او تجريديا ، يقوم التمثال على سلسلة لامتناهية من العواطف والأحاسيس البعيدة عن لغـــة الارقام والزوايا ، فيقدم اشكالا حية لانسان اوحيوان اوحتى لنبات .

ثانياً : في حين تكون العمارة عملا يعتمد على الفراغ الجوفي الداخلي كاعتماده الاطار العام الخارجي لايهتم المثال في اقامة نصبه الا على الخط الظاهر فقط .

ثالثاً : ومع ان التمثال يعتمد على الاطار الخارجي او الخط العام المحدد للشكل فان قضية الاحساس هنا لمن الاهمية بمكان في معالجة الموضوع لاعطائه التعبير اللازم ، فان لهيـكل النحات تمثالا كان لانسان اوحصان يعني أن يمنحه نفحة من حياة ايحائية تشعر بالحركة ،اي ان الحياة

الذاتية الداخلية للقطعة المنحوتة شيء بديهي أساسي يعتمد عليه الفنان ، في حين ان العمارة لاتتطلب ذلك ، فيكفي اجراء سلسلة من المعادلات والارقام تجعل الجدران والسقف في حالة ثبات وامان نتيجة تطبيق قوانين معينة تقول بالارتباط الصميمي بين القوى الميكانيكية .

بعد كل ماورد في الدراسة التحليلية التي تبين الفرق بين العمارة والتمثال يجيء دور المواد التي يستعملها النحات في اقامة نصبه ، ولقد ترددت كلمة (كتلة ـ Mass) كثيراً في هذا المجال فما هي الكتلة؟

تطلق هذه الكلمة على المادة أو مجموعة المواد التي تصبح بعد أن تلامسها أنامل موهوبة ، شكلا يضج بالحياة والحركة ، فهي إما أن تكون من العاج أو من البرونز أو الحجر أو الخشب أو الجبس أو الطين ، أو من خليط اثنين منها أو اكثر (النحت الحديث) . ويخضع العمل في كل مادة الى طبيعتها . فالادوات المستعملة في نحت الحجر غير المستعملة في تكييف الطين أو الجبس كما أن الاحساس الذي يعطيه تمثال من البرونز يختلف عن ذلك الذي يقدمه نصب من العاج ،وهكذا فالقضية هنا قضية نسبية تختلف تبعاً لطبيعة المادة وجوهرها .

الحجر : هو أفضل مادة عالمية للنحت ، وان اعظم الآثار المنحوتة المتروكة لنا من العصور الاولى وعصر النهضة وغيرها ، صنعت من الحجر والحجر في حد ذاته مادة صلبة ، رغم تفاوت هذه الصلابة فالاحجار الكلسية والرملية أقل قساوة من تلك الصوانية في حين يكون الرخام وسطاً بينهما ، وبعض الاحجار ذات لون داكن وغامق ، وبعضها فاتح اللون براقاً ، وللبعض من الاحجار قوام خشن بينما للبعض الآخر مظهر ناعم املس ، وفي حين يطاوع نوع من الحجر ضربات الازميل فيتشظى ، ينفلق نوع آخر بضربة خاطئة .

ومهما كان نوع الحجر ، فهو صعب للنحت ويتطلب عملا شاقاً ومراناً طويلين . وعدا عن صعوبة العمل فان الخطر من انفلاق الكتلة الداخلية اثنـــاء النحت شيء له محذوره . ولكن هل كانت هذه الصعوبات لتؤثر على طبيعة العمل نفسه ؟ أو على اختيار الفنان لنوع آخر تهرباًوجبناً؟. على العكس نرى النحات يقف وراء كتلته الحجرية الصماء ، وبلمسات خبيرة دؤوبة ، يرفع مطرقته الخشبية ليهوي بها بأناة وصبر فوق الازميل المعدني الذي يترك فوق الكتلة شطحات ماتلبث أن تتجمع مكونة الشكل الابداعي الذي سبق للفنـــان أن تصوره في عقله وأضفى عليه مشاعره وإحساسه . وهكذا يخلق العمل الفني نتيجة تأثير متعاكس بين الفكرة والحجر .



جوبتر وليدا : تمثال من الرخام

الخشب : أيسر مادة وأسهل نحتاً من سابقه الحجر ، وهو على انواع مختلفة فمنه المطاوع والصلب من حيث المقاومة ، ومنه الراسي والعرضاني من حيث المقطع ، وعلى كل ، فان على النحات أن يساير الى حد ما اتجاه الالياف الخشبية خوف انفلاق الكتلة أو تشققها مما يشوه العمل الفني خصوصاً عند المراحل الاخيرة او اللمسات النهائية . أما الصعوبات الاخرى التي يتعرض لها العمل الفني الخشبي فهو عوامل الطبيعة من رطوبة أو جفاف أو غير ذلك . فالجفاف بالذات مدعاة لتشقق الالياف وتباعدها وهذا مايجعل الخشب مادة أقل خلوداً من الحجر او البرونز .

المعادن : وعلى رأسها البرونز ثم يأتي الذهب والفضة والنحاس وعدد كبير من الخلائط المعدنية ، اما البرونز فهو خليط معدني يمتاز بقوة عاكسة للضوء تؤدي الى تفاوت النور والظل تفاوتاً كبيراً يسبب ضياع الكثير من تفاصيل الشكل .

ويختلف اسلوب العمل هنا من نحت الحجر لان الشكل النهائي للتمثال البرونزي لايعتمد على النقش أو الحفر ، بل على تكييف كتلة الطين او ماشابه المواد اللينة بنفس الحجم والشكل المطلوب ومن ثم عمل قالب لهاثم سكب المعدن المنصهر فيه . وللبرونز خواص جمة قد لانجدهـا في سواه من المعادن او المواد الاخرى ، ففي حين يعكس هـذا الظلال والانوار بتضاد قوي Contrast يعطي الرخام او المرمر تناغماً وانسجاماً يضعف ذلك التباين .

أما أعتبار البرونز من حيث التصنيف الخاص للمواد المستعملة في النحت فيأتي بعـد الحجر والخشب لان عمله لايتعدى عملية ميكانيكية بحته ، فخليطة البرونز المعدنيـة (المؤلفة من نحاس وقصدير) لاتتطلب في صهرها وسكبهاالا يداً خبيرة يأتي الشكل النهائي صورة مطابقةتماماًللنموذج المطلوب ، ولادخل لعبقرية الفنان او ابداعه في هذه المرحلة ، لان الابداع في هذا المجال قد تم منذ العمل الاول أو المرحلة الاولى اي في تكييف الطين او الشمع او البلاستيكية الاخرى المعروفة حسب رغبة الفنان قبل اعطاء الشكل النهائي مما يترك المجال لاصلاح الخطأ مراتعديدة، في حين لامجال لتصحيح أي هفوة او ضربة خاطئة في مجال الحجر او الخشب .

الطين : ويأتي في المركز الوسط من حيث التصنيف ، فالامكانيات التي يستطيع أن يقدمها للفنان من حيث الليونة والطرواة وقبول التكييف يصعب جداً تأمينها في الموادالسابقة الذكر ، وعلى هذا الاساس ، ونتيجة لما تقدم ، اصبح الخطأ سهل التصحيح ، واصبح انتبـاه الفنان ودقته شيئاً ثانوياً في حين كان في مجال نحت الحجر اساساً لابد منـه حتى لايضيع العمل الفني بكامله في لحظة شرود .

وباعتبار ان الطين مادة يجب ان تتوفر فيها شروط معينة من حيث النعومة وخلوها من الشوائب وعدم تشققها عند الجفاف وتماسك قوامها . ولما كانت هذه الشروط او بعضهـا صعبة التحقيق لاسباب معينة او سواها ، تطلع الفنان الى ايجاد طرق جديدة ليتغلب بواسطتهـا على بعض هذه الصعوبات ، ونتيجة لما تقدم ظهر مانسميه الآن (الهيكل المسلح Armature) وهو عبارة عن شكل هيكلي مصنوع من الخشب او الاسلاك المعدنية او الانابيب بشكل يقارب الى حد ما الاطار العام للموضوع المراد نحته ، يغطي هذا الهيكل بطبقات متتابعة من الطين فيحميها من التصدع والانكسار حتى انتهاء العمل .

ومع ان العمل في مجال الطين اكثر حرية في المواد الصلبـة الاخرى ، واكثر سرعة للمسات المبدعة الخلاقة ، واشد تعبيراً بهـذه اللمسات ، فانه اقل تقديراً واجلالاً لأن ذلك متعلق بناحيتين :

١ ـ سهولة اصلاح الخطأ مهما تكرر .

٢ ـ عدم خلود هذه المادة كما في البرونز او الحجر .

ولكي يستطاع المحافظة على قطعة النحت الطينية بشكل دائم لابد من شيها بحرارة تختلف ونوع التراب او تحويلها الى جبس او الى اي مادة خالدة اخرى . ويكون ذلك بواسطة عملية الصب . الا ان قطعة الطين المشوية في حد ذاتها عمل رائع خصوصا اذا حافظت على نعومة تربتها بعد الشي .

ولكل مادة في مواد النحت المختلفة صفات خاصة وامكانيات وحدود معينة وان مقدار نجاح العمل الفني النهائي يتوقف على حسن اختيار الفنان المادة الملائمة للموضوع والتي تتناغم بشكل افضل مع الفكرة التي يرغبها في التعبير . ولان صفات المادة هذه تختلف من حيث المظهر بين النعومة والقسوة حسب نوعها ، كان على الفنان حسن الاختيار ليأتي العمل كاملا .

لننظر الآن الى النحت الذي اتجه الفنانون في انحاء الدنيا ، منذ القرن العشرين ورجوعا الى الازمنة الاولى ، فنميز حقائق مذهلة . فالنحت ضيق المجال ، او محدود بموضوع معين او موضوعين ، وتلك هي المأساة ، لايخرج عن كونه تصويراً لنماذج من الانسان والحيوان فهل حدث هذا نتيجة صدفة مجردة ؟

لكي نستطيع الاجابة على هذا السؤال لابد من الرجوع الى القول أن النحات (يخلق من الحجر اشياء يراها في عقله) فهو لايتخلى عن المادة بل يجعلها تعيش ، يبث فيها التعبير والحركة ويهب المشاهد أحاسيس وعواطف ، وهذا بالذات ما كان يعنيه ميكل أنجلو حينما قال : (الحياة تتحرك داخل الحجر) ، فالتمثال لايعطي نسخة عن مظهر او شكل فحسب بل يقدم احساساً عن الحقيقة ، عن الحياة ، وعن انفعالات النحات وذاتيته ، وهذا التوازن الدقيق بين الحياة والحجر هو الذي يحدد اطار فن النحات ، الذي هو تحوير لكتلة صماء الى مجموعة انفعالات .

وفوق ذلك لايكتفي النحات باعطاء الحياة للحجر ، بل يجعله كتلة جميلة ، فيها الثبات وفيها التوازن والايقاع ، والتناغم في الخط ، وفي الظل والنور ايضاً . الا ان مشكلة ضيق مجال النحت في تكوينه الاشكال (انسان وحيوان) مازالت قائمـة حتى يومنا هذا ـ برغم التطورات التجريدية الاخيرة ـ ولعل السبب يرجع الى ان النحات الاول صنع تمثالا مالبث أن عبد ، وسجد له اولئك الاولون مصورين به الآلهة ، معتقدين به خوارق الطبيعة كالصواعق والزلازل والاعاصير كان يجد ذاته تعبيراً عن شيء يخشونه ، فراحوا يقدمون له القرابين ويتقربون اليه بأجل الضحايا وما لبث الامر أن تطور مع الزمن الى تقلص عدد الآلهة وصار لكل شعب اصنام خاصة به عرفت بأسماء مختلفة متباينة كآلهة الفراعنة والاغريق التي مازالت قائمة الى يومنا هذا ثم تطور النحت الى تصوير الأباطرة والملوك والعظماء وغيرهم . وبسبب معتقدات دينية تحول النحت عند

مجموعات « المعرفة » المجلدة

يسر ادارة مجلة « المعرفة » أن تعلم قراءها واصدقاءها عن وجود كميات محدودة من مجموعات مجلة « المعرفة » منذ صدورها مجلدة – كل أربعة اعداد في مجلد واحد – وادارة المعرفة مستعده لارسالها لطالبها بثمن ٢٠ ليرة سورية لمجموعة السنة الواحدة المؤلفة من ثلاث مجلدات يضاف اليه اجرة البريد للخارج ، حسب رغبة صاحب الطلب .

يرجى أن يكتب الى محاسبة مجلة « المعرفة » وزارة الثقافة والارشاد القومي – دمشق – مع ارفاق الطلب بالثمن المذكور مع استعداد المحاسبة لتقديم التعليمات اللازمة بشأن التحويل من الخارج والارسال بالبريد العادي أو الجوي وفق الطلب .

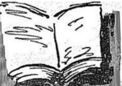


مجلة

المعرفة

مع

التيارات الفكرية العربية والعالمية



كتاب الشهر

الأدب العربي

تأليف جيب أستاذ الأدب العربي في جامعة هارفرد

مطبعة اوكسفورد كلارندون ١٩٦٣

Arabic Litterature
An Introduction
by
H.A.R GIBB

عرض وتلخيص: حسام الخطيب

يحلو للمرء أن يطلع على ماتقوله الامم الاخرى في أدب امته ولا سيا حين يكون هذا الادب مستقبلا لامصدراً كما هو الشأن في حال الادب العربي اليوم ، فمن ناحية يعيش هذا الاطلاع على ترسيخ أبعاد تذوق القارىء لأدب أمته بما يكشف له من جوانب جديدة في فهـــم التراث الادبي ووجهات نظر في تقدير قيمته قد تكون مغايرة للمألوف عند النقاد المحليين ، ومن ناحية ثانيــة يبرز له هذا الاطلاع نواحي الضعف والتخلف في الانتاج الادبي للامة وبذلك يفسح الطريق لسد الثغر وترميم الضعف .

على أن الفائدة التي تحصل من اطلاعنا على ما كتبته الامم الاخرى عن أدبنا تظل فائدة نسبية تختلف باختلاف طبيعة البحث ومكانة الباحث العلمية ومدى تكريسه للدراسة والنطاق الذي اختاره لبحثه فأحياناً يهدف الباحث الى مجرد العرض والتعريف وأحيـــاناً يرمي الى التوسع والتنقيب ، وينبغي أن يحكم على الـكاتب من زاوية منهج البحث الذي اختاره لنفسه .

والكتاب الذي نعرضه اليوم أريد له أن يكون مدخلا الى دراسة الادب العربي ، وهذا النوع من المؤلفات لاينتظر منه أن يأتي بجديد في حقل الاختصاص وان كان لايخلو من نظرة مستقلة الى النتاج الفكري العربي ، ولذلك سأعمل على تقديمه الى القارىء الكريم محاولا توجيه الاضواء على المنهج الذي اختطه المؤلف لبحثه ، ومن فضول القول أن نشير الى أن المؤلفات من هذا النوع يمتاز بعضها عن بعض بدقة المنهج وعدالة توزيع المادة العلمية ـ التي تكون غزيرة وافرة عادة ـ وفق مقياس الاهمية النسبية ، ثم انني سأعمد بقدر مايسمح المجال لعرض الكتاب عرضاً مقارناً قد يساعد على ايضاح قيمته سواء في مجال التأليف الاستشراقي أو التأليف العربي المحلي .

ان الأستاذ جيب يعد شيخ الخبراء في الادب العربي في الولايات المتحدة وهو أستاذ العربية في جامعة هارفرد ولعل كتابه هـذا مقرر في معظم الجامعات الأمريكية التي أخذت تبدي اهتماماً متزايداً في دراسة الأدب العربي واللغة العربية امـا لأسباب اكاديمية صرف اولأسباب سياسية ولكن الملاحظ أن معظم الذين يتولون تدريس العربية في الولايات المتحدة من اليهود الذين يحاولون عن عمد تشويه الادب العربي والثقافة العربية ، كما أن معظم اساتذة العربية هناك يتصفون بالجهل وقلة الاطلاع وعدم التمكن من اللغة ولا سيا في الاقسام الناشئة ، ونظرة سريعة في برامج الـكليات الامريكية تظهر أن تدريس العربية ملحق غالباً بقسم اللغة العبرية ومطعم بكثير من الدراسات العبرية .... فأجدر بنا اذاً أن نعمل على متابعة مايكتب عن ثقافتنا في بلاد العالم ومحاولة امداد الجامعات الاجنبية بالاساتذة القديرين ، ولا بأس بأن ندعو الى عرض الثقافة العربية وتقديمها باللغات الحية لأن المعلومات التي يتلقاها الطالب في الجامعة تصبح قاعدة أساسية يبني عليها أحكامه ويصعب تعديلها فيا بعد .

والآن ما الجديد في هذا الكتاب، يظهر فهرس الكتاب أن المؤلف لا يتبنى التقسيم المألوف لعصور الأدب العربي فقد اعتاد الباحثون العرب الاتباعيون أن يقسموا العصور وفقاً للتيارات السياسية في التاريخ العربي فهناك العصر الجاهلي ثم عصر صدر الاسلام فالعصر الأموي فالعباسي بادواره الاربعة المتمشية تماماً مع التقلبات السياسية ثم عصور الانحطاط وفيها الدوران السياسيان المملوكي والعثماني وأخيرا عصر النهضة .

وقد لقي هـذا التقسيم هجوماً ومعارضة من الباحثين المحدثين واشدهم عنفاً ، فيما أعلم ، الدكتور محمد النويهي في كتابه الثاري (ثقافة الناقد الأدبي) وكذلك قام الدكتور شوقي ضيف بمحاولة لتصنيف الاتجاهات الفنية في الأدب العربي فاذاهي الصنعة فالتصنيع فالتصنع .

أما الاستاذ جيب فيقسم العصور على النحو التالي :

١ ـ العصر البطولي (٥٠٠–٦٢٢م)

٢ ـ عصر التوسع (٦٢٢–٧٥٠م)

٣ ـ العصر الذهبي (٧٥٠–١٠٥٥م)

ويميز فيـه ادواراً ثلاثة زمنية (٧٥٠ – ٨١٣)، (٨١٣ – ٩٤٥)، (٩٤٥ – ١٠٥٥) .

وكذلك يميز فيه اقساماً مكانية هي:

آ ـ منطقة سيف الدولة .

ب ـ العراق تحت حكم البويهيين.

جـ ـ بلاد فارس الشرقية (خواسان) .

د ـ مصر وافريقيا الشمالية الغربية.

هـ ـ اسبانيا (٧٥٠ ـ ١٠٩١م)

٤ ـ العصر الفضي : (١٠٥٥ ـ ١٢٥٨م) .

آ ـ العراق وفارس .

ب ـ مصر وسورية .

جـ ـ صقلية

د ـ اسبانية .

٥ ـ عصر المماليك (١٢٥٨ ـ ١٨٠٠) .

آ ـ مصر وسورية حتى عام ١٥١٧.

ب ـ اسبانيا وافريقيا الشمالية الغربية .

ج ـ من ١٥١٧ – ١٨٠٠ .

ولسنا نرى في هذا التقسيم كبير تغيير عن الطريقة التقليدية في تقسيم عصور الادب العربي ، وإن كنا نميز فيه امرين تجدر الاشارة اليهما : الاول استبدال تسميات جديدة للعصور بالتسميات القديمة التي تفوح منها روائح التيارات السياسية المختلفة والثاني الحذر من التعميم في الحكم على العصور مما اضطر المؤلف الى مراعاة الناحية المكانية بالاضافة الى التقسيم الزمني ويمكن للقارىء أن يلاحظ من تفحص الفهرس أن المؤلف يحاول أن يقسم الوطن العربي الى مجموعات ذات سمات ثقافية متمايزة ولكن هذا التقسيم غير ناتج عن فكرة مسبقة بل تمليه طبيعة التراث الادبي والدليل على ذلك أن التقسيم المكاني يختلف باختلاف العصور وليس مبدأ ثابتاً في كل عصر كما يتضح من الفهرس .

العصر البطولي

٥٠٠ — ٦٢٢ م

والعصر الجاهلي هو عند المؤلف « العصر البطولي » ، والملاحظ ان معظم الباحثين الغربيين في الادب العربي رفضوا مصطلح العصر الجاهلي وبحثوا له عن تسميات اخرى اكثرها انتشاراً مصطلح (عصر ماقبل الاسلام) الذي أصر عليه عليه نيكلسون في كتابه (التاريخ الادبي للعرب) وما أحب أن ادخل في تعليل هذه الظاهرة وما أظن الا ان الدلالة الدينية لكلمة الجاهلية يصعب استيعابها على القارىء الغربي وهي ، بعد ، لاتعطي اية فكرة عن طبيعة التراث الادبي لذلك العصر .

ومن الجدير بالذكر ان الكاتب يحدد بداءة العصر البطولي بسنة ٥٠٠ م . فهو متفق مع غيره من الباحثين في ذلك ، ولكنه لاينسى أن يشير الى ان الادب العربي اوالشعر العربي بالاحرى لابد من ان يكون متطوراً عن مرحلة سابقة لهذه المرحلة لانه وصل بنضجه الفني واتقان لغته الى مستوى رائع ، وبذلك يكون المؤلف قد اختار حلا وسطا بين الرأي السائد وبين مايذهب اليه بعض المؤلفين من تحديد موغل في القدم لبداءة العصر البطولي ومنهم الاستاذ عبد العزيز الازهري الذي أورد في كتابه (الأسس المبتكرة لدراسة الادب الجاهلي) شواهد شعرية تعود الى أكثر من اربعمئة سنة قبل امرىء القيس .

والمؤلف يتفق مع معظم الباحثين الغربيين في تقدير الشعر العربي في العصر الجاهلي وتذوق بداهته الحلوة وابداعه الرائع ، وهو يبدأ كلامه على العصر الجاهلي بالتعجب من ظهور الشعر العربي المتقدم في عصر خال من مظاهر التقدم والنشاط الفكري ويستغرب ذلك ايضاً بالنسبة للغة العربية ، وهي قضية طال الجدال فيها وبلغ حد التشكيك بالتراث الادبي اللغوي الذي وصل الينا من ذلك العصر ولعل خير من ناقش هذه المشكلة الاستاذ عبد الله العلايلي الذي علل هذه الظاهرة تعليلا علمياً موضوعياً (١) ، على ان المؤلف في

(١) نشرت دراسة الاستاذ العلايلي في مجلة الآداب منذ تسع سنوات وفيها يثبت بالادلة التاريخية والعلمية والمنطقية ان العربية الفصحى كانت لغة الكلام العادي في العصر الجاهلي .

استغرابه لايبدي أي أثر للشك في التراث المذكور .

ويمضي المؤلف بعد ذلك في استعراض فنون الشعر العربي في الجاهلية ويقف عند النابغة وبعض صوره في مدح الغساسنة ويطريها اطراء متذوق متحمس ويشير الى انها تستهوي الذوق المعاصر وكذلك الشأن بالنسبة لكثير من الصور الغزلية ومن ثم يستنتج الكاتب (ان هذا الشعر الفني ما كان له ان يظهر الى الوجود وان يبلغ هذه الدرجة من التجاوب الفني والخيالي بين الشاعر ومستمعيه لو لم يكن الجمهور ايضاً متمتعاً بحساسية جمالية خاصة) وهي اشارة جديرة بالاهتمام ، ومامن احد يستطيع انكار المستوى الذوقي الرفيع الذي بلغه العرب في العصر الجاهلي .

ونود أن نلفت النظر ايضاً الى ان المؤلف يسند الى الشعراء الفضل في تكوين اللغة الفصحى اذ يذكر ان هذه اللغة العربية المحكمة الخاضعة للقواعد والضوابط لم تكن الا لغة عمل الشعراء على تطويرها وتثبيتها باختيارهم افضل ما في لهجات القبائل حتى فرضوها لساناً ادبياً مشتركاً بين القبائل العربية ذات اللهجات المختلفة ، وقد اتى القرآن الكريم فتوج جهودهم وثبتها .

عصر التوسع

اما العصر الثاني عند المؤلف فهو (عصر التوسع) ويضم ما نسميه عصر صدر الاسلام والعصر الأموي ، وفي هذا الفصل عرض سريع موجز للنواحي المهمة في العصر وأولها القرآن الكريم وقد نظر اليه الكاتب من زاوية خاصة لا نود ان نعرض اليها وان كنا نود أن نشير الى ان معظم المستشرقين لا يقبلون النظرية الدينية في تأليف القرآن الكريم ... وبعدالقرآن يأتي الحديث الشريف ، ثم يتحدث المؤلف عن التطورات التي طرأت على الشعر العربي وتراه يتعرض الى الشعر الغزلي بشيء من التفصيل على حساب الشعر السياسي الذي لا يستطيع باحث أن يهمله في هذه الفترة .

وبعد ذلك ينتقل المؤلف الى العصر الذهبي (٧٥٠ ـ ١٠٥٥ م) ويستهله بمقدمة عن التيارات الفكرية التي كانت سائدة في الشرق ويشيد بدور الثقافة الهلنستية في المنطقة ويومىء ايماءة عاجلة الى تفاعل الفكر العربي مع هذه التيارات الحضارية ويسند الى هذا التفاعل الخطوة الكبرى التي خطاها الشعر العربي في العصر الذهبي ومن الافكار الصحيحة التي يذكرها في هذا المجال ان العرب لم يأخذوا عن اليونان علومهم لكنهم اخذوا طريقتهم في البحث العلمي والترتيب الفكري المنطقي الذي امتازوا به .

وينتقل المؤلف بعد هذه المقدمة الفكرية الى الحديث عن الدور الاول في العصر الذهبي (٧٥٠ ـ ٨١٣) وهو ينتهي بتولي المأمون للخلافة العباسية ، ويستهل المؤلف هذا الدور بالحديث عن اسهام الاعاجم في الادب العربي والحضارة العربية وينساق الى ما انساق اليه

كثير من الكتاب العرب والمستشرقين من أن معظم الذين رفعوا لواء الفكر والفن في العصر العباسي كانوا من أصـــل أعجمي او نصف اعجمي ، ولست ادري هل بني هذا الحـكم على التدقيق ام الظن والتخمين وقد سمعت من بعض الباحثين في التاريخ العربي ان الامر لا يخلو من مغالطة واسراف .

ولسنا نستوقف الباحثين عند هـذه النقطة الا بدافع البحث عن الحقيقة امامن الناحيةالقومية فنعتقد ان العرب لايضيرهم في شيء انيكونمعظم الباحثين من المستعربين في العصر العباسي فالحضارة العربية كانت دوماً حضارة متفتحة غير منغلقة على ذاتها ومن مفاخر العرب ان تستوعب ثقافتهم بعد مئة سنة من التوسع خير ما انتجته القرائح في هذه المنطقـة من العالم ، وكل ما كتب والف بالعربية هو ملك الثقافة العربية لابسبب اللغـة فحسب بل لانه جرى مجرى هذه الثقافة وصب في بحرها .

ومن ابرز الظواهر التي يقف عندها المؤلف اقبال العرب الشديد على دراسة اللغـــة ثم جمع وتنسيق الحديث النبوي الشريف ... وفي مجال الحديث عن دراسة اللغة يذكر تأثير مدرستي الكوفة والبصرة النحويتين في زيادة اهتمام العربي بالقالب اللغوي وبالشكل وكذلك في تثبيت دعائم الفصحى وحفظها من اللهجات السوقية والاعجمية التي بدأت تتفشى في ذلكالعصر ... ويميل المؤلف الى انصاف النحويين : **«لم يكن النحويون في هذه الفترة علماء مدرسين جامدين بل كانوا قادة الدراسات الانسانية في الاسلام ، وكان عملهم مستوحى من أهداف عملية ، وكان عليهم أن يواجهوا الحاجة المتزايدة الى التعليم التي خلقها النظام البيروقراطي في الدولة ونمو البرجوازية المتحضرة ، وقد اختير أشهر علماء النحو في هذه الفترة ليكونوا مربين للامراء الصغار ... »**

ويتناول المؤلف الشعوبية من الزاوية الصحيحة وينبه الى انه لايجوز اعتبار الفرس جميعا شعوبيين بدليل ان المدافعين عن العرب من الفرس انفسهم لايقلون عدداً عن المناوئين ، ويفرغ من الشعوبية الى بحث الظاهرة الفكرية الكبرى في هذا العصر وهي جمع الحديث الشريف وتدوينه ويعطي لمحة عن كتب الحديث .

ويمضي المؤلف في التعريف بنواحي النشاط الفكري ثم يذكر اشهر شعراء العصر ويقف وقفة غير طويلة عند ابي نواس وبشار ، ومن الملاحظ في كتابات المستشرقين عامة هذا الاهتمام الزائد بالنواحي الفكرية الذي يصرفهم الى حدما عن الناحية الادبية الفنية الخالصة .

على ان الـكاتب يعوض عن هذا النقص ، ان جازت الكلمة ، في حديثه عن الفترة الثانيـة (٨١٣ ـ ٩٤٥ م) لان اهم مايميزها في رأيه تطور الادب العربي ، إلا انه لايغفل الناحيـة الفكرية فهو يعرض بادىء ذي بدء القضايا الفكرية الكبرى في هـذه الفترة ويشرح مبادىء المعتزلة

شرحاً جيداً واضحاً ـ يمثل حيزاً كبيراً نوعاً ما بالنسبة لمثل هذا الكتاب العام ، والمؤلف يفطن الى هذه الاطالة النسبية في شرح القضايا الدينية ويعلل ذلك بوجود تلاحم شديد عند العرب بين الفكرة الدينية والانتاج الادبي ، ويعرج المؤلف على قضية جمع الحديث وتدوينه ويبرز الاهمية العلمية لهذا العمل الرائع الذي اقتضى جهداً وصبراً ومثابرة ودقة في البحث مما لانجد له نظيراً الا في الأبحاث العلمية المنهجية الحديثة .

والحق ان المؤلف يجهد نفسه كثيراً إذ يحاول أن يلم بأطراف الفعاليات الفكرية والادبية الهائلة في هذه الفترة الرائعة من تاريخ العرب ، وهو يخضع كل ما يورده لمقياس الاهمية النسبية .

وأما الفترة الثالثة (٩٤٥ ـ ١٠٥٥ م) فأول مايميزها أن مركز بغداد تضعضع بسبب منافسة بلاطات الدويلات الجديدة التي تحدت بغداد في الادب وفي السلطان ، كما ان سقوط بغداد بيد البويهيين في اول هذه الفترة كان له مغزى كبير من حيث تمكن العناصر الاجنبية من العاصمة العربية ، (ثم ان هذا القرن شهد انتصار الشيعة في كل اجزاء الوطن العربي من شمال افريقيا الى حدود فارس الشرقية وتحت حماية الشيعة انتجت الحيرة الهيلينية بعضاً من اجل منجزاتها ..)

ويتحدث الكاتب عن ازدهار المدارس والمكتبات والجامعات وانتشارها في ارجاء مختلفة من الوطن العربي بعد ان كانت بغداد تحتكرها ، ويقف وقفة طويلة عند (الفهرست) لابن النديم ويستنتج منه استنتاجات كثيرة **ان كتاب الفهرست يكشف لنا عن النتاج الهائل للادب العربي في القرون الثلاثة الاولى بعد ظهور الاسلام وعن قلة ما وصلنا من هذا النتاج) .**

ويلم الاستاذ جيب الماعة جامعة بالنقد الادبي في هذا الدور وينتقل الى الحديث عن اسلوب الكتابة وما لحق في هذا الدور من تصنع وتكلف للقيم الجمالية واعتناء بضروب البديع ويشير الى ان السجع لم يلق كل القبول عند الكتاب الكبار بشهادة المقدسي الجغرافي الذي نسب حبَّ السجع والقوافي الى العامة ، ولكن سرعان ماتفشى السجع بعد ذلك في الكتابة وتنتقل عدواه من الكتاب العاديين الى الكتاب العباقرة كأبي العلاء المعري (وادى ذلك الى ابتعاد الكتاب العرب عن ارض الواقع الصلبة واهمالهم القضايا الحياتية ونضوب الحيوية من الادب العربي ...) .

ومن ناحية التوزع المكاني يميز المؤلف الحلقات التالية :

أ ـ **منطقة سيف الدولة** ويحتل المتنبي المكانة الاولى فيها ويعني الكاتب بايراد شواهد من حكمته بعد ان يتكلم على فنه كلاماً عاماً خلافاً لنكلسون في مؤلفه (التاريخ الادبي للعرب) الذي حاول اعطاء فكرة نقدية عن المتنبي كما عرفه العرب وضمن حدود ذوقهم ثم قارن ذلك بمقاييس الذوق الغربي واظهر ان معظم المستشرقين لم يستسيغوا شعر المتنبي ··· وبعد المتنبي يأتي ابو العلاء بمؤلفاته المختلفة وآرائه الفلسفية .

ب ـ **العراق تحت حكم البويهيين** ، وقد امتازت هذه الفترة بانتشار المؤلفات العقلية ، وهنا يشيد الاستاذ جيب بابن مسكويه ويعتبره اتجاهاً جديداً في فن التأريخ عند العرب يختلف عن الطبري

باهتمامه بالوثائق والمشاهدة الشخصية (وكان مسكويه باحثاً جدياً حريصاً أشد الحرص على الدقة ،ذا محا كمةمستقلة لبياً ...) ، وقد أتيح لكاتب هذه السطور ان يطلع على كتاب ابن مسكويه ولذلك لايجد حرجاً في ان يعدل احكام الاستاذ جيب ويقيدها فيا يتعلق بعصر ابن مسكويه فقط أما ماقبل ذلك فقد سار المؤرخ العربي على سنة من قبله في حشد الاخبار والروايات الخرافية المتعلقة بتاريخ العرب والانسانية قبل الاسلام وكأن هذه الروايات ثابتة لايأتيها الباطل من أي جانب ، واني لاغتنم هذه المناسبة لاشيد بالروح الايجابية السائدة في كتاب الاستاذ جيب فكأنما اراد ان يعرض التراث الادبي العربي عرضاً محبباً منصفاً يثير حب الاستطلاع عند القارىء الغربي وذلك دون ان يضحي بالحقيقة الموضوعية .

وبعد ابن مسكوية يأتي التوحيدي فالاصفهاني ثم التنوخي فالماوردي الى أخر قائمة الخالدين وكلهم ينال من الكاتب الاعجاب والتقدير .

ج) **فارس الشرقية** : وقد احتفظت فيها اللغة العربية بالصدارة رغم محاولات الامراء الفرس تشجيع اللسان الفارسي في الحقل الفكري الأدبي وفي هذه المنطقة نشأت المقامات ، ثم تبعتها نهضة في التأليف التاريخي زمن الغزنويين وعلى يد كاتبهم ابراهيم الصابي الذي أسرف هو وأقرانه في استخدام السجع والمحسنات البديعية حتى أفسدوا مؤلفاتهم ، وينتهز الأستاذ جيب هذه الفرصة ليدافع عن المؤلفات التاريخية العربية الرصينة **(ولسوء الحظ أدت السمعة الادبية لكثير من مؤلفات هذه الفترة الى اعتبار هذه المؤلفات ممثلة للتأليف التاريخي الاسلامي عامة وفي هذا تجن على الاتزان الذي امتاز به أكثر المؤرخين العرب سواء في المادة أو في الاسلوب) .**

وينتهي الحديث عن هذه الفترة بعرض لمؤلفات ابن سينا وأفكاره .

د) مصر والشمال الافريقي :

وللوهلة الاولى يبدو أن هذه المنطقة تعاني من فقر في الفعاليات الادبية والفكرية تحت حكم الفاطميين ، ويميل الاستاذ جيب الى تعليل هذه الظاهرة بأن الآثار الفكرية التي خلفها الفاطميون طمست على يد السنيين فيا بعد ويورد للمقدسي نصاً يشيد فيه بما كانت عليه القاهرة من ازدهار في القرن العاشر الميلادي .

ه) الأندلس (٧٥٠ – ١٠٩١) :

وهنا يتحدث المؤلف حديثاً مطولاً عن ابن عبد ربه ثم عن الموشحات ،**وبعد أن يعرض نماذج من الشعر الاندلسي يؤكد أن هذا الشعر يلقى قبولا لدى الغربي وينسجم مع ذوقه ، ويأسف لأن الشعر الأندلسي لم يترجم بمقدار كاف الى اللغة الانكليزية** ، وبهذه المناسبة يود كاتب هذه السطور أن يذكر القارىء بمحاولة الاستاذ مورلاند لترجمة الشعر الاندلسي الى (مقطوعات Stanza) على الطريقة الغربية وقد نجح فيها الى حد بعيد وذلك في كتابه (قصائد عربية أندلسية) الذي ألم في مقدمته الى تأثير الشعر العربي الأندلسي في شعر الغربيين مثل لوركا وغيره .

وينهي المؤلف حديثه عن الأندلس بتعليق مطول نسبياً على المؤلفات العربية في الأديان والنحل **ويقول ان العرب أول من الف في هذا الباب لأنهم كانوا واسعي الصدر تجاه العقائد الاخرى وحاولوا أن يفهموها ويدحضوها بالحجة والبرهان ثم انهم اعترفوا بما أتى قبل الاسلام من ديانات توحيدية** ، ويحظى ابن حزم هنا بالنصيب الاوفر من اهتمام المؤلف .

العصر الفضي

وبعد العصر الذهبي يأتي العصر الفضي (١٠٥٥ ــ ١٢٥٨) وهو يوافق الدور العباسي الرابع في التقسيم التقليدي لأدوار التاريخ العربي ، ويبدأ باستيلاء السلجوقيين على الحكم في بغداد أي بانتقال السلطة نهائياً من يد العرب الى يد الاعاجم الذين حاولوا أن يحفظوا الاستقرار في المجال السياسي وأن يبقوا على الازدهار الثقافي ما أمكنهم ذلك ؛ ولكنهم كانوا جاهلين من جهة وأدى تعصبهم من جهة ثانية الى خنق الامكانات الفكرية والادبية حتى جأر المفكرون بالشكوى ، ويحسن بنا أن نذكر هنا أن التعصب الديني عند المسلمين لم يبرز الا في العهود التي تولى الاعاجم الحكم فيها سواء أكانوا مسلمين أو غير مسلمين .

ولا نجد في معالجة هذا الدور ما يخرج عن المألوف الذي أجمع عليه الباحثون ، ويشيد الاستاذ جيب بوجه خاص بياقوت الحموي ومعجميه في الادباء وفي البلدان، وبالغزالي الذي يعرض الاستاذ جيب لكتبه وآرائه بشيء من التبسط لينتقل بعد ذلك الى الرازي والزمخشري والحريري والسكاكي، وفي خلال ذلك يستعرض المؤلف النشاط الفكري عند العرب في العراق وفارس ، وفي مصر وسورية وفي صقلية وفي اسبانيا .

العصر المملوكي

واخيراً يأتي العصر المملوكي (١٢٥٨ ــ ١٨٠٠م) ويدخل فيه حكم العثمانيين ابتداء من عام ١٥١٧ . ويلم الكاتب بهذا العصر لمامة عجلى قد تفتقر الى شيء من التحليل والتعليل وحتى في هذا الدور الذي يسميه المؤلفون العرب (عصر الانحطاط) تظل لهجة المؤلف لهجة محب معجب وهو يحدثنا عن التأليف الموسوعي عن المقريزي وابن عربشاه والسيوطي ، ويشير الى **ظاهرة غريبة هي اعتناء الغربيين الشديد بقصص (الف ليلة وليلة) وانصراف القارىء العربي الشعبي الى سير عنترة وبيبرس ، وفي رأيه أن الحوادث في سيرتي عنترة وبيبرس متشابهة ومكرورة الى درجة تجعلها غير مقبولة لدى القارىء الغربي. بينما يتقبلها العربي لأسباب خاصة .**

وفيما يتعلق بالشمال الافريقي والاندلس يبرز الكاتب بعض الآثار الفكرية والادبية وينوه بلسان الدين بن الخطيب وبابن بطوطة ويعده أعظم رحالة في القرون الوسطى والقديمة ويستشهد بمقاطع من كتابته ، ثم يعرج على ابن خلدون ويعطيه حقه من شرح لآرائه وتقدير لها ضمن مايسمح به منهج البحث في الكتاب .

وينتهي هذا العصر بالكلام على الدور العثماني.

والجمود الفكري الذي خيم على العرب في هذا الدور ، ويعنى الكاتب هنـــا باعطاء لمحة عن دخول الاسلام الى افريقيا وما كان له من آثار فكرية واجتماعية .

ويخصص الـكاتب الصفحات الاخيرة من كتابه لاعطاء فكرة موجزة جداً عن النهضـة العربية في العصر الحديث .

والان وقد طوفنا ماطوفنا في أرجاء كتاب الاستاذ جيب وتابعنا الادب العربي منذ أن بدأ نبتة تكافح عوامل الفناء الى ان استوى شجرة باسقة متشابـكة اعضائها ناضرة اوراقها دانية قطوفها تمد ظلالها على الارض المعروفة في القرون الوسطى فتحيي ما كاد يموت في صدور الناس من توق الى ارتياد المجهول وظمأ الى تذوق الجمال وحماسة الى نصرة الحق والخير .. الان نستطيع أن نودع الكتاب بالخاطرتين التاليتين :

١ ـ مازلنا نعتقد ان الكتـاب الفصل في تاريخ الادب العربي لم يؤلف بعد ، وذلك برغم ماتراه في المكتبة العربية من كتب كثيرة تبحث في هذا الموضوع وانا نأخذ عليهـا بالدرجة الاولى اضطراب منهج البحث والتبعية في اطلاق الاحكام الادبية وميوعة هذه الاحكام حتى انها لتتداخل فما يستطيع قارئها التمييز في الطريقـة الفنية بين أديب وأديب ، ثم الاسلوبية الـتي تبلغ درجة اللفظية الفارغة في بعض الاحيان وكأن مؤلفينا لم يعتادوا بعد على التفريق بين اسلوب البحث المنهجي وبين اسلوب الكتابة الخلاقة المبدعة .. اما عن علاقة هذا الـكلام بكتاب الاستاذ جيب فأقول ان هذا الكتاب نموذج للتأليف المنهجي سواء في خطته المنظمـة أو في طريقة العرض الجلية المبسطة أو في شمول النظرة واقتصارها على النتوءات البارزة في نشاط العرب الادبي خلال القرون (بسبب طبيعـة الكتاب الموجزة) ، واخيرا في فهم الادب على أنه النشاط الفكري النظري عامـة وعدم حصره بعدد من الشعراء الملهمين أو بمجموعة من كتاب النثر المجددين ، وقد درج المؤلفون في تاريخ الادب العربي على تركيز البحث حول الشعر حتى يخيل للقارىء ان الشعر هو النشاط الفكري الفني الوحيد عند العرب ، وما كنت لأغمط مكانة الشعر في تراثنا الادبي ولكنني أدعو الى مزيد من الاهتمام بالمعطيات الفكرية الفنية في تاريخنا الادبي على نحو مافعل الاستاذ جيب .

٢ ـ وبهذا الشمول وبهذا الانصاف للحقيقة استطاع الاستاذ جيب ان يلقي في روع القارىء ـ وحق له ـ أن العرب حملوا مشعل الحضارة الانسانية في القرون الوسطى وأحيوا أنواع المعارف المختلفة وأتى أديبهم صورة للنفس الفنية المتطلعة ابداً الى الآفاق البعيدة ولسانا للجماعـة العربية التي انصهرت في عملية بناء وإنشاء لاتدانيها في زخمها سوى النهضة الاوروبية الحديثة ، لقد استطاع الـكاتب في عرضه الموجز ان يعطي صورة مشرقة للادب العربي وأن يستثير اهتمام القارىء الامريـكي ويحفزه لمتابعة البحث والاطلاع في التراث الادبي العربي وذلك دون ان يضحي بالحقيقة الموضوعية أو يجور فيها .

أعلام "المنجد" (١)

نقد وتصويب

بقلم منير العمادي

— ٣ —

وفي ص ٤٢٦ جاء قوله « قيس عيلان » بكسر العين بعدها ياء ، خطأ ، والصواب بفتح العين وتسكين الياء .

وفي ص ٤٢٦ عند ذكر « قيصر » انه قتل في مجلس الندوى ، خطأ والصواب الندوة بالواو بعدها تاء مربوطة .

وفي ص ٤٢٦ جاء عند ذكر « القيني » قوله ابو طمحان خطأ ، والصواب ابو الطمحان ، بالف ولام التعريف ، كما هو المشهور المعروف .

وفي ص ٤٢٦ جاء عند ذكر « قيون بابا » أي ابو الخواريف ، خطأ والصواب ابو الخراف أو الخرفان ، أما ترجمة « قيون بابا » على الصحة فهي ابو النعاج ، لا الخراف ، فأن قويون معناها الشاة أو النعجة ، وأما الحروف بالتركية فـ « قوزي » وفي دمشق يقولون عن أكلة الخروف المحشي « اوزي » يخففون القاف فيقلبونها الفاً .

وفي ص ٤٢٩ عند ذكر « كاشفي » يقول « اخلاق محسني » خطأ والصواب اخلاق محسني ، ومثلها اخلاقي علائي ، خطأ والصواب اخلاق علائي ، وهنا يحسن التنبيه الى ايراد الكثير من هذه الخطيئات والمغالط ، ولكم كنت ارجو

(١) راجع العددين السابقين حيث نشر القسمان الاول والثاني .

ان يستعين مؤلفو هذه المجلة ؟!! بمن يجيد اللغة التركية ويتقنها قراءة ولفظاً ، لا أن يعتمدوا على الترجمة من التركية المكتوبة بالحروف اللاتينية. اذن لكانوا استفادوا ثم افادوا .

وفي ص ٤٣٠ جاء عند ذكر « كاكويه » قوله تغرل ، خطأ والصواب طغرل بالطاء لا بالتاء المثناة ، كما هو مشهور بالمدونات العربية حتى والتركية المكتوبة بحروف عربية .

وفي ص ٤٣٢ جاء قوله عند ذكر « كتاب كامل الصناعة الطبية » الكتاب الملكي بفتح الميم واللام خطأ والصواب بفتح الميم وكسر اللام نسبة الملك بكسر اللام .

وفي ص ٤٣٣ جاء قوله عند ذكر « ابو كبير » الهزيلي بضم الهاء وفتح الزاي وتسكين الياء غلط قبيح ، والصواب الهذلي ، بضم الهاء وفتح الدال ، نسبة الى هذيل بضم الهاء وفتح الدال وتسكين الياء بصيغة التصغير ، والنسبة اليها هذلي كما هو المشهور المعروف في المدونات الموثوق بصحتهـا .

وفي ص ٤٣٤ جاء قوله عند ذكر « كتخدا احمد ، كان ضد الوالي جمال باشا ، خطأ والصواب ، جميل باشا ، فجمال باشا لم يكن والياً بحلب .

وفي ص ٤٣٥ عند ذكر « كرامة » بطرس وهو كاتب الامير بشير الشهابي ، لاشك انه علم من الاعلام ، ولكن في عائلة كرامة غير هذا وهي اسرة عريقة منها عبد الحميد كرامة مفتي طرابلس ونائبها وقد تولى رئاسة مجلس الوزراء في لبنان ، والافتاء في طرابلس بعد ابيه طول حياته .

وفي ص ٤٣٨ جاء قوله « كسب » قرية في تركيا خطأ والصواب هو انها قرية في سورية تداني الحدود التركية .

وفي ص ٤٣٩ عند ذكر « الكعبة » جاء قوله ، بناية مربعة ، فيها عدة خطيئات ومغالط ، فالكعبة سميت كعبة لأنها مكعبة لا مربعة ، ثم انها بنية ، بفتح الباء وكسر النون وتشديد الياء المفتوحة ، اما كلمة بنـاية وهي مصدر فمعناها الشرف ، ثم جاء بقوله « ادغمت فيها الحجرة السوداء » تحريف ومغالطة فاحشة والصواب الحجر « بفتح الحاء والجيم » الاسود ويقال الحجر الاسعد ، ثم يقول عند ذكر كسوة الكعبة ، بيارق الكعبة والمنبر ، خطأ فليس في العربية بيرق أو بيارق ، فالكلمة تركية ، والصواب اعلام ، ثم يقول كانت تنسج في ورشة الخرنفيش خطأ والصواب الخرنفش كما هو معروف ومشهور !!

وفي ص ٤٤٠ عند ذكر « كفر » يثبتها في عدة مواضع بتسكين الكاف ، خطـأ ، والصواب بفتحها وتسكين الفاء ، وكذلك الكفور ، يثبتها بسكون الكاف خطأ والصواب بضمها ، ولا عبرة لما ينطق به العامة ، فهـذا الكتاب أو المعجم يجب أن لا يسف الى مستوى كلام العامة !!

وفي ص ٤٤٠ جاء قوله عند ذكر « المتكلمين » من مشاهيرهم ابو حذيفة ، واصل بن عطاء ، وابو علي محمد بن الوهاب خطأ والصواب محمد بن عبد الوهاب .

وفي ص ٤٤٢ جاء قوله « كليج ارسلان » .

بكسر الكاف واللام والصواب قيليج والغريب انه يذكر في ص ٤٢٠ قلج بفتح القاف وهنا بكسر الكاف ، وكلتا اللفظتين على ما اثبتنا خطأ .

وفي ص ٤٤٥ جاء عند قوله « كنعان باشا » انه اقيم قبودان باشا على الاسطول العثماني ، خطأ والصواب ان يقال قبطان اوقبطانا على الاسطول ولا حاجة لذكر «باشا» لانها رتبة اولقب .

ملاحظة — يحملني سياق الحديث هنا عند كلمة باشا الى تفسير لكلمة باشا هذه ، فأصلها معدول عن كلمتين باي Pay رجل اوقدم بالفارسية وشاه ، اي سلطان اوملك ، فصارت باي « الباء بثلاث نقاط « P » شاه اي رجل اوقدم الملك ، وأصل ذلك ان ملوك آل عثمان احبوا ان يأتوا بتقليد جديد في الالقاب ، على غرار ما كان يمنحه ملوك الدول التي سبقتهم للامراء والقواد ، مثل عضد الدولة وصدر الدولة وسيف الدولة ... الخ فأخذوا من الفارسية باي شاه ، ومن اليونانية نحتوا من افنتيوس افندي للرجل غير الامي ... الخ واذن فلا يفاخر ابناء او احفاد الباشاوات بهذا اللقب الذي هو اومعناه رجل الملك اوقدم الملك .

وفي ص ٤٤٥ عند ذكر « كهلان » جاء قوله انه ابو العرب المناذرة ، خطأ والصواب ان كهلان ابوقبيلة سميت باسمه .

وفي ص ٤٤٧ جاء عند ذكر « كوراغلو » بضم الالف والاصح اوغلو ثم يقول ان معناها الابن الاعمى خطأ والصواب ابن الاعمى ، والفرق ظاهر بين المعنيين .

وفي ص ٤٤٨ اورد كلمة « كولتبه » بكسر التاء خطأ ، والصواب بفتحها .

وفي ص ٤٥١ يقول « كيافة الانسانية » خطأ والصواب قيافة ، كتاب مخطوط في يلدين.

وفي ص ٤٥٣ يقول « كيرخيزيا » خطأ والصواب قيرغيز ، اوكير غيز بالغين لابالخاء والغريب انه يثبتها هكذا « Kirgiz » باللاتيني .

وفي ص ٤٥٦ ورد عند ذكر «اللازوردي» قوله سكن « بابلي » خارج حلب ، خطأ والصواب « بابلا » بباء بعد الف ممدودة وباء ثانية بعدها لام مشددة وهي ضاحية حلب من الشمال ، وتعرف اليوم باسم درة باب الله . بساتين وبعض الكروم ، وفيها آثار .

وفي ص ٤٦٠ اورد اسم « لحج » سلطنة في جزيرة العرب ، بفتح اللام وكسر الحاء خطأ والصواب بتسكين الحاء .

وفي ص ٤٦٠ اورد عند ذكر « لسان العرب » ان مؤلفه ابن المنظور خطأ ، والصواب ابن منظور من غير تعريف ، واسمه جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور .

وفي ص ٤٦٠ اورد عند ذكر «لعب القبق» كلمة « ينصبون صاريا » خطأ والصواب سارية فكلمة صاري تركية وليست عربية ، وهي تعني كذلك سارية . وبالمناسبة ، يقول في ص ٢٠٧ عن اسم المعركة البحرية المشهورة في تاريخ

العرب « ذات الصواري » خطأ والصواب « ذات السواري » والغريب ان اصحاب المنجد اللغوي يثبتونها بانها العمود الذي ينصب في وسط السفينة بـ « سارية » !!

وفي ص ٤٦٢ اورد سورة « اللهب » من سور القرآن خطأ والصواب انها سورة ابي لهب بفتح اللام والهاء .

وفي ص ٤٦١ اورد « لقطة العجلان » بفتح اللام ثم بضم العين خطأ ، والصواب ضم اللام في لقطة وتسكين القاف ، ثم بفتح العين في « العجلان » .

وفي ص ٤٦٦ اورد عند ذكر « لؤلؤ » انه يحارب على القلع ، خطأ والصواب على القلاع .

وفي ص ٤٦٦ اورد عند ذكر « لؤلؤة » اورد هذا النص « حصن حصين بالقرب من طرطوس (قيليقيا) كانت حاميته قد انهكت قوى المسلمين ففتحه المأمون صلحاً بعد حصار دام مائة يوم وهزم عسكر الامبراطور تيوفل (٨٣٢) فكيف يمكن التوفيق بين انهاك قوى المسلمين ثم فتح الحصن صلحاً ثم انهزام عسكر الامبراطور ؟! والغريب العجيب انه يقول في الكلام عن المأمون في ص ٤٧٤ انه غلب البيزنطيين بالقرب من طرطوس ، فأين هي انهاك القوى ؟!

وفي ص ٤٦٩ اورد كلمات «ما بين النهرين» و « ماوراء القفقاس » و « ماوراء النهر » خطأ والمشهور ان حرف ما في الثلاث لالزوم لها والصحيح بين النهرين ووراء النهر ووراء القفقاس .

وفي ص ٤٧٠ اوردذكر « مأرب » بكسر الراء خطأ والصواب مأرب بفتح الميم وتسكين الهمزة واصلها مامراب .

وفي ص ٤٧٣ اوردذكر « مالك بن عتاب » ابن النفلي ، يضبط عتاب بضم العين واطلاق التاء خطأ والصواب ، بفتح العين وتشديد التاء ، والنفلي غلط والصواب التغلبي ، ويشير عند ذكر مالك هـــذا فيقول راجع عمرو بن كلثوم ، فراجعنا ذلك فلم نجد ذكراً له .

وفي ص ٤٧٨ اورد ذكر « المجادلة » سورة من سور القرآن بفتح الدال غلطاً والصواب بكسرها .

وفي ص ٤٧٩ اورد ذكر « مجلة احكامي عدلية » خطأ والصواب احكام عدلية .

وفي ص ٤٧٩ عند ذكر « مجنون ليلى » قال انه قيس بن « المولح » بتشديد اللام ، خطأ والصواب انه اسمه قيس بن الملوح بضم الميم وفتح اللام وتشديد الواو المفتوحة ، من بني عامر .

وفي ص ٤٨٠ اورد ذكر « محسن » بضم الميم وتسكين الحاء وكسر السين ، خطأ والصواب بضم الميم وفتح الحاء وتشديد السين المكسورة ، ثم يقول انه ابن علي وفاطمة ولد ميتاً ، خطأ آخر ، انه ابن الحسين ، مات صغيراً في حلب ، وسمي الجبل غربي حلب باسمه حين جيء بسبايا آل الحسين من كربلاء بطريقهم الى دمشق فحطوا بهذا الجبل ، وله مشهد باسمه هناك .

وفي ص ٤٨٢ اورد ذكر « محمد بن الحنفية » « من رجال الدولة » وهو ابن علي من زوجه الحنفية اشتهر بها تمييزاً له عن اخويه الحسن والحسين ابنيه من فاطمة بنت الرسول ، كان

ينبغي الاشارة الى ذلك ، هذا الى انه لم يكن من رجال الدولة ولم يتول اي عمل من اعمال الدولة.

وفي ص ٤٨٢ يقول «محمد بن رزين «ابو الشمس» خطأ والصواب ابو الشيص بياء بعد الشين الشاعر المعروف .

وفي ص ٤٨٢ يقول «محمد بن سعود » من آل مقرن العنزي بضم العين غلط والصواب العنزي بفتح العين نسبة لعنزة القبيلة المعروفة، وآل سعود من فخذ أو رهط الحسنة من عنزة.

وفي ص ٤٨٢ عند ذكر « محمد بن سيرين » يقول انه كان معاصراً لحسن البصري خطـأ والصواب للحسن البصري بالتعريف .

وفي ص ٤٨٩ عند ذكر « المدينة المنورة » قال لجأ اليها النبي خطأ ، اذ المعروف انه هاجر اليها بعد ان بايعه اهلها وسادتها بعد اسلامهم وطلبوا اليه ان يهاجر اليهم ، وفرق كبير هنا بين المعنيين .

وفي ص ٤٨٩ اورد ذكر « ابراهيـم بن المدبر » خطـأ والصواب ابن المدبر بالباء المكسورة المشددة لابالياء .

وفي ص ٤٨٩ اورد ذكر « مذحج » بفتح الميم وتسكين الذال وفتح الحاء غلطاً والصواب بفتح الميم وكسر الحاء ، وقال انه ابن « ودد » خطأ والصواب أدد بألف مضمومة بعدها دال مفتوحة ودال ثانية

وفي ص ٤٩٠ يقول « مرتد الحيري الحميري » بفتـح الميم والدال بينهما راء ساكنة ، غلط والصحيح مرثد بالثاء المثلثة لابالتاء المثناة وهو من اسماء الأسد ، اللسان .

وفي ص ٤٩١ عند ذكر « مرسيليا » كان يحسن ان يذكر اصل تسميتها بهذا الأسم، وهو « مرسايل » انشأها الفينيقيون وسموها بهذا الأسم تقربا الى الاله ايل او الى الذي هو من اسماء الله في عربيتنا هذه .

وفي ص ٤٩٣ يقول « مزاري شريف » خطـأ والصواب مزار شريف ولا لزوم للياء قطعاً .

وفي ص ٤٩٣ اورد ذكر « مسيلمة » قال انه نبي بني حنيفة ، كان يحسن ان يذكر اسمه الذي اشتهر به وهو مسيلمة الكذاب .

وفي ص ٥٠٠ عند ذكر « مصر » يقول ان نفوسها ٢٠,٤٣٩,٠٠٠ ، ومايعلمه العالم ان نفوسها تبلغ نحو الثلاثين مليوناً تقريباً ، وهذا الكتاب الف في أواخر سنة ٩٥٦ وكانت نفوسها ساعتذاك ٢٧ مليوناً ؟! فتأمل !

وفي ص ٥٠١ يذكر « مطرس بن ربعي » بضم الميم وفتح الطأ وتشديد الراء المفتوحة، غلطاً والصحيح مضرس، بالضاد وتشديد الراء المفتوحة.

وفي ص ٥٠٤ اورد «معان» بلدة في الاردن بفتح الميم وتشديد العين خطأ والصواب معان من غير تشديد العين وهو المعروف .

وفي ص ٥٠٤ اورد عند ذكر « معن بن اوس » انه من بني مزنية وضبطها بتشديد الياء وقبلها نون نسبة للزنا ، غلط فاحش والصحيح انه من بني مزينة بضم الميم وفتح الزاي وتسكين الياء تصغير مزنة وهي السحابة البيضاء ، فأين م مؤلفو هذا الكتاب من الصحيح ؟!

وفي ص ٥٠١ عند ذكر «معن بن زائدة»

يقول أنه ناصر يزيد بن معاوية . لما قتل يزيد استتر معن ثم دافع عن المنصور دون الثوار من اهل خراسان فأمنه المنصور وولاه خراسان قتله الخوارج في مدينة بست ٧٦٩ .

والى القارىء تفصيلها وتفنيدها

١ - ان يزيد بن معاوية ثاني خلفاء الأمويين تولى بعد ابيه سنة ٦٨٠ م كما ورد في شرح كلمة امية من هذا الكتاب ، لم يمت قتلا بل مات بأجله فمن أين جيء بهذه الرواية ؟

٢ - ان معن بن زائدة لا ذكر له في عهد الامويين ولا سيما في اوائله اذ لم يكن خلق بعد ويروي هذا المؤلف انه ناصر يزيداً فكم يمكن أن يكون عمره حين ناصره ، حتما انه كان رجلا ولا اغالي فأقدر انه نحو الثلاثين ، ثم استتر حتى ظهر في ايام المنصور .

٣ - المنصور - ورد في شرح كلمة العباس من هذا الكتاب انه اي المنصور وهو ثاني الخلفاء العباسيين تولى سنة ٧٥٤م ، وعلى هذا التقدير يكون معن قد بلغ حينذاك من العمر ١٠٤ سنين

٤ - ان معن بن زائدة دافع عن المنصور بهذا التاريخ يوم الهاشمية فأخذ بزمام بغلته بعد ان فتك بالثوار وقال له يا معن مثلك يصطنع وحباه وزينه وولاه اليمن ، فمن اين جاء مؤلف هذا الكتاب برواية توليه خراسان ؟!

٥ - معن بن زائده لم يقتل في اي ثورة ، بل حين ولاه المنصور اليمن عمل على نقض الحلف الذي كان قائماً في اليمن بين ربيعة واليمن ، فمن اين جيء برواية ان الخوارج قتلوه بست سنة ٧٦٩ ؟!

٦ - وعلى هذا التقدير يكون معن قد بلغ من العمر ١١٩ سنة ميلادية او ١٢٢ سنة هجرية وما نعلم ان معناً بلغ من الكبر عتياً ، بل مات وهو كهل مرضي كما نعلم .

واخيراً اين هم اولئك النخبة من العلماء والادباء الذين اعتمد على رأيهم واهتدى بهديهم - على ما ورد في المقدمة - من علمهم وادبهم في ايراد مثل هذا الخلط العجيب ؟ بل أين كانت تلك الموسوعات والانسيكلوبيديات الكبرى التي استعانوا بها على تأليف هذا المعجم ؟!

وفي ص ٥٠٥ جاء عند ذكر « المغارة » قوله قرية « مرايان » غلط وتحريف والصحيح قرية مرعيان وهي في شمال حلب لا في غربها وتبعد نحو ١٠ كيلو متر لا ٤٨ كم .

وفي ص ٥٠٧ ورد قوله « المقدسي » بضم الميم وفتح الدال المشددة خطأ ، والصواب ، بفتح الميم وسكون القاف وكسر الدال المخففة نسبة لبيت المقدس .

وفي ص ٥٠٧ يقول « مقدمة بن خلدون » بفتح الدال وتشديدها من مقدمة خطأ والصواب بكسرها مع التشديد .

وفي ص ٥٠٩ يقول « المكرم » خطأ

والصواب بدون الف ولام تعريف كما هو المشهور والغريب انه قال راجع ابن منظور فراجعنا هذه المادة فلم نجد اثراً لمكرم وهو جد ابن منظور صاحب لسان العرب .

وفي ص ٥١٢ يقول « ملحم » الشهابي الامير بضم الميم الأولى وتسكين اللام وفتح الحاء ، خطأ والصواب بضم الميم وكسر الحاء ، على الضبط .

وفي ص ٥١٢ يقول « ملك حفني ناصيف » يضبطها بفتح الميم وكسر اللام غلطاً والصحيح ان اسمها ملك بفتح اللام ، ثم يضبط ناصيف بياء بعد الصاد غلطاً والصحيح ناصف بغير ياء وبكسر الصاد .

وفي ص ٥١٢ يقول « الملكيون » بفتح الميم واللام خطأ ، والصواب بفتح الميم وكسر اللام نسبة الملك مرقيانوس .

وفي ص ٥١٣ يقول « المناة » صنم من اصنام جاهلية العرب ، خطأ ، والصواب مناة من غير تعريف ، وهو الصحيح .

وفي ص ٥١٣ يقول « الممتحنة » بفتح التاء والحاء غلطاً ، والصحيح سورة الممتحنة بضم الميم الاولى وتسكين الثانية وفتح التاء وكسر الحاء سورة من سور القرآن .

وفي ص ٥١٥ اورد اسم « منصور النمري » بفتح النون والميم خطأ ، والصواب بفتح النون وكسر الميم الشاعر المعروف .

وفي ص ٥١٦ اورد « منى » (ومبنى) ، بضم الميم من الاولى خطأ والصواب منى ، بالالف المقصورة ، ومبنى تحريف وخطأ ارتكبه المترجم .

وفي ص ٥١٨ يقول « المؤنس في اخبار افريقيا وتونس » يضبط كلمة افريقيا بتشديد الياء بعد القاف . خطأ والصواب من غير تشديد .

وفي ص ٥٢٠ يقول ان مؤلف كتاب « الموسيقي الشرقي » محمد الحلمي ، والحقيقة ان اسمه المثبت على الكتاب هو محمد كامل الحلمي .

وفي ص ٥٢٤ عند ذكر ميسلون يقول فيها قتل فيها يوسف العظم خطأ ، والصواب يوسف العظمة بتاء التأنيث المربوطة .

وفي ص ٥٢٦ يقول عند ذكر « ميمونة » انها من قبيلة الهوازن خطأ ، والصواب هوازن وهو المشهور ، فلا حاجة التعريف ، وميمونة هذه من عامر بن صعصعة على الاصح ، وهي التي وهبت نفسها للنبي .

وفي ص ٥٢٦ عند ذكر « الميمية » قصيدة ألفها ابو السعود العمادي ، يقول تداولتها العربان والأولى ان يقول العرب ، ولأبي السعود شيخ الاسلام هذا عدة مؤلفات اشهرها تفسيره الكبير ثم ان من آل العمادي تولى الكثيرون منهم الافتاء والقضاء في سورية وغيرها ولا سيما في دمشق وحلب .

وفي ص ٥٢٨ يقول ، « اعجازي قرآن » خطأ والصواب اعجاز قرآن .

وفي ص ٥٣٠ يقول عند ذكر « النبط » مدينة صلع ، خطأ ، والصواب سلع بالسين

لا بالصاد ، ويقول كذلك صلخد ، خطأ والصواب صرخد ولا عبرة لتحريف العامة .

وفي ص ٥٣٤ يقول « نشانجي » بفتح النون الاولى خطأ والصواب بكسرها والاصح ان يقال نيشانجي ،

وفي ص ٥٣٥ عند ذكر « النضر بن الحارث ابن كلدة الثقفي » غلط فالنضر هذا ليس ثقفياً بل هو من قريش من بني عبد الدار ، وليس ابن خالة النبي بل يجمعه بالنبي النسب بعبد الدار ابن قصي ، قتل بعد اسره في بدر .

وفي ص ٥٣٣ يقول « نظامي جديـــد » خطأ والصواب نظام جديد .

وفي ص ٥٣٦ يقول « تاريخي وقائـــع » والصواب تاريخ وقائع .

وفي ص ٥٤١ اورد عند ذكر « نمير بن عامر بن صعصعة » قوله قبيلة من جمرات العرب كانوا يتعيشون من التلصص » ، والمعروف ان القبيلة الجمرة ، وهي التي لا تطمأ اي لا تنصهر في غيرها من القبائل ، ومعنى ذلك انها قبيلة قوية وعظيمة ويعز عليها ان يكون اهلهـــا من المتلصصين ، ولا يتفق التلصص مع العظمة ، فمن اين جيء بهذه الرواية ، فلو انه قال من الغزو ، لعزتها وكثرتها فكان يمكن تصديق ذلك .

وفي ص ٥٤١ يقول « النهروالي » خطأ والصواب النهرواني بالنون نسبة لبلدة نهروان ، والغريب أنه بعد هذه المادة على التحقيق يقول ، نهروان ، بلاد في العراق ، ولا يقول نهروال .

وفي ص ٥٤٣ يقول عند « نوعي زاده عطى الله » ، خطأ والصواب عطاء الله .

وفي ص ٥٤٢ يقول « نور الدين زنجي » بالجيم خطأ والصواب زنكي ، وتلفظ فيها الكاف كما يلفظ الجيم عامة المصريين .

وفي ص ٥٥٢ يقول « هلال بن اسعر » خطأ والصواب ابن الأسعر بالتعريف .

وفي ص ٥٥٢ عند ذكر « بني هلال » انهم حاربوا الهوازن خطأ والصواب هوازن .

وفي ص ٥٥٤ يذكر « هنانو » بكسر الهاء خطأ والصواب بفتحها ، ويقول انه دفن بالقرب من قبر المجاهد المجهول والحقيقة ان المقبرة هي باسم هنانو ، والى جانب ضريحه وضريح سعد الله الجابري مدفن آخر فارغ اطلق عليه قبر المجاهد المجهول .

وفي ص ٥٦٤ يقول عند ذكر « وثن » المناة خطأ والصواب مناة من غير تعريف ؛ وذو شرى ، غلط والصحيح ذو الشرى والفلس بالفاء غلط والصحيح القلس بالقاف . ويقول صلع خطأ والصواب سلع بالسين .

وفي ص ٥٦٥ عند ذكر « الوراق » انه تعلم على الشنك خطأ والصواب على البشنك بباء موحدة قبل الشين .

وفي ص ٥٧٤ عند ذكر « اليماقية » طائفة

تأليف عبد القادر عياش

عرض وتحليل ياسين رفاعية

« الاسطورة في حياة الشعوب » كتيب صغير الفه المحامي عبد القادر عياش رصد فيه هذا الجزء الهام من المأثورات الشعبية او الفولكلور، وبعد أن يشير الكاتب الى ماتعنيه كلمة الفولكلور يبدأ بعرض المأثورات الشعبية في العالم العربي فهي تضم كنوزاً ضخمة ، غير انه لم يتم حتى الآن استقصاؤها في مظانها الاساسية أي افواه جيلها في مختلف اماكنهم وبيئاتهم .. ويبين المؤلف بعد ذلك مشيراً الى الادباء العرب الذين اخذوا يعنون بالاسطورة من ذلك النشيد الجن في مسرحية مجنون ليلى لشوقي واسطورة قدموس لسعيد عقل والاساطير اللبنانية في كتاب من اعماق الجيل لصلاح لبكي وكذلك عباس محمود عقاد في قصيدته « شهر زاد » واحمد خميس في قصيدته « ليالي شهر زاد » وعبد الوهاب البياتي في قصيدته « الحريم » وعاتكة الخزرجي في قصيدتها « شهر زاد في القرن العشرين » . والدكتور يوسف عز الدين في قصيدته « غرام شهر زاد » والمرحوم عبد الباسط الصوفي في قصيدته «مكادي» والمرحوم فؤاد سليمان في قصيدته « الساحرة العجيبة » وفوزي المعلوف في ملحمته « على بساط الريح » وجورج صيدح في قصيدته

مسيحية قالت بالطبيعة الواحدة وهو تعليم يعقوب البردعي . خطــأ والصواب البرادعي كما هو معروف فيما بين ايدينا من المؤلفات .

وفي ص ٥٧٥ عند ذكر « يلدز » يقول بشكتش خطأ والصواب بشيكطاش ، والطاء هنا تلفظ كالضاد ، اويقول رتقوي . بكسر الواو وياء مكسورة خطأ والصواب اورطه كوي بالياء الساكنة « Keuy » .

وفي ص ٥٧٥ عند ذكر « اليمن » يقول ساحل التهامة خطأ والصواب تهامة ومن مدنها صعدى خطأ والصواب صعدة .

وفي ص ٥٧٥ عند ذكر « اليامة » يقول كان لهم حصن في وادي عرض ، غلطاً والصحيح عارض ، وفي اللسان عارض اليامـــة ، وهو موضع معروف ، ولا يجوز القول وادي عرض فكل واد عرض ، فلو قال عرض اليامة لكان صحيحاً ، ويقال للجبل عارض .

« على بساط الريح » ونجيب سرور في « السندباد البري » وصلاح عبد الصبور في قصيدته « رحلة في الليل » وخليل حاوي في قصيدته « وجوه السند باد » وخليل الخوري في قصيدة « سند باد بلا انتصار » وغيرهم . والدكتور طه حسين في قصة « احلام شهر زاد » وعبد الرحمن جبير في قصة « شهر زاد ملكة » وفتحي غانم في قصة « شهر زاد » والمرحوم الدكتور صباح محي الدين في اقصوصة « لبيك عبدك بين ايديك » وحقي محمود في قصة « شهر زاد قالت لي » .

كما اشار الكاتب الى اقتباس الكتاب العرب في القرن التاسع عشر وفي السنين الاخيرة مسرحيات من مواضيع الف ليلة وليلة مثل مارون نقاش وابو خليل قباني . وتوفيق حكيم وعلي احمد باكثير واديب مروة وغيرهم .

ولقد كانت الف ليلة وليلة اغزر ينبوع في تراثنا الشعبي استقى منه الكتاب العرب مواضيع مختلفة ، وتساءل الكاتب : لو ان هذه المأثورات جمعت وظهرت في كتاب واحد على اساس علمي .

ويبدأ الاستاذ عياش بالحديث عن « الف ليلة وليلة » ويشير الى اهميتها في حياة الشعوب العربية بخاصة ثم الشعوب العالمية عامة ويقول في مكان آخر من الكتيب « ومن المأثورات الشعبية العربية » سيرة عنتر ، والهلالية ، فهي تمثل نبضات الوجدان العربي عبر الاجيال التي مرت بها ، ولهذا فهي شائعة يكلف السواد الاعظم من الشعب بقراءتها في البيوت والمقاهي من قبل قصاصين محترفين » وبعد ان يؤكد المؤلف اهمية السير والملاحم لاذكاء الروح المعنوي لدى الشعب قال : لقد كانت محاولة احمد شوقي موفقة عندما كتب « عنترة » وهو فارس وشاعر عربي جاهلي ، تحولت شخصيته التاريخية الى شخصية فنية حية .

لقد سبق الفرس والغربيون بجعلهم السير الشعبية كالالياذة والشاهنامة وما اليها من اصول الفنون التشكيلية والتجريدية العالمية .

لقد حرص علماء العرب في القديم على ان يسجلوا شيئاً من نوادر وامثال وقصص واساطير ومجالس وسمر قومهم .

ويشير المؤلف الى اصل الاسطورة « استوريا » فيقول ان معناها أخبار تاريخية غير ان هذا القول كما يقول « جفري » استبعد استشراقياً وذهب « نلدكه » الى انها دخيلة من السريانية . واللغويون العرب يؤكدون اصالتها في العربية على وزن «افعولة» : الخرافة الملفقة جمعها اساطير بمعنى الاباطيل . وجاءت مادتها وفيرة في اللغة في مادة سطر ، والسطر : الصف من الكتاب والشجر ، والجمع من كل ذلك اسطر واسطار واساطير وسطور . والسطر الخط والكتابة وهو في الاصل مصدر . يقال سطر من كتب وسطر من شجر وسطر يسطر اذا كتب ، وسطر بتشديد الطاء الف . يقال سطر فلان علينا يسطر اذا جاء بالاساطير اي بالاحاديث التي تشبه الباطل . ويقال هو يـ مالا أصل له أي يؤلف : ويقال سطر فلان على فلان اذا ذخرف له الاقاويل ونمقها ، والمسيطر : المسلط

على الشيء يشرف عليه ويتعهد احواله ويكتب عمله . اصله من السطر ، لان الكتاب مسطر والذي يفعله مسطر ومسيطر ، وجاءت مادة سطر في القرآن في مواضيع كثيرة بمعنى كتب ولفق من ذلك الآية «وقالوا اساطير الاولين» ومعناه الذي جاء به سطره الاولون . قال تعالى « ن والقلم وما يسطرون » اي ماتكتب الملائكة ، والآية «ان هذا الا اساطير الاولين» اي مما سطروا من اعاجيب احاديثهم والآية : «لست عليهم بمسيطر» اي مسلط تكتب اعمالهم الخ ...

رجع البعض للاسطورة بمعنى « ميت » الاوربية كلمة ترهة بضم التاء وفتح الراء المشددة جمعها ترهات اي اباطيل . والترهات في الاصل الطرق الصغار المتشعبة عن طريق الاعظم وفي قول قديم « والحق يدفع ترهات الباطل » والاسطورة لفظة « لجند » الاوربيـــة بمعنى حكاية او خرافة .

وبعد ان يشير الكاتب الى الاساطير القديمة وحكايا الشعوب وتعليلها عند القدماء والمحدثين ، ويوضح كيف حوربت الاسطورة وخاصةمن الكنيسة التي رفضت الاساطير الوثنية . ويورد المؤلف بعد ذلك لمحات عن اساطير بعض الشعوب التي اشتهرت بهـــا كالاساطير الهندية التي اهمها اسطورة « رامايانا » واسطورة « المصباح المسحور » التي تحكي قصة الغدر والألم واسطورة « عريس واحد وست فتيات » .

اما اساطير الفرس اشهرها « الشاهنامة » التي كتبها الفردوسي الطوسي وهي اروع ملحمة من الادب الفارسي . وهذه الاسطورة تدور في مجموعهـــا حول البطولة والتمهيد للحرب والانتصار ، ولقد رحب الاقدمون بابطال هذه الاسطورة واحبوهم .

ويتحدث الكاتب عن اساطير الاغريق فيؤكد ان لها ميزات حققت لها شهرة عالمية مستفيضة . فلقد حاول الاغريق القدماء ان يدركوا المعنويات بتجسيدها في صور مادية ملموسة ، كانوا يتخذون من الزهرة والجدول والشفق اومن الحيوانات الاليفـــة والمفترسة وصلتها بالانسان موضوعات لابراز مشاعرهم في صور محسوسة ، ولم يتجـــه قصدهم الى محاولة ادراكها على انهـــا تنم بالحياة فعلا وتخضع لنواميس الطبيعة البشرية . وبعد ان يوضح الكاتب عناية الاغريق باساطيرهم يشير الى اهم هذه الاساطير وهي الالياذة والاوديسة لهوميروس وشجرة أنساب الآلهة لهسيود .

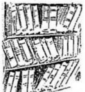
وعندما يصل الكاتب الى اساطير العرب يسهب في الحديث عنها فيقول : ابدع العرب اساطير كسائر الشعوب فكان لهم انصابهـــم . آلهتهم ورموزهم فهناك « عطارد » رمز الشعر عند الجاهليين ، واللات والعزى ، ومناة والشعري والثريا والسهى وسهيل ، وكل هذه مسميات لانصاب ونجوم كان العرب الجاهليون يستلهمونها في آثارهم الادبية - شعراً ونثراً - ويشير الكاتب الى ان الاسلام ادار ظهره لتلك الاساطير ولم يهتم بها : ثم يشير الى بعض الكتاب العرب

حديثاً قد اخذوا يعرضون لبعض الاساطير ويسهبون في تعريف القراء العرب بها .

ويقول الكاتب في نهاية بحثه : وان كان تراثنا الاسطوري العربي المكتوب يكاد ينحصر في كتاب كليلة ودمنة وبضع ملاحم شعبية وقصص صغيرة وقليلة عن النجوم فان ذلك لا يعني ان حياة شعبنا في سورية تخلو من اساطير قديمة مروية او ان سورية لم يكن لها اساطير ؟ لقد ابدع السوريون القدماء اساطير جميلة لا تقل قيمة ادبية عن اساطير غيرها ، ولقد كشفت حفريات اوغاريت عن لوحات كثيرة تضمنت اساطير وخرافات عدة .

يتناقل السوريون في جميع مناطقهم اساطير كثيرة هي من مخلفـــات الحضارات السورية وهي بعض الادب الشعبي السوري سأفرد للاسطورة السورية مقالاً خـــاصاً .

هذا موجز وتلخيص لكتاب الاستاذ عياش واذا كان ثمة ملاحظـــات فان الكتيب لم يتسع صدره ليكون مجال الكاتب في التحليل الموسع ورد تلك الاساطير الى اسبابها في حياة الشعوب ، على ان ذلك لا يمنع من القول ان الاستاذ عياش قد رصد حكاية الاسطورة رصداً علمياً ، مما يؤهله لان يوسع بحثه فيشمل الاساطير السورية القديمة كما وعد ويكون اكثر التصاقاً في البحث والتنقيب عن الاساطير العربية القديمة المغرقة في القدم وما تلى ذلك من اساطير اخرى واعل حكاية سيف بن ذي يزن جديرة ايضاً بالبحث والتحليل لما حوت هذه القصة من اساطير تكاد تضاهي الف ليلة وليلة .. وهناك حكايات كثيرة من هذا النوع .



وزارة الثقافة والارشاد القومي

تعلن عن

مسابقتين للمسرحية النثرية والشعرية

تعلن وزارة الثقافة والارشاد القومي عن اجراء مسابقتين لتأليف مسرحية نثرية واخرى شعرية وفق الشروط التالية :

١ — يكون موضوع المسرحية النثرية اجتماعياً ، أما المسرحية الشعرية فيستوحى موضوعها من تاريخ العرب وأدبهم .

٢ — لا تزيد كل مسرحية عن أربعة فصول ولا يستغرق تمثيلها اكثر من ثلاث ساعات .

٣ — يشترط ان تكون المسرحية بالعربية الفصحى والا تكون مترجمة أو مقتبسة عن أي منشور عربي أو أجنبي .

٤ — **ترسل المسرحيات الى الوزارة . مديرية التاليف والترجمة ، حتى غاية ٣٦ / ١٢ / ٦٣** ضمن غلاف مسجل . **موفقة بغلف مغلق يذكر فيه اسم المؤلف وعنوانه وعنوان المسرحية والرمز الموضوع على غلافها .**

٥ — يحق للوزارة طبع المسرحيات الفائزة وتمثيلها لمدة خمس سنوات ابتداء من تاريخ اعلان فوزها ويدفع لاصحابها عند طبعها بالاضافة الى الجائزة . اجور التأليف وفق القواعد المتبعة .

٦ — الجائزة الاولى للمسرحية النثرية ١٥٠٠ لس والثانية ١٠٠٠ لس .

٧ — الجائزة الاولى للمسرحية الشعرية ٢٠٠٠ لس والثانية ١٥٠٠ لس .

٨ — يسمي وزير الثقافة والارشاد القومي لجنة لدراسة المسرحيات وتكون قراراتها مبرمة بعد مصادقة الوزير عليها .

وزير الثقافة والارشاد القومي



وجـه — عبد القادر ارناؤوط — مجلة المعرفة ـ دمشق

وثائق الفن

الفنان : عبد القادر أرناؤوط

ولد عبد القادر ارناؤوط في دمشق عام ١٩٣٦، وباشر التصوير منذ حداثته . ثم عين في مديرية الفنون التشكيلية بوزارة الثقافة ، وكلف بتصميم وتنفيذ الاعمال الفنية (كالغلافات والاعلانات) فكشف بذلك عن موهبة وبراعة ، ولقد أبتكر نوعاً جديداً من الخط الذي يمكن تسميته «بالخط الحديث» . ثم اوفدته الوزارة الى روما لمتابعة دراسته هناك .

اشترك عبد القادر ارناؤوط في اكثر المعارض الرسميـــة ، كما أقام معرضاً خاصاً له في دمشق . واقتنت له وزارة الثقافة عدداً من اعماله وبعضها محفوظ في المتحف الوطني .

اللوحة : وجه

اللوحة على قماش ١٠٠ × ٧٠ سم تقريباً وهي بحوزة الفنان وفيها تبدو احدى محاولات عبد القادر ارناؤوط الابداعية وهو قريب الصلة مع اسلوب الفنان السويسري بول كلي ، وهو اسلوب طفلي منوع ذو طابع شرقي عربي في كثير من الاحيان .

الشرارة الاولى

مجوعة قصص تاليف مراد السباعي
منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي
دراسة بقلم الدكتور ابراهيم الكيلاني

امامي مجوعة قصصية عنوانها «الشرارة الاولى» للقاص مراد السباعي ، وهي تختلف عن المجموعات التي كتبها قصاصون سوريون من شباب الجيل الحاضر ، الذين يعملون اليوم على تجديد فن الاقصوصة والانحراف بها عن النهج التقليدي المعروف الذي اقتبسناه عن كتاب القصة العالميين في اواخر القرن التاسع عشر واوائل العشرين امثال موباسان وتورجنيف وتشيكوف وفلوبير وكونراد واليوت وغيرهم .

ويخيل الي بعد قراءة مجوعة الشرارة الاولى أن المؤلف شديد المحافظة على الاسلوب التقليدي في كتابة الاقصوصة ، بعيد عن التيارات الحديثة التي اخذت تؤثر في القصة واساليبها وطريقة بنائها وأن موقفه هذا متأت سواء لأنه لم يتيسر له الاخذ من الثقافات الاجنبية التي تصلنا بالنتاج العالمي فتتأثر به وتتمثله ثم تحاكيه ، او لأنه بحكم بيئته ونشأته وتكوينه الفكري محول على الوقوف في معزل عن هذه الحركة التطورية ، ومهما يكن من امر فهو معدود من ممثلي المدرسة التقليدية التي تقف وجهاً لوجه تجاه المدرسة الجديدة ، ولا ندري لمن ستكون الغلبة في المستقبل !

وتبدو طريقة الاستاذ السباعي واضحة في بنائه القصة على الركائز الثلاث : المقدمة والعقدة والخاتمة ، كما تبدو في حرصه على السرد والحكاية والحوار والاعتماد على الحادثة كعنصر حركي ومشوق يفوق اعتماده على تحليل الشخصيات واستبطانها ، فالحادثة هي التي تستقطب اجزاء القصة وهيكلها وتتطور بسرعة حتى تصل الى النهاية التي ارادها المؤلف ، ويسود هذه الطريقة عناية بالاسلوب الكتابي ، وحرص على سلامة التعبير واللغة وتأنق في سبك العبارة ، وانتقاء الالفاظ .

وأما ارباب المدرسة الحديثة فهم يعتمدون في عملهم الفني على الايحاء المنبعث من جو القصة العام والطاقة الكامنة في الاسلوب ، كما انهم يطرحون

في قصصهم أفكاراً وقضايا وقيماً تشغل بال الفرد العربي المعاصر في صراعه مع نفسه وبيئته وتاريخه وحضارة العصر الذي يعيش فيه ، ولذا طغت على آثارهم نغمة التمرد على الواقع والثورة على القيم السائدة كما برزت عندهم معضلة الوجود ومشكلة الجنس والضياع ورصد الأنا وتصوير خلجات الشعور والاحساس يمتحها الكاتب من اعماقه الدفينة حتى ولو ادى ذكرها الى المساس بالتقاليد والاخلاق التي تحرص المجتمعات العربية على تقديسها وصيانتها ، يؤدى ذلك كله باسلوب كتابي قد يخرج في بعض الاحيان على قواعد السليقة البيانية والاسلوب الانشائي الكلاسيكي الذي يقتضي سلامة اللغة ودقة الصياغة والعبارة ، وحجة هؤلاء أن اللغة في العمل الفني وسيلة لا غاية وأن من حق الكاتب أن يروض هذه الاداة وان يطوعها ويخضعها لمشيئته لتؤدي ما يراد لها من مهام تعبيرية حتى ولو كانت عقبى ذلك خروجاً على النظم الموضوعة ، والقواعد السائدة .

ويظهر ان الاستاذ السباعي فخور بالطريقة الكلاسيكية التي اشرنا اليها ، ولم يتردد عن اعلام قراء مجموعته بموقفه المحافظ فكتب — على خلاف العادة مقدمة اودع فيها نظرته لفن القصة ، وجعل قصصه فيما بعد — شعورياً او لاشعورياً — تطبيقاً لهذا المفهوم ، ومجمل رأيه أن القصة «قطعة من الحياة ، وهي فن يرتكز على موهبة القاص ، كما أن القصة متاحة فيها مجال غير محدود يضمنها الكاتب عواطفه وافكاره وميوله شريطة أن تصاغ القصة باسلوب فني جذاب ، وأن يتم بناء القصة ضمن حدود الامكان والجمال الفنيين اللذين ينفيان المبالغة والتضخيم والافكار المجردة والتوجيه الفج المكشوف .

وتتضح النزعة المحافظة في القصة عند المؤلف في حرصه على العقدة والسرد والحوار ودفاعه في مقدمته عن اللغة الفصحى واعتباره الشخصية الروائية عملية شاقة وصعبة فهي ذروة العمل الفني الذي هو صعب ودقيق ويحتاج الى موهبة كبيرة .

واذا ما تدبرنا مفهوم المؤلف للقصة وجدنا ان الحادثة عنده تأخذ المقام الاول ، فهي التي تلف ابطـــال قصصه فتحملهم ركائز في سيرها الحتمي نحو النهاية حتى اذا ما أعطي بطل من الابطال وجوداً مستقلا لم يكن لدى المؤلف مجال واسع للتعمق في التحليل وابراز الجوانب المثيرة في شخصية البطل ، وليس أدل على غلبة طابع الحكاية والحادثة عنده من انتقاء ابطال قصصه من البيئة الشعبية التي يعيش فيها أناس مغمورون ، بسطاء ، مساكين ، يظهرهم المؤلف على مسرح قصصه ليؤدوا دورهم بسرعة في سياق القصة ، فاكثرهم من الفقراء الذين لا يتيسر لهم أن يلعبوا دوراً هاماً في الحياة الاجتماعية فمنهم بنت الشحاذة ، والعامل ، والمتشرد ، وصياد السمك وموظف صغير وعامل حديقة واطفال مشردون تجري حياتهم في بيئة معينة ونطاق محدود يحرص المؤلف على تحديده وتضييقه ليأتلف وسرعة السرد ومقتضيات الاقصوصة ، ولذا كان البطل عنده ملازماً للبيئة ، فليس له

وجود مستقل وان اكثر مايسير هؤلاء الابطال ويدفعهم ويحركهم هي هذه البيئة الواقعية التي وعاها المؤلف بالمشاهدة او الملاحظة او التجربة او التخيل ، جاعلا منها مسرحاً صغيراً فيه كل المؤثرات التزيينية من اضاءة وصوت وتنويع في اللوحات والمشاهد التي تجذب القارىء وتحمله على متابعة الحوادث بشوق وتطلع ، وهكذا نرى الاستاذ السباعي يرسم في قصصه المشاهد والامكنة والاطارات التي تتحرك ضمنها شخصياته ، فان قصة القارب تجري في «مرج شاسع الارجاء ، سندسي الخضرة ، توشيه اشجار الحشائش بالأصفر والأحمر والابيض ، وفي كوخ مصنوع من اغصان الاشجار ، تظلله مجموعة كثيفة من الصفصاف » وكذلك تجري قصة « اقرضني عشر ليرات » في مقهى يسمع فيه « ضجيج الناس ، وقرقرة النراجيل ، وطقطقة النرد » وتجري قصة « اصابة بالملاريا » في بيت المؤلف نفسه ، وتجري قصة « قبور تتزاور » في فندق اللقاء الاول .

وقد تبرز الشخصية في قصة من قصصه فتحتل الصدارة في البداية ثم لاتلبث أن تتفاعل مع الحوادث والمحيط بعد ان يتم تعريفها وتقديمها للقارىء بمقدمة ايحائية قصيرة فتكون القصة بعدها بمثابة تطوير أو توسيع لهـا ، ففي قصة الحياة يعرف القارىء من السطور الاولى موضوع القصة والمحور الذي تدور حوله فان صدقي بطل القصة موظف في احدى الدوائر الحكومية وهو رجل يكره الاطباء والنساء وقد امضى اربعين سنة من عمره دون ان يعاشر امرأة اويعرض نفسه على طبيب وينتهي الامر بان يعالج في مستشفى ويتعرف فيه على امرأة فيتزوجها ، وان أبا علي بطل قصة « لقطة » رجل فقير عاطفي يحب اولاده وبما انه يبحث عن عمل منذ بضعة ايام توقع القاريء لأبي علي مفاجآت ومصادفات لها علاقة بالاطار الذي قدم فيه الينا . وقد يستعيض المؤلف عن هذه الاوصاف والتعريفات بجملة اوجملتين تكثف القصة وتحصر جوها ونطاقها كما فعل في قصص « الشرارة الاولى » و « هروب من المدينة و « العودة » و « ذاته ابوغازي » و « سوء الحظ » و « دجاجة ام سليمان » و « بغلة العم عثمان » ، حتى ان عبارة البداية في قصة دجاجة ام سليمان هي عبارة النهاية ذاتها .

ان كل عمل فني انعكاس لمزاج صاحبه ، فعلى الناقد ان يحاول استشفاف الانسان من خلال الفنان أو صانع الاثر ، وبما ان القصة كما يقول الاستاذ السباعي في مقدمته قطعة من الحيـاة يضمنها القاص الموهوب ماشاء من عواطفه وافكاره وميوله امكننا معرفة موقفه من شخصيات قصصه انه مزيج من الرومانتيكية الشعرية والذاتية العفوية البعيدة عن الموضوعية التي يصعب على صاحبها الانفلات من نفسه والتجرد من ميوله اثناء العمل الفني كما تشهد بذلك قصتا « قبور تتزاور » و « اصابة بالملاريا » ولهذا كان الاستاذ السباعي كثير الاعجاب بشخصه اولا حتى كاد يقارب النرجسية وبشخصيات قصصه ثانيا شديد

التعاطف معها ، يعطيها من قلبه وحنانه، ويتحلها افكاره وآراءه ما يجعلها جديرة بالالفة والاشفاق ومع ان اكثرهم قد نبت في منابت الشر والضلال والنذالة الا ان عطف المؤلف واعتقاده بأثر الوسط ومسؤوليته في تكوين الطبائع واملاء التصرفات والسلوك ، وايمانه بأن الفضيلة بنت الشر ، كما ان الورود من الاشواك ، وان في دمامة الشر والالم ما يساوي في قيمته الفنية جمال الخير واللذة على حد قوله قد قاده بصورة حتمية ولكي يكون منطقياً ومنسجماً مع نظرته الفنية الى تصور الخواتيم التي تمجد ابطاله في اطـــار من التسامي والتصعيد ، ولذا كانت نهاية الفتـــاة المتشردة فتنة التي ترعرعت في اكناف الرذيلة والعار والتي اطلق عليها الناس لقب «حسن صبي» والتي تسكن في حانوت خرب ذي جو كئيب معتم مشبع برائحة العفن والرطوبة والمليء بالحشرات ، اقول: كانت نهاية بطلة قتلت برصاص المستعمر ، مؤدية واجبها كأحسن ما يؤديه بطل قومي ، وكذلك كانت نهاية قصة المحتال الطفيلي الذي دأب على الاحتيال بأسلوب مبتكر عجب نهاية اثبت فيها حرصه على قواعد الشرف والانفة وكذلك قصة « لقطة » التي روج فيها ابو علي الامي اوراقاً نقدية مزيفة فقد انتهى امره بالسجن ولكنه بريء امام محكمة الضمير « لأن من لا يحسن القراءة والكتابة لا يحسن التزييف » ومثلها ابو غازي ذو الوجه الصارم التقاطيع والوحشي الملامح ، واللحية الخشنة السوداء كلحية المعزاة، وذو العين الوحيدة التي يحدج بها الناس بنظرات مليئة بالحقد والكراهية فكانت في

التماعها الشرس كقبس من جهنم ، ان أبا غازي هذا الذي لقي الناس منه افانين الاذى مات ميتة شريفة في نضاله مع المستعمرين يحسده عليها الاحياء جعلت المؤلف يأسف عليه ويقول والدمع يترقرق في عينيه : « يا للرجل الطيب انه ابو غازي ! » وقد تمتد الفة المؤلف واشفاقه حتى الى العجماوات فقـــد اضفى على بغلة العم عثمان من التحليل والتشخيص ما جعل القلوب تتعلق بها ومن الاهتمام ما جعل شخصيتها تطغى على شخصية صاحبها في ميدان الوفاء وعرفان الجميل .

اما الصور والتعابير عند الاستاذ السباعي فهي جميلة وموفقة تدل على دقة الملاحظة وحسن الصياغة والاداء فمن قوله يصف جمهوراً شرقياً في ساحة: « رؤوس مشكلة ... عمائم وطرابيش وقبعات وشعور مسرحة ومنبوشة ، وكوفيات وعقل وطاقيات مختلفة الالوان والاشكال ... منظر يبهج حقاً ، اشبه ما يكون بحديقة ازهار ! » وقوله في وصف الطبيعة عند الغروب : « كانت اشعة الشمس تكسو رؤوس اشجـــار الحور والصفصاف المنتشرة على ضفتي النهر بحلة ذهبية رائعة ، وكان الهدوء يشمل الطبيعة ويضفي عليها شيئاً من المهابة يوحي بالخشوع ، فلا نأمـــة ولا حركة غير صوت مجدافي القارب يصفعان صفحة الماء برتابة وايقاع ، وثمة سمكات تقفز على سطح النهر ، وضفادع تنقنق ، وشحرور يغرد ، وسلاحف تقبع على الضفة وتمد اعناقها بجمود كأنما يدهشها هذا العالم » . وقوله في التعبير عن حركة انقضـــاء الزمن وتصرم السنين والايام

←

نفوس تتكلم

تأليف السيدة وداد سكاكيني
عرض وتحليل عدنان بن ذريل

السيدة (وداد سكاكيني) من رواد القصة الحديثة في سورية ؛ وتأتي في طليعة الصف من الرعيل الاول من قصاصينا السوريين المبدعين والذي كان يضم : فؤاد الشايب محمد النجار ، وشكيب الجابري ومظفر سلطان ، وغيرهم .. لقد خاضت معهم غمارها ، وعانت همومها ، وتجشمت المصاعب فيها ، وحققت لها انتصارات قيمة ، موفقة ..

لقد كانت ـ القصة ـ عند هذا الرعيل الاول سرداً عن الواقع ، وهو سرد ، في كثير من الاحيان ، انتقادي ؛ او هي لوحة من الواقع ايضاً ، نحوي ، في كثير من الاحيان ، الانتقاد والفكر .. وميزة هذا الرعيل الأول ، وفضله ايضاً ، انه حمل القصة السورية في كثير من الاحيان الى الافق الفني الصحيح ، فوفر لها قيمتها الفنية والادبية من موضوع قوي وسرد شيق ، تحليل دقيق ، واسلوب جزل ، رصين ..

وقد كانت العناية بالعرض ، السبك ، والعبارة ميزة هذا الرعيل الأول ؛ فواقعية (فؤاد الشايب) التي كان يمزجها بالانتقاد ، والتي يميل فيها اليوم الى التنوير الهادف ؛ او واقعية (شكيب الجابري) التي يغرف فيها من تجربته ، ومجتمعه ؛ او ايضاً واقعية (مظفر سلطان) ، التي كانت تصل في تفاصيلها الوصفية والحوارية ، في بعض الاحيان الى حد التقرير ، او الريبورتاج الصحفي .. كل ذلك نجده عند هؤلاء مصاغاً باسلوب فني ، جزل رصين ، قل ان نعثر له اليوم على مثيل ، بين قصاصينا الجدد ، الذين يتهاونون في قصصهم بالسبك والاسلوب ، علاوه على تهاونهم ببناء القصة ، او عرضها ..

« فالأعوام الطويلة التي امضيتها بعيداً عن هذا البلد تطوى الان امام ناظري كمروحة صغيرة بيد حسناء » وقوله في وصف نعاس شديد انتابه : « لم أنم قط رغم النعاس الشديد الذي كان يثقل جفوني ويشدها الى اسفل كأنها مربوطة برساة » ! وقوله في وصف نارجيلة : « انها تتنهد بعمق وتغرق نفسها بدخان نارجيلتها ذات القرقرة العنيفة والرأس المشتعل الذي يبدو كأنه كوخ من القش تأكله النيران في يوم عاصف » !

وبعد فان الاستاذ مراد السباعي قصاص موهوب وكنا نتمنى أن تتيح له ظروف الحياة وأعباؤها الثقيلة ان ينصرف ـ وهو الأديب المقل ـ الى ادبه وفنه القصصي ليأتي بكل رائع ممتع.

والسيدة (وداد سكاكيني) في قصصها ايضاً واقعية ، تغرف من الواقع والحياة ، وتصور المجتمع حولها ، والعادات ، والتقاليد ، مقررة تارة ومنتقدة تارة اخرى ، محللة في معظم الاحيان.

ان المنحى التحليلي سمة ظاهرة ، لقصص السيدة وداد سكاكيني ؛ وهي ميزة من ميزات ادبها القصصي ؛ انه لا يتجافى مع السرد في القصة او يتنافر معه ، او يطغى عليه ايضاً .. على العكس نجده متكاملاً مع العمل القصصي ، في القصة كلها ، يتساند مع التحليل ، الوصف ، ويقوم على الوقائع نفسها ، التي تسوقها المؤلفة القاصة وداد سكاكيني ، الواحدة تلو الاخرى ، حتى تتجلى ببراعة ، وتشويق .

والمجموعة القصصية الاخيرة للسيدة وداد سكاكيني - نفوس تتكلم - مثال موفق ، وشيق على هذه الواقعية ، التي تغرف موضوعاتها من المجتمع ، والحياة .. انها تقوم على السرد ، والتحليل معاً وهي لوحات نفسية بقدر ما هي لوحات اجتماعية يتساند فيها التحليل والتصوير ليوحيا بالفكرة في القصة ، او العظة ، او ايضاً الانتقاد ..

وعلى الرغم من ان عنوان المجموعة - نفوس تتكلم - يوحي بالاتجاه النفسي في القصة ؛ الا ان هذا الاتجاه النفسي لا يستغني عن السرد .. ان التحليل في قصص وداد سكاكيني يعتمد بالاحرى على التمثيل والتصوير والمؤلفة القاصة تسرد في قصصها ، وتحلل كما تسوق الوقائع للتحليل ايضاً ومن هنا جودة العرض في القصة عندها واحترام بنائها ..

ان هذه القصص الواقعية ، الشيقة ، تحافظ ، في الحقيقة على البناء القصصي التقليدي ، من عرض ، وتأزم ، وخاتمة ؛ وعلى الخصوص على تكامل السرد ، والتحليل ؛ الا ان طابعها المميز نماء الحس التحليلي فيها ، لدرجة انه يصبح في بعض الاحيان الموجه البارز للعمل القصصي . وتصبح والقصة لوحة نفسية تقوم على تجسم الصورة ، او لوحة اجتماعية تقوم على التمثيل الواقعي ايضاً .

قصة _ التمثال المثلث _ قصة مطولة ، تسرد وقائع زواج مربية من مزارع ، ملاك ارمل ، تعنى بتربية ابنته اليتيمة ، يطلق زوجته الثانية اثر اكتشافه خيانتها لرباط الزوجية ، ويتزوج المربية الحنون ... والتمثال المثلث هو تمثال القرود التي ترمز الى معاني لا ارى ، لا اسمع ، لا اتكلم ، والتي كانت الزوجة الفاسدة ، المطلقة اوعزت المربية ، قبالته ان تكتم عن زوجه خبر علاقتها مع صديقه ، ونسيبه ، بعد ان رشتها بالهدايا ، والنقود ... وقد آثرت المربية كسره عندما تزوجت من المزارع ، كي لا يظل في بيته رمزاً لاي تستر على خيانة ، او فحش ، او مجون ؛ هنـــا الفكرة ، والتحليل ظاهران بارزان ؛ الا ان ذلك يقوم على معطى سردي ، شيق ، وموفق ...

وكذلك نجد التمثيل التصويري يتساند مع التحليل بقوة في قصة _ بنت ابليس _ التي تصور الكيد ، وحب الوقيعة بـــين الناس ، وخاصة الازواج ، عند اناس تكون سبب زواجات فاسدة ، وطلاقات ظالمة ... السباق ، والتحليل

كلاهما قويان في القصة ، يكشفان بجرأة عن نفسية هذه البطلة المعقدة ، بل الشاذة ، والانتقاد هنا عنصر هام في توجيه القصة ، والعمل القصصي.

وكذلك بناء قصة ـ تلاقي الفن ـ تصوير لقاء بين محبين ، موسرة ، هاوية للموسيقى ، ومعلم موسيقى ، فقير ، يجمع بينهما الفن ، والفن وحـــده ، بعد ان يعمل الاهل على التفريق بينهما ... الاسلوب هنا يخدم التحليل ، ليكشف التجربة المضنكة لهذه الابطال .

في حين قصة – الشيخة عطية ـ لوحة اجتماعية نفسية ، لصاحبة كتاب تكابد في الحياة من اجل لقمة العيش ؛ وقصة ـ مسحور – لوحة اجتماعية نفسية لعلاقة موظف مع مضيفة قروية توقعه في شباكها ، فيتزوج بها ؛ او قصة ـ ثمن العمر ـ لوحة اجتماعية نفسية ايضاً لتقدم العمر ، والكبر والعجز ، والخوف ، ثم الموت ...

ان ابطال هذه القصص المعبرة ، رغم ما نجده فيهم احيانـــاً من عنف تارة ، او شذوذ تارة اخرى ، ابطال من الواقع ؛ انهم نفوس معذبة مكدودة ، تعيش حيواتهـــا بأناة ، وكد ، وصبر ... كما انهم في معظم الاحيان تغلب عليهم الذهنية الخيرة ، والروح الطيبة ...

ان التفاؤل رائد هؤلاء الابطال ؛ انهم مع الحياة ؛ وليسو ضدها ؛ فهم إن تعذبوا في مراحل من عمرهم ، او عقدهم ؛ انصفوا في الاخرى ؛ في الحل مثلا او الخاتمة .. ومع ان ليست كل الحلول في هذه القصص سعيدة ، مبهجة ، الا ان مسحة الخير تغلب على حيوات هؤلاء الابطال ، ونفسياتهم .

ان الاتجـــاه النفسي في مجموعة – نفوس تتكلم – حسنة من حسنات الابداع القصصي فيها ، وميزته انه ظل يساند التحليل ؛ ويتكامل معه ، في خيرية ، وتفاؤل ... فلا تكلف فيه ، ولا تعسف ، ولا غموض ؛ ولا ابهام ؛ وانما المعطى الواقعي نفسه ، في جدته ، وروئقه ، وتفاؤله ... والى اللقاء في مجموعة مقبلة لاديبتنا القصصية السيدة وداد سكاكيني .



مهرجان الشعر الرابع وذكرى ابي فراس

قلم التحرير

في مطلع الشهر الماضي « ١ ــ ٥ تشرين الثاني » اقام المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية.مهرجان الشعر الرابع وذكرى ابي فراس الحمداني في مدينة حلب ، وقد رعى المهرجان السيد رئيس المجلس الوطني لقيادةالثورة وقدم الخطباء السيد محمد شاهين طلس امين سر المجلس.

وناب السيد الدكتور شاكر الفحام وزير التربية والتعليم السابق عن السيد وزير الثقافة والارشاد والاعلام رئيس المجلس الدكتورسامي الجندي بالقاء كلمة الافتتاح ، وقد قال السيد الوزير في مستهل كلمته : انها لفرصة حلوة ان اشهد مهرجان الشعر الرابع في مدينة حلب ، مدينة سيف الدولة الحمداني التي شهدت بطولات الفتى العربي وهو يقود جحافله ، يصد عن ارض العروبة غارات الروم الصفر ، ثم يعود الى حلب قائداً مظفراً تواكبه اناشيد البطولة ..

وبعد ان اعادالسيد الوزير الى الاذهانماضي حلب التليد في البطولات وجولات الفكر قال : وهاهي ذي حلب اليوم ، يأتيها الشعراء العرب من كل حدب يتناشدون البطولات ، ويحيون المآثر ، ويشاركون في المعارك ، ويدافعون عن مثل الامة ويتغنون مشاعرها وعواطفها . انهم الالسنة القوالة تفصح عن روح الامة ، وتبرز مااستتر في اعماقها ، وتدل على طاقاتها الخبيئة التي تنتظر اوانها ، لتنبعث خيراً يعم الحياة ،وبركة ينعم بها المواطنون .

وليس هذا المهرجان ، تقام سوقه في كل عام الا اعترافا بالمكانة العظيمة يحتلها الشعر هذا الفن الادبي الجميل ، في نهضة الامة وتقدم الحياة . وليس عجباً ، وللشعر هذا الأثر ان نطلب من الشعراء الشيء الكثير . ان نستمع في قصائدهم رجع حياتنا وآمالنا ، ونوازعنا ، معقوداً فناً جميلا اصيلا .

وانهم الامناء على ان يظلوا اوثق صلة بنبض الحياة ، واكثر استشفافا لروح الامة وانهم الاقوياء على سر الكلمة تلين لهم ليؤدوا بها ماشاءوا اجمل ماتطيقه الموهبة والمهارة .

ايها السادة . ان الامة العربية التي طواها ظلام التخلف ، تهب من مرقدها ، تتطلع الى

الفجر الجديد . وهي ، في انبعاثها تشق الطريق وتحمل الرسالة على هدى تراثها الحضاري العريق ، ومتطلبات حياتها الحاضرة ، ولابد للشعر هـذا الفن الجميل ، من ان تمسه هذه الروح الجـديدة التي سرت في كيان الامة ، فيعتمـد على تجربة الحياة الحـاضرة ، وعلى ارث المـاضي العريق ، لينهض مضموناً وشكلاً . فاذا هو التعبير الصادق ، فكرة وصياغة ، عن الآفاق التي ترنو اليها الامة بابصارها والمثل التي تجهد لتحقيقها .

ولعل الشعراء العرب حين ضموا الى المهرجانات التي تقام في بلدنا كل عام ، دراسة لشـاعر من شعراء العربية ، انما قصدوا الى هذه المعاني ، وبينوا ان جديدهم العتيد ، وثيق الصلة بماضيهم التليد ، وقد شاء مهرجانكم ان يكون ابو فراس الشاعر الذي يخص بدراسة تجلو اسرار فنه وتبين مفاتيح نفسه . انه الشاعر الذي رأى بعض النقاد ان يختم به الشعر فقال « بدىء الشعر بملك وختم بملك » ولعله قصد الى مظاهر الفتوة العربية التي تجلت في شعر ابي فراس فناً صادقاً حي العاطفة لم يفسده ملق الطمع ، ولا اغلال الصنعة اللفظية .

وبعد ان اشار الدكتور فحام الى قيمة التراث الماضي في نهضة الشعر ختم كلمته قائلا : ان الشعراء العرب مدعوون الى النهوض بتبعات الرسالة التي يتطلبها منهم الجيل العربي الجديد : ان يرقوا بفنهم الجميل رقياً لايقصر به عن روائع الشعر العاليـة وان يكونوا وثيقي الصلة بجذور الشعب العربي العريق الذي أضفى حضارته على ثلث العالم ، ليكونوا اصدق في التعبير عن نفسيته ، بنوازعها وهمومها ، وآمالها ، وظفرها .

والقيت بعد ذلك كلمة السيد محافظ حلب ، وكلمة مقرر لجنة الشعر في المجلس الاستاذ احمـد الجنـدي عن الشعر الحديث كما القى مندوب المملكة الاردنية كلمة تحدث فيها عن مفاخر ابي فراس الحمداني ، في السيف والشعر .

وفي اليوم الثاني القى الدكتور عبـد الكريم اليافي عضو المجلس الاعلى ومقرر لجنـة الفلسفة والاجتماع محاضرة بعنوان « الشموع والقناديل في الشعر العربي » . وقد استمرت محاضرته نحواً من ساعة . ثم تقدم الشاعر عبد الحق حداد فالقى القصيدة الاولى في المهرجان وهي بعنوان « نطق الرمل » ثم كانت قصيدة الشاعر عمر ابوقوس ، فالشاعرة سحر كيلاني ، فالشاعر خليل الخوري ، فالشاعر محمد الحسناوي ، فالشاعر محمد احمد حيدر ، فالشاعر الطون شعراوي .

وفي اليوم الثالث القى الاستاذ خليل الهنداوي عضو لجنة النثر في المجلس محاضرته وكانت بعنوان « الشعر العربي في قديمه وحديثه » . واستمرت محاضرته حوالي الساعة ونصف الساعـة ثم القى الشعراء السادة : عبد الله يوركي حلاق ، حنـا الطباع ، سعيد قندقجي ، انور السـكاوردي ، عبد الرحيم الحصني ، قصائـدهم ، كما القى الشعراء الشبان الثلاثة الذين فازوا بمسابقة الشعراء قصائدهم وسلمهم السيد الوزير جوائزهم المستحقة .

وفي ٤ تشرين الثاني ابتدأ الاحتفال بذكرى ابي فراس الحمداني ، فأزاح السيد وزير السـترية

والتعليم نيابة عن السيد رئيس المجلس الوطني لقيادة الثورة الستار عن تمثال ابي فراس الذي صنعه الفنان جاك وردة ، وكان طول التمثال مع القاعدة ثلاثة امتار وضع في المدخل الرئيسي لحديقة حلب العامة . وقد قدم المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب هذا التمثال هدية الى مدينة حلب.

وفي مساء ذلك اليوم القى الاستاذ سامي الكيالي مقرر لجنة النثر في المجلس محاضرته وكانت بعنوان « ابو فراس الحمداني » فتحدث عن الشاعر حديثاً مسهباً ، وحلل شعره تحليلاً دقيقاً، ثم قدم الدكتور زكي المحاسني قصيدته وكانت بعنوان « ابو فراس الحمداني الشاعر في صورة بطل » وبعد الدكتور المحاسني القى الاستاذ عبد المعين الملوحي محاضرته بعنوان « مصرع ابي فراس » ثم القت السيدة عزيزة هارون عضو لجنة الشعر في المجلس قصيدتها وكانت بعنوان « زين الشباب ابو فراس لم يمتع بالشباب » ثم القى الشاعر انور الامام قصيدة بعنوان « الشعر والمجد » وختم الشاعر عبد الله يوركي حلاق برنامج ذلك المساء بمختارات من شعر ابي فراس .

أما حفل الختام ، فقد تضمن محاضرة الاستاذ احمد الجندي التي كانت بعنوان « رائية ابي فراس الحمداني » ثم قدم الشاعر حامد حسن عضو لجنة الشعر في المجلس قصيدته التي كانت بعنوان « الشاعر البطل » اما الشاعر محمد الجنيدي فكانت قصيدته بعنوان « وطني قد حملت باسمك همي » وكانت قصيدة الشاعر صابر فلحوط بعنوان « ابو فراس يناجي يوم عيده » ثم كانت قصيدة الشاعر محمد ظريف صباغ ، وختم المهرجان الشاعر الاستاذ عدنان مردم بك عضو لجنة الشعر في المجلس بقصيدة عنوانها « ابو فراس الحمداني الشاعر الكبير » .

هذا وتخلل مواد المهرجان يومياً برنامج غنائي موسيقي وحضر المهرجان مندوبون عن الدول العربية وعدد من الادباء .

الى الاستاذ محمد بهجة الاثري (١)

بقلم خليل الهنداوي

قرأت كلمتك التي لم يدفعك اليها الا حرصك على الحقيقة ، وغيرتك على التاريخ أن تدنسه الاخبار المنحولة ، والاهواء الدخيلة .

واني لأشكر لك حسن ظنك في البواعث الفنية التي جعلتني أقدم على هذه القصة ، فأجعل منها مسرحية ، كما جعلت من قبلي الاستاذ الزيات يقدم عليها ، فيجعل منها قصة ..

وقد قرأت مادار بينك وبين الاستاذ الزيات حول هذه القصة ، ومظان الشك — او اليقين — في حظها من التلفيق ، وان وردت في الاغاني والبحث حقا ممتع ، والاكثر امتاعاً فيه روحه التي امتازت بالبحث والعمق والنقد النزيه .

أما لومك ايانا على انهيارنا بهذه القصة ، دون دراسة وتبصر ، فلعل الاستاذ لايعزب عن باله أن من كتب هذه القصة ، واستغلها كمادة قصصية فنية ، بعيد عن أن ينظر اليهـا بعين الباحث المنقب ، بعد أن استوت له العناصر الفنية التي هي المبدأ والنهاية في «معجمنا الفني» .

وقد حسن في نظري انك لم تذد عن ابطال القصة بروح المؤرخ الذي يؤمن ايمانا اعمى بعصمة الماضين من كل خطأ ، وهم اشخاص من لحم ودم ، يخطئون ويصيبون . وانا دافعت ، ودفعت القصة بعرضك اياها على قياس منطقي أبطلها عقلا ، وجرحها نقلا .

ولكن .. يبقى بعد ذلك لواضع القصة — بالرغم من الشوائب التي ارتكبها بحق الابرياء والتاريخ — براعة النسج والوضع ، حتى جعل من قصته اسطورة يسرح فيهـا الخيال ، وتنطلق الشاعرية الى ابعد حدود .

والحق اني اقدمت على القصة بدافع واحد اغراني ، والح علي ، وأحببت أن أرته ، وأرده .. هذا الدافع هو مازعمه الغربيون عن افتقار أدبنا الى الاساطير التي اغتنت بها آداب غيرنا من الامم . فذهبت الى جلاء هذه الاسطورة وعرضها عرضا فنيا جديدا . ولئن أحسنت في اجتهادي هذا ، وأسأت في المغزى الذي آلت

←

(١) راجع نقد الاستاذ الأثري للحقيقة التاريخية التي بنيت عليها تمثيلية (ولادة ابن زيدون) تحت عنوان : درة قرطبة ، في العدد السابع — ايلول — السنة الثانية .

حول اعلام المنجد

رد على تصحيح

بقلم : رشاد علي اديب

قرأت في العدد الثامن من مجلة المعرفة مقال (اعلام المنجد) للاستاذ منير العمادي وهو بحث قيم صحح به بعض ماورد في ملحق المنجد وهو معجم لأعلام الشرق والغرب من اخطاء لغوية وتاريخية وقد أصاب بسائر تصحيحاته الا ماسأذكره هنا توضيحاً للحقيقة وتنبيهاً الى الصواب .

١ ـ جاء في الصفحة ١٢٨ من المعرفة قوله :

وفي ص ١٣٩ **يقول الجلاح من غير تشديد اللام والصواب بضم الجيم وتشديد اللام وهو أحيحة بن الجلاح الشاعر :**

ان ما جعله الاستاذ العمادي خطأ هو الصواب **فابو عمرو احيحة بن الجلاح الاوسي** شاعر جاهلي من دهاة العرب وشجعانهم وسادتهم واغنيائهم وهو صاحب الاطمين المشهورين : المستظل : في المدينة و: الضحيان : في ظاهرها وجمع الاطم بضمتين آطام .

واحيحة بضم الهمزة وفتح الحاءين بينهما ياء ساكنة تصغير أحة وهي حرارة الغيظ والاح بتشديد الحاء مصدر اح بمعنى سعل والاحاح العطش والغيظ وحزازة الغم كالاحيحة والاحيح وابوه الجلاح بضم الجيم بعدها لام مخففة من الجلح بفتح الجيم واللام وهو انحسار الشعر عن مقدم الرأس واستعار ابن الرومي الجلح لمعنى البياض فقال :

والصبح اجلح لا أحم : أي أبيض لا أسود.

ويأتي الجلاح بمعنى السيل الجراف وفي القاموس

اليه فليغفر الاستاذ الجليل لأهل الفن نزواتهم .. فالفن نزوة مستمرة تحمل صاحبها على الانطلاق من الحدود والقيود .. وان في العطر الاموي الذي ولدت فيه هذه القصة نماذج كثيرة لهذه النزوات التي لم ينكرها روح مصر ، ولم يضق بها الشعر .

وأما ان يكون بعث هذه قصة في الحين الذي نستوحي فيه تراثنا القديم ليعانق ونبتنا ويذكي فينا روح الاقدام ، ذنب أنا متفق مع الاستاذ في هذه النظرة ، اذا كانت المسرحية ترمي الى تشويه مقصود .

وأرجو ان يبعد الاستاذ هذا الظن عنه ، وقد أبعده ! ويغفر لنا هذه النزوة الفنية ، وكم للفن من نزوات يعتبرها المؤرخون سيئات ، وهي ـ عند أهل الفن ـ حسنات .

المحيط للفيروزابادي وكغراب السيل الجراف ووالد أحيحة .

واخبار احيحة مفصلة في الاغاني لأبي الفرج الاصبهاني وفي محاضرة المرحوم الاستاذ عبدالقادر المغربي رئيس المجمع العلمي الاسبق وهي محاضرة قيمة القاها في ردهة المجمع العلمي عام ١٩٢١ وكان حينئذ عضواً فيه .

ومات أحيحة عام ٥٦٠ ميلادية أي قبل الهجرة النبوية بستين سنة .

٢ — وجاء في الصفحة ١٣٠ من المعرفة قوله في ص ٢٣٤ : **يقول عن احدى سور القرآن سورة الزمر** بضم الزاي وفتح الميم والصواب بضم الزاى وضم الميم .

وهذا التصحيح خطأ أيضاً صوابه كما ورد في ملحق المنجد : **الزمر** بضم الزاي وفتح الميم **جمع زمرة** بضم الزاي بعدها ميم ساكنة وهي الفوج والجماعة في تفرقة وسميت سورة الزمر لقوله تعالى فيها : «**وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا**» أي جماعات مرتبة حسب افضليتهم وسميت ايضاً سورة الغرف كما في الاتقان للسيوطي والكشاف للزمخشري وروح المعاني للآلوسي وذلك لقوله تعالى فيها : « ولكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف » .

وجاء في الصفحة الآنفة الذكر : وفي ص ٢٥٠ عند ذكر السدير قصر في الحيرة وسمي بذلك لكثرة شجره ونخله وهذا وهم وغلط فالسدير كلمة معدولة عن كلمتين فارسيتين سه ومعناها ثلاثة ودر بفتح الدال ومعناها باب أي القصر ذو الثلاثة الابواب هذه هي حقيقة قصر السدير التاريخية والصحيح ان الامرين واردان بسبب تسميته وقيل لأن العيون تسدر منه أي تتحير لكثرة سواده وشجره كما في معجم البلدان لياقوت الحموي وقد جاء فيه ايضاً ان السدير قصر قريب من الخورنق كان النعمان الاكبر اتخذه لبعض ملوك العجم وجاء فيه واصله في الفارسية سه دله أي فيه قباب متداخلة وقال الأصمعي سه دل أي قبة فيها ثلاث قباب وهذا الذي تسميه الناس اليوم سدلى فعربته العرب فقالوا سدير ومن معاني السدير مستنقع الماء ونهر بناحية الحيرة وارض باليمن منها البرود.

٤ — وجاء في صفحة ١٣٢ من المعرفة قوله وفي ص ٢٩٣ يذكر الشهداء بهذا النص هم في لبنان الوطنيون الذين **أعدمهم جمال باشا الخ** ولم ينتقد قول واضع أعلام المنجد : **أعدمهم:** لأنه مشتق من الاعدام وهو الفقر والفاقة ولا يأتي بمعنى القتل والشنق **والصواب أن يقول : قتلهم : أو : شنقهم** : وقد وقع الأستاذ العمادي بنفس الخطأ مرتين اذ قال في تصحيحه ـ ولم يذكر احداً ممن أعدموا في سبيل التحرر من غير العثمانيين غير اللبنانيين ثم هل كان الذين أعدموا – وبالصواب أن يقول ممن قتلوا : الخ : وهل كان الذين قتلوا : الخ

هذا ما اردت ان أنبه اليه من التصحيح والتنقيح للوقوف على الحقيقة وأراني بعد ذلك مضطراً لايراد نبذة عن تاريخ جبلة وابراهيم

ابن أدهم المدفون فيها على رأي بعض المؤرخين وان خالفهم آخرون وقد دعاني الى هـــذا الاستطراد ما صححه الاستاذ العبادي بنفس المقال المنوه به وقد أصاب بتصحيحه اذ قال :

وفي ص ١٣١ عند ذكر جبله يقول مدفون فيها ابراهيم بن الادهم والصواب ابن ادهم بغير تعريف ولم ينبه الى الخطأ الوارد بتسكين باء جبله . وما كنت لاعنى بايراد هذه النبذة التاريخية لولا ان جبله بلدي وسلطان الزاهدين ابراهيم بن ادهم مدفون فيها وهو عالم جليل وسأختصر ما امكنني الاختصار فاقول :

جبله محركة كما في القاموس المحيط ومعجم البلدان وتسكين بائها خطأ شائع ولم تسم باسم جبله بن الايهم الملك الغساني المشهور لانه بناها كما يقال فاسمها وبناؤها قبل ابن الايهم بأمــد طويل ولسان العرب ذكر ابن الايهم بالتعريف وذكره القاموس المحيط بدون تعريف وهو بالتعريف اشهر والدليل على قدم جبله الملعب الروماني الذي لا يزال ماثلا فيها بجانب القلعة الرومانية .

وجبله اسم لعدة مواضع فموضـــع بالحجاز وموضـــع بنجد وفيه شعب جبله الذي جرت بموقعة تاريخية بين بني عامر وتميم فانهزمت تميم . وقرية لبني عامر بن عبد القيس بالبحرين وحصن بتهامة كما في معجم البلدان . قال ياقوت وجبله ايضاً قلعة مشهورة بساحل الشام من اعمال حلب قرب اللاذقية فلما فرغ عبادة بن الصامت من اللاذقية عام ١٧ للهجرة وكان قد سيره اليها ابو عبيدة عامر بن الجراح وردفيمن معه على مدينة تعرف ببلدة على فرسخين من جبله ففتحها عنوة ثم انهـــا خربت وجلا عنها اهلها فانشأ معاوية جبله وكانت حصناً للروم جلوا عنه عند فتح المسلمين حمص وشحنها بالرجـــال وبنى معاوية بجبله حصناً خارجاً من الحصن الرومي القديم وكان سكان الحصن القديم قوماً من الرهبان يتعبدون فيه على دينهم وحين قوي الروم اخذوا جبله عام ٣٥٧ بعد وفاة سيف الدولة بسنة ولم تزل بأيديهم الى عام ٤٧٣ فان القاضي ابا محمد عبد الله بن منصور بن الحسين التنوخي المعروف بابن صليحة قاضي جبله وثب عليها واستمان بالقاضي جلال الدين بن عمار صاحب طرابلس فتقوى على من بها من الروم واخرجهم منها الى ان قال ثم ملكها الفرنج عام ٥٢٠ ﻫ في الثاني والعشرين ذي القعدة من يد فخر الملك الى ان استردها الملك الناصر صلاح الدين بن ايوب في سنة ٥٨٤ ﻫ تسلمها بالامان في تاسع عشر جمادى الاخرة ثم ذكر اسماء فقهاء ومحدثين من ابنائها .

تصحيح

● وقع في العدد الماضي خطأ في عنوان الاستاذ زكي قنصل فقد ورد في الفهرس على انه في **سان باولو** ـ والصواب في **بونس آيرس** عاصمة جمهورية الارجنتين فاقتضى الاشارة .

- « اللهجات الشائعة في اللغة العربية » بقلم العلامة محمد رضا الشبيبي
  التراث الشعبي ـ بغداد

- «القصة العربية الحديثة في الادب الروسي» تقديم وتعليق نجاتي صدقي
  الرائد العربي ـ الكويت

التراث الشعبي ـ بغداد

صدر العدد الثالث من مجلة «التراث الشعبي» التي تصدر في بغداد ويرأس تحريرها الاستاذ ابراهيم الداقوقي وسكرتيرها الاستاذ لطفي الخوري، وهي مجلة جديدة تعنى عناية خاصة بالتراث الشعبي، ومن موضوعات هذا العدد: الميثولوجيا العربية لرئيس التحرير، اللهجات الشائعة في اللغة العربية للعلامة الشيخ محمد رضا الشبيبي، الفتوة الشعبية للدكتور محمد جواد، مقتطفات من رحلة فريز، لجعفر الخياط، من الفاظ الضرب في سامراء لعامر رشيد السامرائي، صورة من التعليم والقراءة في الجيل الماضي لجعفر الخليلي، الامثال العربية والتراث الشعبي «٣» لابتسام مرهون الصفار، الملعبات لابراهيم الداقوقي، الفكاهة في الزجل والقويض لعبدالحميد الكنين، التقاليد من بغداد وكركوك لشاكر صابر الضابط، الشيخ مهدي الخضري لمحمد هادي الاميني، علم الفولكلور ـ حكايات الجن «٢» للطفي الخوري، العاب الاطفال في جنوب العراق لعلي الخاقاني، حكاية شعبية من ايران لاحمد عبد الكريم،

السعلاة في اساطيرنا الشعبية «٢» لعبد اللطيف القصاب ، من عيون الشعر الشعبي «الموال العراقي» لأبي الثناء الآلوسي .

وقد اخترنا من مقال الاستاذ محمد رضا الشبيبي الذي يحمل عنوان «اللهجات الشائعة في اللغة العربية» مايلي : في هذه المرحلة العصيبة اخذت تنشق عن الفصحى لهجات متعددة ، وهذه اللهجات وان لم تتغلب على أمها في الكتابة وفي التأليف غالباً الا انها طغت عليها في المخاطبات العامة الشائعة في المنزل والسوق وفي المصانع والمتاجر والمزارع أي في مجالات الحياة العملية والشؤون اليومية فأصبح لكل قطر من هذه الاقطار المأهولة بالعرب لهجة الخاصة .

ومن ثم ظهرت العناية بدراسة اللهجات في العصور الحديثة وكان للمعنين بهذا الموضوع نظرتهم العامة الى اللهجات اذ يرون ان لها على اختلافها وتشعبها حياتها واستقلالها وقد ينكرون رأي من يرى ان اللهجات العامية او المحلية لغة حادثة محرفة عن الفصحى مثلاً وتوسعوا في هذا المعنى حتى ذهبوا الى تأسيس علم جديد سمي «علم اللهجات» وموضوعه وصف اللهجات والتعريف بها والبحث عن صلتها بالآلام التي انشقت عنها قائلين ان في درس احط اللهجات المحلية او العامية تمتاز فيما تتميز به لكونها لهجات طبيعية بعيدة عن التكلف والتصنع خالية عن التقصر والتمزلق مجردة عن الصناعة اللفظية الى غير ذلك مما يلاحظ وجوده في اللغات الادبية الفصيحة، لغات التأليف والكتابة ، ولذلك نجد بعض الباحثين من علماء الفرنجة ومقلدين من الشرق ينادون بضرورة المحافظة على اللهجات العامية الشائعة ويعنون بالبحث في لهجات اهل البادية البعيدة عن العراق بل نراهم يأسفون لما عسى ان يطرأ عليها من عوامل الانقراض والاضمحلال.

على ان اغراض الباحثين في اللهجات ليست واحدة كما لايخفى ، فنهم من يعني بدراسة هذه اللهجات الشائعة وتدريسها ومحاولة التأليف والكتابة فيها واستنباط قواعد وضوابط نحوية وصرفية لها مجاراة لآراء من يرى ذلك من الباحثين في اللهجات واستجابة لمذهب من يتجنى منهم على الفصحى ويلصق بها ضرباً من الصعوبة والجمود والفصحى بريئة من ذلك لو لاذ هؤلاء الباحثون بالجد والصبر على الدراسة ، وخلاصة القول للاوربيين ولمقلديهم من الشرقيين اوهامهم الشائعة في صعوبة تعلم العربية وقد يغالي بعض المتعصبين الغربيين فيزعمون ان اتقان العربية فوق الطاقة البشرية ولهؤلاء نقول كيف تسنى اتقان العربية لجمهرة من اعلام الادب واللغة الخالدين .؟

ويقول الكاتب في ختام مقاله : هذا ومنهجنا في هذا الموضوع من مواضيع البحوث اللغوية وسط بين فريقين ، فريق المتمنطقين الجامدين وفريق المقلدين المتهافتين على كل جديد والمتحاملين على كل قديم وهذا المنهج يقوم على امرين :

١ ـ ضرورة المحافظة على تراثنا اللغوي خصوصاً في تأليف الجملة واساليب التعبير .

٢ ـ العناية بتنمية اللغة وتجديدها وتكثير مواردها بطريق الاشتقاق والتعريب وزحزحتها عن خطة الجمود في هذا الشأن وذلك ليجد الدارسون والباحثون والمترسلون في العربية مايجدونه في غيرها من اليسر والمرونة الضرورية في التعبير عن ادق الخواطر والآراء والخوالج الروحية ولذلك يجب فيما نرى التوفيق بين الامرين فلا نستنكر التجديد والاصلاح بحجة المحافظة على تراثنا القيم من العربية .

نحن لانرى في هذا المنهج الوسط خطراً على لغة الضاد وانا نرى الخطر كامنا في تخلف العرب انفسهم عن مواكبة الامم الناهضة سياسيا واجتماعياً واقتصاديا فلا بدع اذا تخلفت لغتهم او تضاءل اقبال شبابهم عليها تبعا لذلك . فاللغة عنصر من العناصر الجوهرية الاصيلة في حياة الامم تنهض بنهوضها وتسف باسفافها لاشك في ذلك ، والواقع ان تضلع الشباب العربي هذا اليوم من لغتهم وادابها يؤدي بهم غالباً الى الحرمان ولايحقق لهذا الشباب العربي النابه مرتزقاً معقولا يعيشون من ورائه عيشة راضية كما يحقق لهم ذلك خدمة او اتقان لغة من هذه اللغات الفرنجية لا لان العربية فقيرة غير قابلة للنمو والتجدد في حد ذاتها ، بل لان الناطقين بها فقراء متخلفون كما ان غيرهم من الناطقين بلغات الفرنجة اغنياء موسورون .

بناء على ذلك يتحتم على زعماء العرب وقادة الرأي فيهم ان يعنوا بعلاج المشكلة من الاساس. عليهم ان يبدأوا باصلاح احوالهم العامة عليهم ان يبدأوا بالاصول فان اصلاح الاصول يؤدي حتما الى اصلاح الفروع .

الرائد العربي ـ الكويت

تصدر هذه المجلة في الكويت ، وهي مجلة ذات اختصاص اقتصادي . على انها تنشر في زوايا متعددة جميع مايمت الى الفكر بصلة، وقد اخترنا من عدد تشرين الثاني الماضي مقالا للاستاذ محاتي صدقي بعنوان « القصة العربية الحديثة في الادب الروسي » فقد اصدرت دار النشر للآداب الاجنبية في موسكو ترجمة المختار من كتاب القصة العربية ، وقد قدم لها الناقد الادبي الروسي يوري ناكيينا ببحث قيم ، وقد اورد الاستاذ صدقي بعد مقدمة وتحليل للكتاب المقدمة نفسها ويهمنا هنا ان نقتطف منها مايلي :

لاتزال القصة العربية حديثة العهد ، فقد ظهرت في الثلث الاخير من القرن الماضي ، وراحت تنزع الى الواقعية بعد ان قضت فترة طويلة من الزمن وهي ترسف في قيود النفحات المتأخرة للرومانسية والعاطفية الاوروبية . بالاضافة الى تقيدها بالطرق الكلاسيكية الغربية التقليدية ، النزاعة الى المبالغة في التعبير عن الاحاسيس.

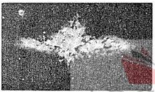
أفرد القصاصون العرب في الاتجاه الرومانسي العاطفي صفحاتهم الى اناس من العامة ، في حين كانت هذه العامة في نأي عن الادب ، وراحوا يصبون في قصصهم جامات الغضب على السيادة الاجنبية،ويحثون العرب للسعي الى نيل الاستقلال.

منجزات العلم

● اعظم انفجار طبيعي في تاريخ الكون

يقدمها : متري حمادة

على بعد عشرة ملايين سنة ضوئية عن ارضنا تقع مجرة م ــ ٨٢ وهي احدى ملايين المجرات التي تشبه مجرة درب التبان . وقد لاحظ علماء الفلك ان هناك مقادير هائلة من الاجسام التي تبدو كالغبار تحيط بالمجرة وتتحرك باستمرار حركة دائرية بين ملايين الاجرام السماوية . ويعتقد علماء الفلك بان انفجارا مريعا وقع في قلب هذه المجرة . وبعد جهود جبارة تمكن الدكتور ألان سانديج وهو فلكي يعمل في مرصد كالتش من اخذ صورة لهذا الانفجار الذي وقع في هذه المجرة ويعتبر اعظم انفجار في تاريخ الطبيعة . وكان ذلك بواسطة تلسكوب بالومار الذي تبلغ عدسته مائتي بوصة . ويقول الفلكي المذكور ان الغليان الذي أدى الى هذا الانفجار بدأ قبل اكثر من مليون ونصف من الاعوام ولا يزال في عمليــة تفجر حتى الان . اما اسباب هذا الانفجار المروع فمجهولة . ويعتقد علماء الفلك ان في المجرة بلايين النجوم وان هنالك غازات تسير بسرعة لايتصورها العقل . ولكن لم يكن



العلماء الفلكيون يتصورون امكانية وجود طاقة تحدث مثل هذا الانفجار الذي يعدل انفجار عدة ملايين من النجوم .

وتمكن العلماء بواسطة هذه الصورة التي اخذت للانفجار الذي وقع في مجرة م ــ ٨٢ من الحصول على الادلة على وقوعه واسراره . فقد تبين للدكتور ليندر بعد فحص الصورة ان ركام الهيدروجين الذي تفجر امتد حتى بلغ عشرة الاف سنة ضوئية . وكان من نتائج هذا الانفجار ان اختفى مركز المجرة واختفت معه اسبابه . غير ان اطراف المجرة لم تتأثر . ويعتقد علماء الفلك ان دراسة المجرة م ــ ٨٢ قدتساعد

على معرفة المكان الذي نشأت فيه احدى القوتين الهائلتين في الكون .

ويقول علماء الفلك ان كثيرا من هذه المجرات ترسل امواجا صوتية يمكن التقاطها من على الارض بواسطة الراديو تلسكوب . ويظن ان الالكترونات التي تتحرك بسرعة هائلة هي مصدر هذه الاشارات ولكن مصدر الطاقة الهائلة لايزال مجهولا . وقد تؤدي دراسة هذه المجرة بواسطة التلسكوبات العظيمة القائمة على الارض او في الاقمار الصناعية الى اثبات كون مصدر هذه الامواج الصوتية هي الانفجارات المستمرة في هذه المجرات . ويظن الدكتور ساندييج ان انفجاراً مماثلا قد يكون وقع في مجرة درب التبان . ولكن المجموعة الشمسية التي منها ارضنا لم تتأثر لبعدها الهائل عنها فلم تتعرض للخطر .

المعرفة - راجع في باب العلوم - العدد الماضي - مقال المهندس الاستاذ وجيه السمان .

• عمل هندسي خارق

كانت مدينة دويزبرغ الالمانية الغربية طوال الثاني سنوات الماضية تهبط باستمرار وقد كان السكان يهللون لكل بوصة تهبطها مدينتهم . والواقع ان عملية الهبوط كانت تتم نتيجة عملية هندسية خارقة وجبارة تستهدف انقاذ حياة



المدينة . كانت متاعب المدينة قد نشأت عن طريق نهر الراين . فتجارتها تسير بواسطة هذا النهر الذي هو بمثابة شريان الحياة فيها . لقد بدأ النهر منذ سنوات عدة في الهبوط نتيجة لعوامل طبيعية شتى . وكان من جراء التسوية التي تمت في مجرى النهر ان بدأت مياهه تجري بسرعة فائقة الامر الذي ادى في النهاية الى هبوط مستوى النهر ، فنشأت تعرجات وفجوات أدت الى هبوط مستواه اكثر فاكثر فنتج عن ذلك نقص في عمق مياه الميناء وضحالة اضرت بحركة النقل التجارية .

ورأى المهندسون انهم اذا عمدوا الى تعميق النهر فسيؤدي ذلك الى بقاء ارصفة الميناء اعلى من المستوى المطلوب . ولهذا كان لابد من اتخاذ خطوة جريئة وهي ان يعمدوا الى عملية هندسية

تهبط معها المدينة ولقد اكتشف المهندسون لحسن حظ المدينة انها تقع فوق ثلاث طبقات من الفحم الحجري . ووجد المهندسون انه اذا استخرج الفحم بطريقة صحيحة فستهبط الارض وتهبط معها منطقة الميناء بمقدار سبعة اقدام ونصف. وبهذا يمكن استخدام نهر الراين مرة اخرى. وقدرت كمية الفحم الموجود تحت المدينة بمبلغ مائة وخمسين مليون دولار وهكذا يمكن دفع التكاليف . وبدأت العملية الهندسية الخارقة سنة ١٩٥٥ وهي سائرة حسب الخطة المرسومة وبنجاح كبير ، وتبلغ مساحة المناطق والشوارع والارصفة والمتنزهات والمصانع ميلا مربعاً ونصف الميل .

• قطار يعمل على الهواء



تمكن مخترع اسمه كريستوفر كوكرل من صنع نموذج لقطار جديد يعمل على الهواء . ويتوقع العلماء ان يؤدي هذا الاختراع اذا كتب له النجاح ، الى ثورة في عالم النقل . والقطار يتكون من اطار من الحديد الملبس بالزجاج طوله عشرون قدماً في ستة ، ومزود بقاطرة رولز رويس وبمقعد من اجل السائق . واطار القطار يسير على طريق ملس محدب اقيم في حقل بالقرب من مدينة هايثا في انجلترا . فعندما يدور الموتور يدور معه مروحة تتجه الى اسفل وتوجد طبقة من الهواء كافيه لرفع الاطار نصف بوصة فوق الطريق . واذا مانجحت التجارب التي يقوم بها المخترع كوكرل فسيوضع الاطار داخل قمرة او غرفة مغلقة مزودة بمقاعد يمكن أن تصبح القطار الهوائي الذي يرتفع عن سطح الارض بفعل طبقة الهواء التي توجدها المروحة الخاصة ويمكنه استيعاب (٦٠٠) راكب . ويعمل القطار الطائر هذا على مبدأ الطائرات النفاثة وسره يكمن في نصف البوصة من الطبقة الهوائية . واستخدم طريقته هذه في صنع قوارب مائية تعمل بنفس مبدأ القطار وتمخر اليوم عباب الطرق المائية

الانجليزية . وتحـاول الشركات الاميركية والانجليزية استثمار اختراع كوكرل . ولكن العمل في مرحلة تجريبية لهذا لايمكن لهذه القوارب ان تمخر عباب البحار ولكن الكثيرين تمكنوا من نقل الركاب عبر الانهار طوال الصيفين الماضيين دون اي حادث مزعج . ومنذ النجـاح الذي احرزه كوكرل في صنع القوارب المائية ، وهو يحاول ان يستخدم اختراعه في صنع وسائل السفر الارضية . ولكن الاختراع لايزال في مراحله الاولى وقد يتطلب النجاح سنوات عدة . واذا مانجح في فكرته فيكون ذلك ثورة في وسائل النقل البرية وتسهيل المواصلات في المدن المزدحمة والمطارات المكتظة .

• الالات الفنانة :

من المعلوم أن الآلات الحاسبة تقوم اليوم باجراء عمليات رياضية باسرع مايتخيله الانسان . ولكن لم يكن يتصور أن تقوم هذه الآلات الحاسبة بالرسم ونظم الشعر .

فقـد تمكن روبرت متشل وهو مهندس وباحث علمي يقطن في مدينة اوهايو من صنع آلة حاسبة مزودة برقاص متأرجح يشبه رقاص الساعة . ويرسم الرقاص في اثناء حركته رسوماً واشكالا هندسية متناسقة جميلة .

وقـام مهندس آخر يدعى كلير فيليبي من مهندسي شركة R C A للآلات الحاسبة ، بمحاولة طريفة لصنع آلة تنظم الشعر . فزود احدى هذه الآلات بمائة وثلاث كلمات مقسمة الى مجموعات حسب الحروف الابجدية . وطلب الى الآلة بان تختار كلمة من كل مجموعة دون تعين . فكانت النتيجة قصيدة موزونة اليك ترجمة بعض اباتها :

عندما تبدت الحياة الشريرة في الوجوه الباهتة

واستمر القضاء يرنو الى الاجساد الكسلى

واخذت الكواكب تنظر بخبث الى عظماء الرجال

عندهـا خبت ابتسامة العاطفة .

المعرفة — لاشك أن هذه الآلة الطريفة شاعرة من الطراز التجريدي.



وفي بيروت مهرجان للسينما

بقلم صلاح دهني

مثلما للشعر مهرجاناته ، وللرسم معارضه ، وللمسرح احتفالاته ، كذلك فلفن السينما هذه اللقاءات السنوية تجري هنا وهنالك في انحاء العالم .

واذا كانت مهرجانات السينما تزدهر هذا الازدهار الذي نرى ، فتتكاثر عدداً وتنمو وتتحسن ، فلأن فن الفيلم جماهيري بطبعه ، عالمي بتركيبه ، يتوجه في كل اثر من آثاره الى اوسع طبقات الشعب حيثما كانوا على وجه البسيطة ومهما كانت اللغات التي ينطقون بها . وان هذا الازدهار الا صورة للوعي المتزايد لقيمة السينما ولأهميتها كأداة لنقل الثقافة والمعلومات .

ومهرجان بيروت الذي شهدته ، مع الدكتور ابراهيم الكيلاني ، فيما بين ١٩ ـ ٢٧ تشرين الاول الفائت ، ممثلين الجمهورية العربية السورية ، يعتبر أحد المهرجانات الجديدة التي أثبت استمرارها نجاحها وقابليتها للازدهار والتحسن .

فمهرجان بيروت يقام للسنة الثالثة على التوالي ، وفي حين اشتركت في السنة الفائتة ثلاث عشرة دولة ، فقد اشتركت هذه السنة عشرون ، بينها الدول الكبرى من شرقية وغربية . وقد عرض في مهرجان هذا العام الذي وضع تحت رعاية السيد رئيس الجمهورية اللبنانية ، حوالي ٤٨ فيلماً بين طويل وقصير .

ولا ينكر منظمو المهرجان الجانب السياحي من مهمتهم ، اذ أن الجمعية التي تشرف على المهرجان تدعى في الاصل «جمعية تنشيط السياحة والاصطياف» وهي شبه مؤسسة حكومية ، غير أن مما لا شك فيه أن العمل بذاته عمل ثقافي بالدرجة الاولى اخذ يجد اصداءه شيئاً فشيئاً في مختلف الاوساط في البلد الشقيق وبدأ يدخل في عاداته وتقاليده .

على أن المهمة الخيرة التي أداها مهرجان بيروت السينمائي الدولي لم تقتصر فائدتها على القطر اللبناني ،

بل انها بجملها افضل ما انتجته العبقريات السينمائية في العالم الى قلب الوطن العربي قد اتاحت الفرصة امام ابناء هذا الوطن ومثقفيه للاتصال عن قرب بفن القرن العشرين والوقوف على افضل مستحدثاته.

وقد تميزت الافلام المعروضة ، لا بالجدة والعذرية التي تفرضها انظمة المهرجانات العالمية ، بل بأنها قد سبق عرضها في المهرجانات الكبيرة الاخرى وتفوقت فيها على غيرها ، وحازت في الاغلب أعلى الجوائز الممنوحة فيها . ففيلم « كلمة شرف » البرازيلي نال الجائزة الكبرى في مهرجان « كان » ١٩٦٢ ، وفيلم « الفهد » الايطالي نال الجائزة الكبرى في كان لعام ١٩٦٣ ، وفيلم « ٨ $\frac{١}{٢}$ » الايطالي نال الجائزة الكبرى في موسكو ١٩٦٣ ، وفيلم حفلة زواج الفرنسي نال جائزة اوسكار امريكية .

لهذا كله يمكن أن يقال بأن مهرجان بيروت السينمائي يمكن أن يدعى « بمهرجان المهرجانات » .

ماذا كان نصيب البلاد العربية من المهرجان ؟

لقد زاد اشتراك البلاد العربية على نحو واضح . ولوحظ غياب لبنان ـ البلد المضيف ـ عن برنامج المهرجان ، فلم يقدم أي فيلم طويل أو قصير (الامر الذي يدحض الفكرة القائلة بعدم اشتراكنا في المهرجانات بعد الآن الا بعد بدئنا بانتاج افلام طويلة ، فالمهم هو اثبات كيان القطر العربي السوري في كل مجتمع دولي . شأن كندا التي تشترك في جميع المهرجانات الدولية والاقليمية وعددها حوالي العشرين كل سنة ، مع أنها مشهورة بانتاجها الافلام القصيرة فحسب) .

ولأول مرة منذ تأسيس المهرجان اشتركت الجمهورية العربية المتحدة بفيلم طويل هو « الباب المفتوح » وفيلمين قصيرين . وأثار هذا الاشتراك جدلا عنيفاً ماتزال اصداؤه تتردد في الصحافة اللبنانية حتى الآن ، ومرجع ذلك الى سببين :

١ ـ مقالة بالغة الشدة نشرتها جريدة الاهرام غداة افتتاح مهرجان بيروت ، وتنتقد المهرجان وادارته وافلامه لاذع الانتقاد .

٢ ـ ان الوفد المصري المؤلف من تسعة اشخاص لم يحضر من افلام المهرجان سوى حفلة الفيلم المصري فقط حسب قول تلك الصحف .

وقد اشتركت المغرب بفيلم قصير ، وتونس بفيلمين قصيرين ، وكان هنالك ممثلون للاردن والكويت والسودان وعدن والعراق .

اما الجمهورية العربية السورية التي تشترك في مهرجان بيروت للسنة الثانية فقد قدمت فيلمين قصيرين هما « الآثار العربية في سورية » بالالوان و « اسرار الجبال » . وقد كان لهما وقع طيب ووصفا من قبل كبار النقاد الاوربيين الحاضرين بأنهما « من مستوى مشرف » وبأنهما يشكلان اساساً طيباً للعمل السينمائي في بلاد نامية » .

هذا ، واذ كانت الصحافة اللبنانية ، في جزء منها ـ ولاسباب يمكن تقديرها ـ قد حاولت تجاهل اسم سورية في المهرجان (وخاصة بعد حادثة الحدود التي وقعت في اليوم الاول للمهرجان وبسبب التأخير الذي حصل في تثبيت اشتراك سورية) فلم يمنع ذلك من ان يكون ممثلا سورية قد دعيا لحضور جميع وجوه النشاط اليومي ، كما واظبا على حضور الافلام بمعدل اثنين او ثلاثة

←

يقدمه حسن كمال

الجمهورية العربية السورية

معرض الخزف الاميركي المعاصر

اقيم في أواخر الشهر المنصرم معرض الخزف الاميركي المعاصر تحت رعاية السيد وزير الثقافة والارشاد القومي وذلك في جناح المعارض من المتحف الوطني والمعرض المذكور يعتبر اول معرض اميركي من نوعه في سورية اذ تجلت فيه بوضوح الاتجاهات الفنية الحديثة بأجلى مظاهرها .

وللتبسيط يمكن القول أن المعرض يضم نوعين من الانتاجات الخزفية أولاها الأواني والصحاف وثانيها التماثيل .

وتمتاز الاواني والصحاف بأشكالها وألوانها التي تحمل طابعا جديدا في عالم الخزف ، وهي المرة الاولى التي تشهد فيها مدينة دمشق معرضا تطور فيه الخزف الى هذا الحد . وبالرغم من أن

→

في اليوم الواحـد واشتركا في طاولة مستديرة محدودة عقدتها جريدة « الاوريان » ونشرت في ملحقها الادبي ، وأقام المخرج اللبناني جورج نصر على شرف الوفد السوري حفلة غداء كبرى في طرابلس حضرتها وفود الدول وحضرها من طرابلس لفيف من كرام الشخصيات الفكرية .

وكذلك فقد سجلت الاذاعة اللبنانية مقابلة مع الوفد السوري حول النشاط الفني والسينمائي في سورية .

ان مهرجان بيروت الذي ضم نخبة من ارقى الافلام التي ابدعها الفكر الانساني خلال السنتين الفائتتين ، وجمع باقة من النجوم : فاتن حمامة ، عمر الشريف ، أحمد رمزى ، أحمد مظهر ، فيتوريو غاسمان ، جورجيـــا مول ، كورين مارشان وآخرين من الهند والبرتغال ، وباقة من كبار المثقفين : جورج سادول الناقد السينمائي الكبير، أيفون بابي من جريدة لوموند، مار كوريل من كراسات السينما وسايت أند ساونـــد ، وموسكوفيتش من « فاريتي » الامريكية ، والمخرج الفرنسي لوي مال . .. هذا المهرجان في طريقه لان يصبـح احدى المناسبات الثقافية الكبرى في الشرق ، خصوصاً بعد ان ينتهي من فترة (الرواداج) التي يمر بها منذ انشائـــه ، وتعترف بوجوده « رابطة المنتجين السينمائيين » وتمنحه الحق في منح جوائز ذات قيمة عالية .

أما ماذا يكون نصيبه بعد ان تجري القاهرة مهرجانها السينمائي الدولي في شهر آذار المقبل ، فهذا ماسينبئنا به المستقبل !



طوطم يبكي لذكرى ضائعة

للفنان روبرت سبيري

القطع التي ساهمت في هذا المعرض لم تخل من الطرافة والجدة فان عددا منها كان فيه خروج عن المألوف فيما عرفناه في هذا الميدان كما في القطعة التي قدمها الفنان « وين بنج » والمصنوعة من الطين الفروي أما القطع التي قدمها الفنانان « نان وجيمس ماك كيتل » والتي تستعمل عادة للمشروب التقليدي المعروف بالنبش تلك القطع ذات اللون الرمادي والاحمر المحلاة بالخطوط البيضاء فهي من روائع معروضات الخزف وهي تجمع بين القديم والحديث ،القديم بأشكاله والحديث بتقنيته وألوانه . يضاف الى هذه المحسنات ما استهدفه الفنان في التعبير عن عادة قديمة عند الاميركيين وهي احتساء النبش .

واذا انتقلنا الى الفنان « فرانز ويلدونهن » رأينا انتاجه ـ المزهريات ـ التي أقل مايقال أنها رشيقة الشكل وانسيابية الخطوط متآخية الالوان فالاسود والاحمر موزعة توزيعا متوازنا ، ولا تقل مزهرية الحدائق التي ابتكرها « روبرت تورنر » عن سابقتها فهي مؤلفة من ثلاث قطع قابلة لتوضع الواحدة فوق الاخرى وكل واحدة منها تحمل ثقبا كبيرا يمكن ان تنطلق منه باقة جميلة . وهذه القطعة تشبه من حيث المبدأ زميلتها التي ابتكرها « اولات روسوم » التي يبدو واضحاً فيها عنصر الاصالة والجرأة وتتميز الاواني التي قدمها كل من « فيفيكا واوتو هينو » تتميز بزخارفها وعفويتها واصالتها في حين ماقدمه « بني وفينز » من القطع الحلوة توصف بالغرابة وارتياح العين لرشاقة خطوطها وليونتها وخاصة حاملة الازهار. اما الفنانون « روبرت واوتونانزلروجيرتورد » فتتسم انتاجاتهم بطرافة اشكالها وامكانية استعمالها المزدوج للزينة والاستعمال اليومي الى جانب قيمتها الفنية العالية بينما نرى في اعمال « رودي

أوتو » أشكالا فيها روح الابتكار المحبب فالاناء يبدو للناظر وكأنه خارج من ورشة ترميم لكثرة مافيه من القطع الموضوعة فوق بعضها البعض أو بجانب بعضها البعض والمهارة في عمله هذا هو حفاظ القطعة على رشاقتها وشفافية ألوانها المفرحة .

ولعل القطعةالتي تلفت النظر من كافةوجوهها هي تلك الآنية المصنوعة في هيئة امرأة جالسة والتي استعملت ايضاً كاناء تملأه الثقوب والتزيينات العفوية والتي يرى فيها مبدعها « بيتر . ه . فولكوس » أنها تعبر عن الحركة الدائمة .ومهما قلنا عنها فلا يمكننا ان ننزع عن صاحبها عنصر الجرأة والقوة والابداع وخاصة استعماله فيها رقائق من الحديد بشكل جديد .

أما « هنري تاكيموتو » فقد ساهم في هذا المعرض بقطعتين رائعتين جداً احداهما وعاء مرتفع رقيق من الفخار قام الفنان بطلائه طلاء زجاجياً وزخرفه بقطع رقيقة من كوبالت النحاس وأوكسيد الحديد يزيد ارتفاعه عن المتر وهو غني جداً بالزخارف النباتية .

أما الجانب الثاني من المعرض فقد ضم العديد من التماثيل التيتبدوغاية في البدائية وكأناصحابها استوحوها من أساطيرهم القديمة كما في التمثالين اللذين قدمهما الفنان « روبرت سبيري » وخاصة تمثاله « طوطم يبكي لذكرى ضائعة » وقد صنعه الفنان من الفخار وطلاه بمادة خاصة باللون البني وسكب فيه كل ما أوتي من عبقرية وخبرة فجاء تمثاله هذا معبراً بقوة عن تلك الذكرى الضائعة وكأن تلك التجاعيد جاءت تعبيراً عن الزمن اللامتناهي الذي مر على تلك الذكرى .

ومهما تحدثنا عن التحف التي عرضت فلن نفيها حقها لأن كلا منها تستحق بحثا خاصا بذاته لكثرة ما ينفتق عنها من أفكار تكمن في جوانبها العديدة .



مزهرية ــ للفنان . بيتر . ه . فولكوس

وأخيراً فالحقيقة التي لامراء فيها حمل المعرض الينا وجهاً جديداً من أوجه تطور فن الخزف في العالم واطلع جمهورنا على المستوى الذي بلغه الفنـان الاميركي ، وقد استقبله جمهور الشعب السوري بحماس كبير لما فيه من روح التجديد والاصالة.

معرض فن الباتيك للفنانة الاميركية مرغريت كورنليوس

افتتح في المركز الثقافي العربي في دمشق في تشرين الثاني معرض مرغريت كورنيليوس ذلك المعرض الذي تجلى فيه فن الباتيك . وفن الباتيك هذا قديم جداً عرفتـه دول آسيا قبل غيرها من دول العالم . والفن الذي نحـن بصدده لايتطلب عبقرية فنية فحسب بل . ومهارة يدوية ايضاً ويقوم الشمع بدور هـام في اعداد القطع فيه .

وكلمة الباتيك تعني باللغـة الاندونيسية الرسم بواسطة استعمال الشمع والباتيك في جزيرة جاوا يستعمل عادة فوق قماش من القطن او الحرير . ويستعمل الشمع عادة وهو في حالة الذوبان ليتسنى له التمدد من القماش حسب الشكل الذي اعـده الفنان مسبقاً . ويستعمل الشمع عادة لحفظ القماش من امتصاص اللون ، ويتم فن الباتيك حسب المراحل الآتية .

اولا: يرسم أحد الرسوم على قطعة قماش بيضاء .

ثانيا : يقوم الفنان بطلاء اجزاء الرسم التي يريدها أن تبقى بيضاء بالشمع الحار وتصبغ قطعة القماش باللون الاصفر من لون الصباغ الآتي .



لوحة من معرض مرغريت كورنليوس

ثالثاً : تصبغ قطعة القماش بالاحمر (الأحمر مع الأصفر يشكلان اللون البرتقالي) ومن ثم فان اجزاء الرسم التي يراد ان تحافظ على لونها البرتقالي يجب ان تغطى بالشمع ، ويستمر الفنان على نفس الطريقة عند استعماله ألواناً أخرى .

وقد استطاعت الفنانة بهـذه الطريقة ابداع لوحات رائعات تمثل حياة الشعوب التقليدية التي مرت بها خلال جولتها في مختلف بلاد العالم وخلال جولتها هذه حققت ومازال تحقق قطعاً فنية حلوة.

وتمثل القطع المعروضة بعض مظاهر الحياة في البرازيل وبوليفيا والبيرو والمكسيك واميركا الشمالية ومن ثم اليابان وتايلاند والهند والنيبال وايران وقبرص والبرتغال .

فمن المكسيك أعجبت الفنانة بالرقصات الشعبية الرشيقة والملابس التقليدية وفي اليابان اجتذبتها الرقصات الشعبية بما فيها من قوة التعبير ، وقد أجادت فنانتنا في فنها الصعب أجادت ترجمة دقائق ملاحظاتها . وفي تايلاند أبدعت ريشة الفنانة في رسم البيوت الخشبية بكل ما فيها من جمال وابداع هندسي رفيع وكذلك المابد التي تجلت فيها قدوة المهندس التايلندى الى اقصى حد أما من بنيالي فقد نقلت الينا صورة أمينة عن حياة الشعب بنيالي وخاصة حياة الريف بما فيه من طريف في اطاره العائلي . ولعل أكثر مايميز الفنانة هو احساسها القوي بالالوان .

وهكذا استطاعت الفنانة مرغريت كورنيليوس بطريقتها القديمة الحديثة ان تعبر أجمل تعبير عن حياة الشعوب التي التقت بها خلال تجوالها الطويل.

هذا وقد انتقل المعرض فيما بعد الى حلب حيث عرض هناك في المركز الثقافي وستقوم صاحبته بجولات فنية في الاراضي السورية لتقوم باعداد لوحات تضيفها الى لوحتها العديدة ، ترى ما الذي ستوحيه لها ارضنا الطيبة وبلدنا الخير؟.

سان باولو

الفنان نوبار صباغ في بنيال سان باولو

افتتح في سان باولو في الشهر الماضي البنيال الدولي للفنون التشكيلية الذي ساهم فيه معظم دول العالم ، وكانت سورية في عداد الدول المشتركة فيه حيث قدمت اثنتين وعشرين لوحة لعدد من الفنانين وهم نوبار صباغيان وأدهم اسماعيل ومحمود حماد وفاتح المدرس ونصير شورى ونعيم اسماعيل وسامي برهان ولؤي كيالي وطالب يازجي والياس زيات .

وبالرغم من النزعة الحديثة التي كانت تصطبغ بها لوحات فنانينا فقد كانت بالنسبة لغيرها من انتاجات الدول الاخرى وكأنها لوحات كلاسيكية لأن الاتجاهات السائدة في تلك الظاهرة كانت حديثه الى حد بعيد جدا ، ان في تكوينها اوفي موادها المستعملة . . وكانت لوحات نوبار صباغيان من اللوحات التي استحقت جائزة شرف رفيعة ، وفي البنيال السابق نال الفنان فاتح المدرس احدى الميداليات الثمينة وبذلك فقد برهن فنانونا على قدرتهم الفنية حتى في المجالات الدولية وحققوا لبلدهم انتصارات جديدة .

واشنطن

المعرض العربي

لعل أول مايشعر به الطالب المقيم خارج ارض وطنه العربي الكبير هو الحاجة الى الدعاية لبلده التي تحتاج الى الكثير منها . فيحاول بجهده المفرد او بجهوده وجهود اخوانه ان يرفع من اسم بلده اما عن طريق المحاضرات او عن طريق النشاطات الاخرى كالمعارض الفنية وهذا ما لجأ اليه الطلاب العرب في الولايات المتحدة الاميركية في الشهر المنصرم عندما قاموا بتنظيم معرض للفنون الصناعية العربية واطلقوا عليه اسم

المعرض العربي وفي هذه التظاهرة عرضوا ابرز مااختصت به الدول العربية فعرضت سوريـــة نماذج من الحرير والـــبروكار الرائع الصنــع وعرضت العراق النحــاس المنقوش وعرضت مصر القطع الخشبية المحفورة ، كما عرضت فيـــه لوحات زيتيه ومطرزات وصور من مختلف الدول العربية .

استقطب المعرض انتباه محبي الفنون العربية ولقي من الاعجاب في واشنطن ماشجع على نقله الى نيويورك وهو الان في طريقه الى مدن أخرى

فالى الطلبة العرب المخلصين أطيب تمنيات الوطن العربي الكبير .

معرض فن الطوابع

سيقام في حزيران القادم ١٩٦٤ في باريس معرض فن الطوابع العالمي ، وقد وجهت الدعوة الى سورية للاشتراك فيه وسيكون لها جناحها الخاص في عداد الاجنحة الكثيرة ، ومن الجدير بالذكر أن الطوابع والاهتمام بهـا اخذت منذ اوائل القرن الحالي تلقى الكثير من اهتمام المسؤولين وقد رأينا منذ النصف الثاني للقرن العشرين العديد من المعارض التي كانت تعرض فيها اروع مجموعات الطوابع المحلية والعالمية وقد شهدت دمشق في الآونة الاخيرة عدداً من تلك المعارض التي لقيت كل ترحيب واعجاب لأنها غدت أشبه بلوحات فنية مصغرة تحمل قيمة فنية رفيعة .



جولة الشهر

مع تيارات الفكر العالمي

بقلم : فؤاد الشايب

يمكن تقسيم دول التخطيط الاقتصادي إلى فئة التخطيط الاشتراكي الماركسي، وفئة التخطيط الاشتراكي المختلط - بينهما فئة من الدول لاتؤمن بالاشتراكية ولا بالتخطيط - وفئة الدول المتخلفة التي تنشد التحرر ، والتقدم ، والمساواة - عرض سريع لقواعد التخطيط في كل من هذه الفئات - وعوامل النجاح والفشل .

قلنا في الجولة الماضية ، انه لابد من التعرف الى صفة المجتمع الذي يخطط — من يخطط — لنهتدي الى القواعد العامة التي يرسمها في عملية التخطيط — كيف يخطط —

ولكي نمهد السبيل الى معالجة الموضوع المعقد ، قسمنا المجتمعات الى فئات كما هي في واقع العالم الحاضر ، ونسبنا الى كل فئة نوعاً من الطابع العام المميز ، نوعاً من السلوكية السياسية في تحقيق الاهداف الاقتصادية كأن يوصف المجتمع بانه دكتاتوري بوليسي ـ المانيا النازية ـ او دكتاتوري عقائدي ـ دكتاتورية البرولتياريا في الاتحاد السوفيتي ممارسة بواسطة جهاز الحكم ـ أو ديموقراطي بيروقراطي يتكىء نظريا على مبدأ الحرية الاقتصادية الموجهة ، وعملياً تمارس سلطاته الحكم ، بمشاركة المنظمات الاقتصادية والاجتماعية الأخرى ، بالاعتماد على درجة عالية من الوعي ، وتفهم القضية الاجتماعية والفروض المدنية من جهة ، وعلى درجة عالية ايضاً من الادارة البارعة والخبرة الفنية ، وما يرافق هذه وتلك من حشد مكتسبات العلم والتكنيك المتطور ابداً ـ بريطانيا والدول الاسكندينافية ـ

ولعلنا ، بحاجة الى تقسيم هذه المجتمعات تقسيماً آخر لانزعم أنه اكثر دقة ، بل هو اقرب الى الواقع السياسي الذي تعيشه الدول المختلفة عبر تجارب طويلة اوقصيرة . وقد شرعنا في ختام الجولة الماضية في ملامسة المحاولة الجديدة بأن عرضنا الى بعض مفاهيم التخطيط وقواعده في بعض الدول الاشتراكية ، على انها تتعارض حقاً مع مفاهيم التخطيط لدى الدول الغربية التي تعلن ممارستها سياسة اشتراكية دون الانتساب اسماً اوفعلا الى مسمى الدولة الاشتراكية .

ومن هنا تتضح أهمية التقسيم الذي نلجأ اليه ، تسهيلا للمعالجة وذلك بأن نصنف تلك المجتمعات في فئتين رئيسيتين :

١ـ فئة الاقتصاد الماركسي اللينيني ـ حيث لاماركس الا مقروناً بلينين ، لأن الاشتراكية المقول انها علمية دون لينين ، تغدو فلسفة اوعلماً معقداً لايمكن ان يكون في متناول العامة من الناس ـ وهي فئة يقوم على رأسها الاتحاد السوفيتي ، وولاؤها السياسي له اجمالاً لأنه كان تحقيقاً عملياً الماركسية باعمق مفاهيمها .

ولعل التطور الخطير في ولاء هذه الفئة من

الدول للاتحاد السوفييتي ، ان ولاءها بالواقع لم يستمر للاتحاد كدولة ، بل لمبادىء ماركس لينين وحدها ، كما نرى اليوم ، حتى ليغدو التنابذ بين دول هذه الفئات ، مصدراً للاضطراب الخطير في صفوف الاشتراكية الماركسية ، وحسبنا أن نلقي نظرة على نشاد الصين الشيوعية ، مع الاتحاد السوفييتي ويوغوسلافيا واتهامها لهما معاً بالانحراف والرجعية ، وخيانة لينين ، حتى نرى كيف تندر في افق الماركسية العلمية ثلاث سياسات شيوعية مختلفة متضاربة ، كلها يدعي الانتساب الى ماركس لينين ، بينما تكاد تصبح ثلاث ديانات شيوعية، متميز بعضها عن البعض الآخر ، ومتحاربة حرباً دينية عنيفة الحقد والعصبية ، وسنعرض الى نماذج من النشاد على صعيد الاقتصاد الماركسي.

٢ ـ فئة **الاقتصاد الاشتراكي اللاماركسي** ـ وهي التي يعجبها ماركس ، فكريا وفلسفياً ، وتقر له بسبقه العظيم في الكشف عن الاقتصاد كعلاقة اجتماعية اساسية بين الناس. ولكنها تأبى الانتساب **الماركسية كعلم** ، والماركسية اللينية ، كمذهب اقتصادي سياسي . وان هي اعترفت لماركس بتحليله ادواء المجتمع ، ومآسي التاريخ ، وأسباب الظلم وعدم المساواة تنكر عليه النتائج التي اراد ان يرتبها ويفرضها على المجتمعات البشرية . فهو نصف طبيب ـ علمياً ـ لأنه عرف اعراض الداء ، ولكنه ضل في وصف العلاج . حتى أن الغاية الحتمية التي فرضها لفلسفته ، انعكست على صفاء تحليله بالذات فأدخلت على فلسفته التخيل والتمني في زي علم وسنعود الى بعض التبسط في تنابذ الاشتراكية مع الشيوعية الماركسية من الجانب الذي يمس معالجتنا موضوع التخطيط .

٣ ـ وسنكون مضطرين هنا الى **ايراد فئة ثالثة** ، غير رئيسية بالنسبة لمعالجتنا شؤون التخطيط ـ ورئيسية اذا شئنا ، بما يتحمله موقفها السياسي من أثر في التوجيه الاقتصادي العالمي . لاسيما وأنها تتخذموقفاً اقتصادياً تقول انه الموقف العلمي السليم الذي لايعترف لماركس والماركسية بأي ميزة وبأي فضل ، ولا تقر له بأي أثر في تطوير سياسة بلادها واقتصادها ـ ومن هذه الفئة ، الولايات المتحدة الامريكية .

ويسوقنا الحديث استطراداً الى **ذكر فئة رابعة** ، تقوم في العالم الديمقراطي الغربي ، على نطاق فكري فلسفي صرف . وهي فئة تعزل ماركس عن لينين ، لتعزو الى ماركس فضائل كبرى ، لو أراد تحقيقها ، كما يقولون ، لما بلغ بها شكل الدولة اللينينية السوفييتية . وحسبنا أن نشير الى هذا النموذج من الماركسيين ، في شخص (جان بول سارتر) **الذي اوجد تناغماً فكرياً بين الوجودية والماركسية ، غير متخل عن قاعدة البروليتاريا ، وعن قاعدة الحرية الشخصية في الوقت نفسه** . ولا أعتقد أن فلسفة التناغم هذه التي

ابدع فيها سارتر ، بجدية فتيلا في اغناء العلوم السياسية ، على أنها تبقى للمثقفين ، رياضة عقلية رائعة ، لاغنى عنها لباحث في تاريخ الحركات الفكرية في العالم .

٥ ـ ثم بالنسبة لنا نحن في البلاد الاسيوية الافريقية ، **لابد من اضافة فئة خامسة ،** ماثلة في البلاد المتخلفة ، وهي فئة تشدو الاشتراكية ذات اليمين وذات الشمال ، وفقاً للمبادىء العامة **التي تضع خطوطها الجماعة المثقفة ، من اوساط البورجوازية الصغيرة ، ـ على الغالب ـ** وهـذه الجماعة هي التي تقود النضال الشعبي من اجل ثلاثة اهداف اساسية ـ مهما تنوعت مسمياتها السياسيـة ـ : **التحرر ، التقدم ، المساواة .** وتفيض المجتمع المتخلف واحداً من الاهداف الثلاثة قبل الآخر ، تفضيلاً وترجيحاً ، وقد يتابعها جميعاً في آن واحد ، وفقاً لظروفه التاريخية الخاصة ، ومراحل نموه الاجتماعي ، وتطوره السياسي ، وطاقاته الوطنية . وسنعرض الى مناهج التخطيط لدى دول هذه الفئة ، والمشاكل التي تعانيها .

وان يكون في منهج جو لتناهذه ، أن نعالج شؤون التخطيط لدى دولة كالولايات المتحدة الاميركية **لأنها بالاصل ليست نموذجاً لدولة التخطيط بين الدول الديموقراطية .** على انه قبل المضي في توضيح معالم التخطيط في نوعيـه الاشتراكي الماركسي ، والاشتراكي الديموقراطي لابد من المامة عابرة بالخطوط العامة التي تبنى عليها سياستها فئة هذه الدول الناهضة للاشتراكية . لتبين لنا ابعاد المواقف المتناقضة بكل جـلاء ووضوح .

قبل كل شيء ان فئـة الولايات المتحدة الاميركية من الدول التي تقيم اقتصادها على مبادىء تختلف كل الاختلاف ـ جذرياً كما يقال ـ عن مبادىء الاقتصاد الماركسي . **اذ بينما تنشد الماركسيـة المساواة الاقتصادية عن طريق الغاء السوق القائمة على المزاحمة اولا ، ثم انتاج الثروة عن طريق الدولة وتوزيعها عن طريقها ايضا ـ ثانيا ـ** نرى فئة **الدول اللاماركسيـة تصر** على بقـاء السوق ، **بالمزاحمة ، تحت قانون العرض والطلب ، مع حصر عمل الدولة في الانتاج ، ضمن حـدود ضيقة جدا .**

ويمكن تلخيص قواعد النظام الرأسمالي في :

أ ـ ان النشاط الفردي وحوافزه وطموحاته هو منبع الثروة القومية ، وضمانة التقدم والازدهار .

ب ـ أن المزاحمة هي حلبة الابداع والتفوق ، ومآل مكاسبها للافراد والدولة معاً .

ج ـ ان الحرية السياسية لاتنفصل عن الحرية الاقتصادية ، وكلاهما لازم لـلآخر وكل معنى للحرية فيما عدا ذلك باطل ووهم . يعـني ـ كما

يقولون ـ ان حرية البيع والشراء ، هي جزء اساسي من تراث الحرية .

د ـ ان الدولة هي ارادة الشعب الماثلة في مؤسسات ديموقراطية ، تفرض القوانين التي تمليها تلك الارادة . وكل فرض من الدولة من اعلى الى ادنى دون هذه المؤسسات المعروفة، ولو كان في سبيل مثالية المساواة انما هو فرض يتنافى مع قدسية الحرية ، **فالحرية هي منبع النظام السياسي لا المساواة .**

هـ ـ ان الدولة بمؤسساتها الممثلة لارادة الاكثرية ، هي التي تضع القوانين العادلة وتفرض سلطانها . وبواسطتها تستطيع الدولة أن تفرض حدوداً على مكاسب رأس المال والملكية الفردية، لاعلى وجود رأس المال بالذات ، ولا على حق الملكية الفردية المقدس .

و ـ ان التخطيط الاقتصادي ، أو الأخذ عامة بمبادىء التوجيه الاقتصادي ، انما يتم بالتعاون لابالقسر ، وفي حالات خاصة طارئة ، لايمكن أن تكتسب صفة الدوام والاستمرار ، كحالات الأزمات الوطنية الكبرى ، والحروب التي تهدد سلامة الدولة وكيانها . وغالباً ماينحني الافراد ، انحناء أخلاقيا ، للظروف الطارئة ، ويتحملون تضحياتها ، لأنها طارئة ، وليست دائمة ، فاذا زالت زالت معها موجبات فرضها .

من هنا ، كما هو واضح ، تخرج دول هذه الفئة من مضمار التخطيط ، ولن يبلغ النظام الرأسمالي عندها ، مهما تعثر في أزماته واخطائه ومظالمه ، مرحلة التخلي عن جميع وظائفه للدولة، كما يصور ذلك ويتمناه الاشتراكيون ـ كلياً أو جزئياً ـ كل بحسب درجة اشتراكيته ويساريته فيها .(١)

وقد سبق أن شرحنا باسهاب في جولاتنا الثلاث الماضية ، مراحل تطور النظام الرأسمالي في العالم الغربي ، ومصيره الى انحلال النظام ، في نظر البعض ، او الى ضعف سلطانه على الاقل ، الى جانب نشوء القضية الاجتماعية حتى لدى اكثر الدول رأسمالية ، وارتفاع الوعي الشعبي ، الى مستواها. ولن نزيد في هذه الجولة تفصيلا ، لأن موضوعنا ينحصر في متابعة بحث التخطيط الاقتصادي ومبرراته لدى الدول التي اخذت به، وارتضته لنفسها، بقياس ما ، سلوكا اجتماعياً، للحد من (**شريعة الغاب**) **أو للقضاء قضاء مطلقاً على هذه الشريعة .**

---

(١) مشهورة في دنيا الرأسمالية حكاية (الاوزة ذات البيض الذهبي) فالاوزة هي رأس المال ، ويوضها الذهبية هي حصاده من الرخاء والازدهار والتقدم . وفي ذلك يقول كاتب اميركي ، كان شيوعيا ، ثم انقلب على الشيوعية ـ ماكس ايستمان ـ مخاطبا العمال : لاتقتلوا الاوزة .. بل ضعوا ايديكم على جميع البيض الذي يمكنكم ان تضعوا اليد عليه ولكن حذار ان تقتلوها ..

الكليات العامة في التخطيط الاشتراكي

ومهما يكن من تباين المبادىء والعقائد ، التي ترسو على اسسها قواعد التخطيط الاقتصادي ، فان القائلين به متفقون على قواعد كلية عامة ، لاخلاف عليها :

أ ــ انهم لايختلفون في نقض القاعدة الكلية الرأسمالية القائلة بأن لاتناقض بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة ، ولا يختلفون في **أن هدف الربح قد تجاوز اغراضه ، وتعدى الاوصاف النظرية الليبرالية المتفائلة ، التي قال بها الاقتصاديون في القرن التاسع عشر من طبيعة تحول المنافع الخاصة الى منفعة عامة ، عن طريق حرية السوق الاقتصادية وتوزيعها العفوي** . ان المجتمعات الرأسمالية ، في واقعها قد خيبت آمال النظريين الليبراليين ، في مصير الحرية ، التي آلت الى حفنة من النـــاس ، على حساب حريات الآخرين بله ارزاقهم .

ب ــ ان التخطيطيين ، على اختلاف مذاهبهم، من ماركسية ، أو غير ماركسية ، لايختلفون حول القاعدة الكلية القائلة بأن ليس الا في المجموع يستطيع الفرد أن يحصل على وسائل تنمية طاقاته في كل الاتجاهات ، وليس الا في المجموع تصبح الحرية الشخصية ممارسة ايجابية ممكنة .

ج ــ ثم ، اذ يتطور الاقتصاد ويتعقد بمستحدثات العلم والتكنيك ، وتتضاعف احجامه ومشاكله ، بعلاقاته الاقتصادية المتزايدة مع حياة الملايين من الاداريين والفنيين ، والكادحين **يصبح المرور من مرحلة التلقائية والاتوماتية ، الى مرحلة التنهيج والتنظيم ، ضرورة المجتمع الراقي .**

والانسان في هذا العصر ، لايعيش في ظل ضرورات التوجيه الاقتصادي فحسب ، بل يخضع لضرورات الصحة الموجهة ، والتعليم الموجه ، وحتى الولادة الموجهة . والغريزي ، في عصر المدينة الكثيفة ، يخلي المكان يوماً بعد يوم ، للعقل والوعي ، تحت طائلة الفوضى والتآكل اللاآدمي .. كذا فسياسة (الحبل على الغارب) ، قد تنفع ولا تضر في حياة قرية معدودة المساكن الآدمية ، والروابط الحيوانية ، أما في المدينة تغدو القاعدة ، دعوة الى عدم التمييز بين الحياة الآدمية والحياة البهيمية (١).

د ــ وأما الحرية ، وهي دعوة النظام الرأسمالي الكبرى ، فليس الا بالدعوة الى المساواة بتكافؤ الفرص ، يستقيم امرها للجميع دون استثناء . فالحرية لايمكن أن تكون ملكا للذين يسرقون حرية الآخرين ، وان كل طغيان ، أو كل تسخير استغـــلالي ، هو في الاصل سرقة لمجموعة من

(١) معلوم أن اصطلاح (الحبل على الغارب) في اللغة العربية ، مشتق من حل رباط الدابة ، والقاؤه على ظهرها واطلاقها دون قيادة ، نحو الحقل أو المربط . ثم اصبح يعني: السلوك (كل على هواه) .

الحريات. فالعمل من اجل **المساواة** كما يشرعه الاشتراكيون، هو بالواقع عمل موجه ضد انتهاك البعض **حرية** البعض الآخر من الناس، ويعني ذلك انه عمل من اجل تكافؤ الفرص، واعطاء أنصبة عادلة من الحرية. **وبلغة الاقتصاد: اعادة توزيع الحرية، اسوة بمبدأ اعادة توزيع الثروة.**

هـ – ومن البديهي ألا تعني المساواة الاشتراكية، زج الناس جميعاً في قالب واحد، وحشدهم على مستوى سقف واحد، وتوزيع انصبة الرزق بينهم بمكيال واحد. كذلك فليست المساواة قط في خنق المواهب والكفاءات، أو رفض الفروق الطبيعية في الاستعدادات الجسدية والعقلية، أو رفع البلهاء الى مقام الفقهاء!

و – كذلك لاتعني الاشتراكية او التخطيط الاشتراكي اقتصادافقار، جريا على القاعدة الزاعمة: (ظلم بالسوية عدل في الرعية) لأن مبادئها العملية المتفق عليها ترمي الى هدفين متلازمين، جنباً الى جنب: زيادة الانتاج، وصواب توزيعه. وكل تخطيط اقتصادي، يضع نصب العين سؤالين متلازمين: **ماذا يجب ان ننتج. وكيف يجب ان نوزع؟!**. فاذا كان **الانتاج** الوفير المتناسب مع حاجة الشعب ومطلب الدولة من جهة ثم **توزيع** حاصل الثروة بين الاستثمار والاستهلاك والانفاق العام بحسب الحاجة القومية، مع منح كل منتج بحسب كفاءته وجهده، وحاجته – من جهة اخرى – اذا كان الانتاج والتوزيع على ماوصفنا هدفين طبيعيين للتخطيط الاقتصادي، الاشتراكي، فان في رأس اهدافه السياسية، أن يقارع النظام الرأسمالي في دعوته العريضة الى كفاءة الانتاج، وملازمتها له وحده، **وأن يبزه في الانتاج كما وكيفاً حتى تستتب في اذهان الجماهير قناعة عامة بكفاءة النظام** الذي تؤمن بمثاليته، وترجو ان يكون نظام توزيع رخاء لاتوزيع فقر.

ز – واخيراً، فلا خلاف بين التخطيطين، مع تباين مذاهبهم الاشتراكية ودرجات انتسابهم لها، على أن وضع الاقتصاد القومي في قوالب محددة، وما يرافق الخطة من فروض وقيود والتزامات وواجبات، **يجب أن يتم بالحد الأعلى من الترغيب والتشويق والاقبال الطوعي على تنفيذها، لا بالشدة والعنف والتجريع الاكراهي، مهما يكن نظام الحكم السياسي الذي تمارسه الدولة صاحبة التخطيط.** ومن اجل بلوغ هذا الهدف الرشيد، تعمد هيئات التخطيط الى نشر دراساتها العلمية، وتحقيقاتها الاجتماعية، حول كل صغيرة وكبيرة من مشروع التخطيط، لتبلغ بالمعلومات الدقيقة والارقام الحقيقية غير المفترضة، قناعة الجمهور ثقافيا، ووجدانيا معاً،

بصواب التخطيط ، ووضوح اهدافه ، وشمول فوائده . ويصح أن تتداول مشروع التخطيط السنة الجماهير واقلام الكتاب والفنيين عن طريق الصحافة ، والتجمعات في الدول المتوفرة فيها اسباب الرأي الحر اطلاقاً ، او عن طريق النقابات والتعاونيات ، والجمعيات ، في الدول التي تعتبر هذه المنظمات وسائل تعبير ديموقراطية على طريقتها . حتى بعد أن يعلن المشروع رسمياً ، ويشرع في تنفيذه ، يصبح واجب هيآت التخطيط ، أن تعلن في كل دورة فصلية او سنوية عن مراحل سير المشروع وبلوغه بعض الاهداف او قصوره عنها . **ويحذر رجال التخطيط من ان يكون التنفيذ ، حملة اجبارية أو ايحاء بالعودة الى نظام السخرة الجماعية التي بنيت بها قبور الملوك واهراماتهم وقباب حريمهم** . ولا غنى لاصحاب التخطيط من اللجوء الى جهاز دقيق الملاحظة ، عادل السجل ، للتعرف الى اصحاب الكفاءات العقلية ، والطاقات الجسدية ، ممن احسنوا وتفوقوا ، وحققوا بجهدهم وذكائهم زيادة في الانتاج ، أو تحسينا في نوعه ، ليكافأوا مكافآت مادية ، تصرف لهم علاوات ، وزيادات في الأجور ، أو انصبة نسبية من الأرباح ، وتلجأ الدول الاشتراكية ، وعلى الاخص في الاتحاد السوفيتي الى الكثير من بذل المكافآت ، والمكاسب للعمال والفنيين والاداريين المتفوقين بالعمل والابداع **تعويضاً للكادحين في النظام الاشتراكي ، عما يفتقدونه من حوافز الربح الفردي ، المتوفرة في النظام الرأسمالي .** (١)

مطارح الخلاف ... والافتراق

اذا قصرنا التأمل على نظريات الاحزاب الاشتراكية ، من ماركسية ـ لينينية ، الى اشتراكية ديموقراطية ، بخطوطها الكبرى ، وكلماتها الضخمة: تقدم ، **حرية ، مساواة ،** وقعنا حقاً على كثير من مطارح اللقاء ، كما ذكرنا **ولكن عندما ننتقل الى الحقول التي تزرع فيها تلك المثاليات والفلسفات ، نقع على مطارح الخلافات المعقدة ،** حيث لا يقتصر الأمر على التجاذب ، والشاد ، بل يتجاوز ذلك الى تحديد مراكز الافتراق الكلي القطعي الذي لا يعقبه لقاء ، اللهم إلا اللقاء الذي يدعو اليه الديموقراطيون عندما يتوقعون أن الانظمة الشيوعية ستتطور الى التخلي عن قواعدها ،

---

(١) تتنوع البحوث العلمية الاقتصادية باشراف اكاديمية العلوم في الاتحاد السوفيتي . وكان أهم ماشغل مجموعة من الباحثين خلال العامين الماضيين بتشجيع من الرئيس خروتشوف ، دراسة حوافز الانتاج وتحسينه وتنويعه ، بالتعويضات والمكافآت المادية ـ عامل الكسب ـ . على اعتبار أن الأوامر العليا ، والرقابة الحزبية ، والضمير المهني ، والحماس للدولة ، لاتكفي كلها لبلوغ تخطيط الانتاج اهدافه المنشودة . وقد وضع البروفسور (يوسه ليبرمان) دراسة علمية وسلما للمكافآت ، اثنى عليها خروتشوف وكرر امام العلماء توصية لينين بضرورة اقتباس ماهو مفيد حتى عن الرأسمالية نفسها .

وتبدل مجاريها ، أو عندما يؤكد الماركسيون الشيوعيون باسم العلم أن اشتراكية الدول الديموقراطية خطوة نحو التزام المذهب الماركسي الكامل ، التزاماً قدرياً محتوماً. **قبل كل شيء، يجب ان نحدد مراكز الخلاف الواقعي وهي على الغالب مراكز انطلاق.**

ان معظم الدول او كلها ، التي أخذت بالتخطيط الاقتصادي ، على قاعدة اشتراكية ماركسية ، انما انطلقت من اقتصاد متخلف ، مثل روسيا ، عندنشوب ثورتها البلشفية ، ثم مجموعة الدول الاوروبية شرقي اوروبة ، عندما دخلت في ولائها للدولة السوفيتية ، أو للنظام الشيوعي بالذات ثم الصين الشعبية . وبالمقابل فان كل الدول التي أخذت بانواع من الاشتراكيات المعتدلة او المتطرفة ، وهي لاماركسية على كل حال ، قد انطلقت من مستويات دول متقدمة راقية ، حكمتها احياناً أحزاب اشتراكية ، او كان لهذه الاحزاب فيها جولة وحظوة .

ان هذا التصنيف الجديد الذي نلجأ اليه ، لاغنى عنه ايضاً ، لتوضيح معالم الدولة التي تخطط واهدافها من التخطيط . اذ يبدو من المسلم به أن تخطيط دولة متخلفة اقتصاديا ، يختلف كل الاختلاف عن تخطيط دولة متقدمة غنية . نحن لانستطيع ـ مثلا ـ ان نحكم ، وقد نختلف في الحكم حول ما اذا كانت دول اوربةالشرقية متناغمة طواعية او كرها مع النظام الشيوعي ، ولكن لاخلاف في أنها كانت دولاً متخلفة ، تشعر بالحاجة القارعة الى تخطيط واسع وعميق ، قد يبرر للعديد من مثقفيها فقدان حرياتها الديموقراطية التي مارستها زمناً ، بعد الحرب العالمية الأولى ، في سبيل الحصول على أسباب التقدم وشروط الدولة الصناعية الحديثة ، بعد الحرب العالمية الثانية . **بل لدينا مثال آخر لايقبل الدحض في أن درجة النمو الاقتصادي والاجتماعي هي التي تقرر نوع النظام العمالي الذي يلتزمه مجتمع ما لينطلق منه مهما يكن شأن الظروف الخارجية في تقرير مصيره السياسي .**

هذا المثال نراه في المانيا الديموقراطية التي يذهب ولاؤها للاتحاد السوفيتي وللاشتراكية الماركسية رسمياً ، ولكن مايحكم اقتصادها حتى اليوم ، وبعد مرور ثمانية عشر عاما على ولائها الجديد ، هو الاقتصاد الرأسمالي ، لا الشيوعي ، بسبب المستوى الاقتصادي الصناعي الذي تتمتع به عندما دخلت في الولاء الجديد . وبسبب جوارها الملاصق لمجتمع آخر يقارعها ويتحداها بنجاح نظامه الرأسمالي : **سببان رئيسيان لم يكن بوسع الدولة الكبرى صاحبة الولاء**

الا أن تاخذهما بالاعتبار ، عندما شرعت تخطط للدولة التوأم ، فكان تخطيطها بالواقع نوعاً من التجربة الاشتراكية الناشئة أمام تحكم القطاع الرأسمالي ، تحكماً مبرماً .

كذلك ، وبعد أن اصبح الاتحاد السوفييتي ، دولة صناعية علمية كبرى ، ستختلف فيه أهداف التخطيط ، عن اهداف الصين الشعبية(١) التي يماثل وضعها وضع روسيا الثائرة عام ١٩١٧ . واصبح الاقتصاد القومي اليوغوسلافي اليوم نسخة جديدة من التخطيط الاشتراكي ، الذي لايشبه في كثير من قواعده واهدافه ، تخطيط كل من السوفييت والصين .

ويبدو أن تباين الظروف التاريخية ، لاينشأ عنه تباين اساليب العمل فحسب ، بل تباين العقائد في القمة أيضاً .

وما يقال عن الظروف التاريخية ، ومراكز الانطلاق ، بين كل من الدول المتخلفة ، والدول المتقدمة ، يصح قوله عن الدول المتقدمة نفسها . فقد رفض المجتمع الفرنسي المتطبع بالروح الفردية ، وباعتزازه بتاريخه الثوري ، نظاماً اشتراكياً ضيقاً ، بالرغم من احتضانه لأقوى الاحزاب الشيوعية في اوروبة . وفي بريطانيا ، وان يكن قد مسخ الحزب الشيوعي ولم يلتق باسباب وجوده ، فقد ظلت الحاجة الصارخة الى العدل في صراع قائم قاعد مع ضراوة التقاليد ، حقباً من الزمن ، حتى تلاقح عنصرا الصراع فولدا حزب العمال البريطاني ، واشتراكيته الفلسفية والعملية التي تعد في هذا العصر ، اشتراكية متطرفة بالنسبة للعالم الغربي الديموقراطي كله ، وهو العالم الذي نشأ فيه المغامرون والقراصنة ، والمبشرون ، ورؤوس الأموال ، وفلاسفة الحرية ، معاً ، في عصر واحد .

ملامح عامة ـ التخطيط الديموقراطي

ثم أن هذا العالم الديموقراطي الاشتراكي ـ بدافع من ظرفه التاريخي ، وثقافته الفردية ، واصوله الرأسمالية ، ونظرياته الفلسفية ، **يرفض الانطلاق من القاعدة الماركسية الى تنظيم الاقتصاد بابادة رأس المال ، ونزع الملكية الفردية .**

وبالتالي فانه يرفض ان ينزع اشراف السوق على الاقتصاد ـ العرض والطلب ـ وهي صاحبة التوجيه غير الظاهر ، كما يقال اقتصاديا ، لتحل الدولة محلها كلياً ، بالتوجيه الظاهر ، بل ان

---

(١) تقوم في الاتحاد السوفييتي اليوم مشادة هامة حول تبديل اهداف الانتاج وتحويلها عن الصناعة الثقيلة الى الصناعة الخفيفة ، كالبلاستيك وسواها من أدوات الاستهلاك ، ويترأس نظرية التحويل من الثقيل الى الخفيف خروتشوف بالذات حيث يلقى معارضة من متزمتي الحزب الشيوعى . وقد اكد الرئيس خروتشوف أن الخطة السبعية الاخيرة قد حققت اغراضها من صناعة المعادن وزادت عليها ويجب أن يتم تحويل الاقتصاد بسرعة الى مواد الاستهلاك للتخفيف من حدة الحرمان الطويل الذي عاناه الشعب . ويسخر خروتشوف من متزمتي الحزب الشيوعي ، ويلقبهم ـ بآكلي المعادن ـ .

هذه لاتستطيع ان تتقن الاشراف ، كماتتقنه تلك.

ولما كان أصل النظرية الديموقراطية أن المصلحة الخاصة هي القوة الدافعة في نظام اقتصاد السوق، وان مصلحة الفرد تلتقي بالصالح العام لأن الحاجات التي يريدها المجتمع هي التي تحقق ربحاً اكبر للفرد. ولما كانت الاشتراكية قد اكتشفت انحراف هذه النظرية ، وانفصال التواصل الطبيعي بين مصلحة الفرد ، وصالح المجموع ، **كان لابد من تدخل الدولة للمساهمة في الاشراف الاقتصادي الى جانب السوق . وليس من خلاف حول ضرورة تدخلها ومشاركتها فقد تدخلت ابداً ، في كل زمان ومكان . ولكن الخلاف يقوم دائماً حول حدود التدخل ومداه ، ثم حول جدواه أساساً .**

وعلى هذا فالاشتراكية ليست سياسة نزع الملكية الخاصة، وتمليكها للدولة او المجموع ، كذلك ليست هي ، مزيداً من السلطات التي تنتزعها من افراد او منظمات . انما قد تتحول الملكية الخاصة الى ملكية عامة ، وقد تضاعف الدولة من سلطاتها ، ليس بالبناء على دستورها بل بالتصرف المنبعث من ظروف ملائمة ، غير ابدية .لأن دستور **الاشتراكية هو الحفاظ على الحرية الى جانب تحقيق المساواة واهتمام الاشتراكيين بالتملك ناشيء عن اهتمامهم بالمساواة ، ذلك لأن نظاماً ما للتملك يحول دون قيام التكافؤ ، تكافؤ الفرص : المساواة .**

في سبيل هذه المساواة ، تشرع الاشتراكية انظمة جديدة تعالج بها مظالم الاقتصاد الحر ، ولكن الاشتراكية ترفض أن تحل الدولة بالذات محل هذه الأنظمة .

وعلى هذه البناءات ، تمضي الاشتراكية في تخطيطها ، لمعالجة انحرافات الاقتصاد الحر ، التي اصبحت شائعة ومعروفة في العالم الديموقراطي الرأسمالي وهي :

أ ـ ان الدخل لايوزع بعدل في المجتمع الواحد ، الذي يجب ان يحل فيه التضامن ، محل الصراع .

ب ـ أن اجور العمال ، لاتراعى فيها انسانية المواطن .

ج ـ أن المغامرة الرأسمالية ، تؤدي الى عدم الاستقرار الاقتصادي ثم السياسي .

هـ ـ ان الاقتصاد الحر باب مفتوح للاسراف والتبذير .

ومن اجل القضاء على هذه الانحرافات وسواها ، أو معالجتها بالحد من اخطارها ، يباح للدولة أن تخطط

بقليل من القسر والفرض ، ولكن بكثير من الاشراف على السوق نفسها، اذا شاءت .

بالتخطيط القسري ، تستطيع الدولة ، أن تنزع الملكية الخاصة ، للمرافق الاقتصادية الكبرى ، مرافق انتاج السلع او الخدمات، بشرط ان تحسن الدولة ادارتها وتحقيق اهدافها ، واهداف التخطيط منها ، فاذا ثبت بالتجربة عدم الاحسان ، ردت من الملكية العامة ثانية الى الملكية الخاصة . وهكذا فان التأميم الجزئي هو قة ماتبلغه الدولة من حق الاشراف ، ولا مزيد .

اما التدخل بالاشراف على سوق العمل لتنفيذ تخطيط يرمي الى رفع مستوى الأجور – مثلا – ، فان اشق ماتعانيه الاشتراكية الديموقراطية ، هو فرض الأجور فرضاً ، لايلبث بطبيعة الحركة الاقتصادية ان يؤدي الى ارتفاع مواز في الأسعار . أو الى حجب جملة من اليد العاملة عن العمل . لذلك تلجأ الاشتراكية الى تعديل **الأجور** ، بكل تحفظ، بعد أن تكون قد خططت لافساد لعبة الارتفاع الموازي في **الأسعار** ، أو تخطط الدولة ، كما ينصح لها التخطيطيون، بأن تحافظ على ثبات الأجور، مع تحديد حد ادنى لهـا ، اذا امكن ، وترد زيادة الأجر على العمال ، خدمات صحية ، واجتماعية ، وثقافية وترفيهية سكناً وغذاء ، تستطيع الخطة الحصول عليها عن طريق الموازنة، أوعن طريق التشريع الذي يرفع نسب الضرائب التصاعدية على الاغنياء ، من اجل توزيع جديد للثروة ، وتخفيض نسبها على الكادحين والفقراء او الغاؤها .

بنفس المكاتبة الحذرة ، والخطة المدروسة بالرقم العلمي، تعالج الدولة ازمات ارتفاع الأسعار – مثلاً – فهي لاتلجأ إلى فرض السعر فرضاً ، قبل أن تدرس سوق العرض والطلب ، واسباب ارتفاع الأسعار . فاذا كان الاحتكار هو السبب، عمدت إلى سياسة الضريبة ايضاً او إلى نظام البطاقة ، واذا كان السبب اكثر عمقاً ، كأن يكون نقصاً في انتاج السلع ، وجب ان تبادر الى تخطيط جذري للتوزيع الصناعي ، **لأن** سبب الأزمة هو ان الموارد الانتاجية ليست في مكانها الصحيح ، فهنا ضمور، وهناك تضخم . هنا اسراف وبذخ ، وهناك شح وتقتير . وللدولة أن تختار احدى الطريقتين الاشتراكيتين التقليديتين في المجتمع الاشتراكي الديموقراطي : اما طريقة الترغيب والتشويق بتشجيع الانتاج المطلوب ، ودعمه ، وحمايته ، أو طريقة التحكم بالمواد الخام، ونظام العمل ، ورؤوس الاموال نفسها ، بطريقتين ايضاً : التأميم ، أو الرقابة

المباشرة . وحيث تجدي الرقابة ، لا لجوء الى التأميم .

ومثلما تتنوع اساب التخطيط للتحكم **بالأجور ، وبالأسعار** ،فرضاً او تراضياً وتوازنا ، كذلك تتنوع اساليب التحكم **بالنقد** ، تلافياًللتضخم اوالتقلص ، **وبسوق العمل** تداركا لازمات البطالة ، وهي وباء النظام الرأسمالي ووصمة عاره ، **وبالاستثمار** ، أي بالادخار الوطني لتوسيع العمل ، والانتاج ، وذلك بتشجيع الادخار الأهلي ، او الحكومي ، للاستغناء عن الاستثمار بالادخار الأجنبي الذي غالباً ما ترافقه السيطرة الأجنبية . ولعل تنظيم الاستثمار وتوظيف الأموال ، من اهم اهداف التخطيط الاشتراكي لتحقيق الرخاء والعدالة ، واشقها تحقيقاً لأن الخطة هنا ، **ترمي الى التوازن بين نوعين من الاستثمار . الاستثمار لمضاعفة الخدمات العامة من صحة وتعليم واسكان وتوسيع شبكات المواصلات الخ . . . والاستثمار للصناعات الانتاجية ، ولا سيما الصناعات الثقيلة** . انما التقدم الحقيقي منوط بنمو الاستثمارين ، ولم يصل الاشتراكيون الى مقياس حقيقي وثابت لترجيح احد الاستثمارين على الآخر . **فبعض الدول تضاعف حجم النفقات العامة ، على حساب التصنيع ، وبعضها يضاعف هذا على حساب الخدمات . والعاملان القويان اللذان يتحكمان في الاختيار هما اولاً وجود حكم قوي وثابت ، وثانياً طاقة الشعب لتحمل الحرمان في سبيل القوة الصناعية ذات الوعود .**

ففي هذه الناحية وفي سواها من أساليب الاشراف والتوجيه، والفرض ، يتنوع التخطيط ويتلون بالوان المستويات الشعبية وظروف المجتمعات التاريخية . فطاقة التحمل ، تحمل الحرمان والصبر والانتظار ، لدى الشعب الفرنسي أو الامريكي ، دون طاقة التحمل لدى الشعب البريطاني ، أو الشعب الالماني . كذلك تتنوع المقاييس الفردية والجماعية ، بين بلد ديموقراطي وآخر ، تنوعاً ينحدر من منابع ثقافية وتاريخية خاصة .. **على أن هذه الدول ، مهما اختلفت في درجات وعيها للقضية الاجتماعية ـ هذه القضية التي اصبح وجودها باليد قوة عالمية يعتد بوزنها ، مثل قوى المجد الصناعي ،والسبق الحربي ،والتفوق العلمي او أكثر ـ فهي على وفاق في أن علة العجز في النظام الديموقراطي ، تكمن في تقلب الحكم وعدم استقراره ولابد من هذا الاستقرار ، ليستطيع النظام ان يقارع خصومه ، وأن يقبض**

على جملة القضية الاجتماعية بحزم وثبات، **بأقل التضحيات المفروضة على قيم الحرية السياسية المعروفة**. وكانت فرنسا آخر الدول الديموقراطية التي توصلت الى نوع من الاستقرار بتعديل اساسي في دستورها وقيادتها البرلمانية، فكان ذلك، أغلى ثمن تدفعــــه في سبيل الاستقرار. وتوصلت دول أخرى منذ زمن ليس بالبعيد الى نظام الحزبين المتناوبين في الحكم، يحكم احدهما سنوات ليست بالقصيرة تتيح له التفرد والتوجية، وتفسح مجالات استنفاد جهوده وخططه وتجاربه ويلبث الثاني في المعارضة، متذرعاً بالصبر الجميل – على الاقل – أو بمعارضة تهدف الى ضبط عوامل التطرف في الفروض الحزبية الى حد من الحدود.

وانه لجدير بالذكر، أنه قـــد اصبح من تقاليد هذا النظام، ألا ينقض حزب المعارضة عندما يستوي في دست الحكم، مكاسب القضية الاجتماعية التي تم انجازها، لأنه ليس من اليسير نقضهـــا وتجاوزها. وليس التأميم الجزئي الذي فرضه حزب العمال البريطاني ابان حكمه، على حزب المحافظين الذي رضخ للأمر الواقع عندما آل اليه الحكم – ليس هذا، بالمثال الاول والاخير في لعبة الاشتراكية والديموقراطية، في هذا الجزء الواسع من العالم الغربي. (١)

الدولة، والتخطيط، والحرية

١ – وسواء اخططت الدولة من اجل اهداف قريبة تضعها لانتاج المشروعات الخاصة والعامة ٢ – أم خططت من اجل وضع اهداف عريضة للاقتصاد الوطني كله، بما فيه نظام العمل، والنقد الأجنبي، والموارد الطبيعية ٣ – أم خططت، برسم اهداف اقتصادية، تطلب من المشروعات الخاصة، المشاركة في تحقيقها، بالفرض أم بالاقناع **فان علماء الاقتصاد، وفلاسفة السياسة الاشتراكية، يعتقدون بان التخطيط قد برر للدولة امتشاق سلطات واسعة وتحمل تبعات ضخمة، ولا يخشى هؤلاء** العلماء والفلاسفة الديموقراطيون ألا تكون سلطات الدولة كافية لانفاذ التخطيط الاقتصادي وابلاغه اهدافه الاجتماعية، **بل هم يخشون أن يختل توازن القوى في المجتمع الديموقراطي لمصلحة الدولة، ضد مصالح الأفراد، ومبادىء التملك المشروع، والاستثمار النافع.**

ان هؤلاء المفكرين، وهم يشعرون بالخجل ازاء تاريخ الغرور الرأسمالي، ومظالم الاستثمار المادي، ومظاهر البذخ المتلافة، مما لطخ بالسواد تاريخ الديموقراطيات الرأسمالية، **لاينوون قط أن تحل الدولة في كرسي الاقتصاد، محل رأس المال**. لان الدولة سياســـة، وقد يدفعها العامل السياسي الى الاساءة للاقتصاد

(١) يشار في الوقت نفسه الى أن المحافظين مع ابقائهم على التأميم، الغوا بعض التشريعات الضرائبية، على الثروات والملكيات التي فرضها حزب العمال.

القومي ، تحت ستار الخطط العدالية لرفع الأجور أوتخفيض أسعار الخدمات ، وسوى ذلك مما يكسبها عطف فئة من الجمهور كبيرة ام صغيرة ، على حساب التوازن الاقتصادي القومي ، واهدافه البعيدة.

ان الدولة الديموقراطية تصعد نحو المساواة على سلم الحرية ، ولا يعني فتح باب المساواة ، اغلاق باب الحرية .

انا لانزعم أن الصورة التي حاولناها لابراز الملامح العامة للتخطيط الاشتراكي في المجتمع الرأسمالي ، هي صورة كاملة . وكنا نشعر أن مزيداً من التفصيل في النواحي الاقتصادية من التخطيط ، وفي اساليب التنفيذ ، يمكن أن يزيد في وضوح الملامح وبروزها . وعذرنا ، أن هذه المحاولات الدراسية ، لاتهدف الى هدف تعليمي او توجيهي في كيفية وضع التخطيط الاقتصادي وتنفيذه ، فذلك من شأن الاقتصاديين وأهل التخطيط . بل واضح ان غايتنا هي الطواف على الحدود السياسية للتنظيم الاقتصادي - أولاً - ، ومحاولة تحليل القضية الاجتماعية ، في ضوء الواقع القومي ، والانساني - ثانياً - . وقد بدأنا الجولات الثلاث الماضية في متابعة تطور الاقتصاد ، تطوراً سياسياً ، وانسانياً ، على الصعيدين العملي ، والفكري ، ولا نزال في اعقاب هذه المتابعة .

على أن هذه الملامح التي نريد لها مزيداً من الوضوح والتعميق ، ستلوح بالتأكيد ، اكثر بيانا ، عندما تقارن جنباً الى جنب مع ملامح التخطيط الماركسي الاشتراكي ، وعلى الأخص في ارض التجربة الماركسية الكبرى : الاتحاد السوفييتي . لذلك اسقطنا بعض التفاصيل هنا ، لنأتي بها هناك في الحقل المقابل ، ولما كانت تجارب التخطيط الماركسي ، في بلاد مثل دول اوروبا الشرقية ، والصين الشعبية ، جديرة بأن تلقي مزيداً من الأضواء على الملامح العامة ، فستكون كذلك في موضوع الجولة القادمة ، تتبعها ملامح عامة في تخطيط الدول المتخلفة ، الواقعة بين معسكري التخطيط في حيرة من مستقبلها الاقتصادي والسياسي معاً .

ويلاحظ القراء أن توسعاً قد طرأ على موضوع التخطيط بالدراسة المقارنة ، ساقنا اليه تشعب الموضوع وامتداده نرجو ان تكون فيه بعض الفائدة .

ملاحظة : يبدو لبعض الأصدقاء والقراء ان الكاتب الذي يقدم هذه الجولات الفكرية في الاقتصاد السياسي مطالب برأي لايجرد عرض موضوعي . انني اعد بهذا الرأي في ختام الجولة القادمة وعلى الأرجح في الجولة التي تليها عقب الانتهاء من دراسة وضع الدول المتخلفة اقتصادياً . وبذلك لا اعطي الرأي ككاتب باحث لاغنى عن أن يكون له ولاء ثقافي ؛ بل كمواطن في دولة حديثة التطور تعيش في مجموعة من الدول الحديثة التطور ، أي المتخلفة . والرأي هذا بالطبع ، شخصي بحت ، ملتزم بواقع المجتمع وظرفه التاريخي .